أردنا بمناسبة اليوبيل الذهبي لإنشاء المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، وبعد خمسين عاما من الجهد الأمل الرامي إلى الحفاظ على واحد من أهم عمده ، مجلته الغراء ، تكريم هؤلاء الذين حولوا هذا الحلم الواعد إلى واقع ملموس.

وإيمانا منا بالدور الذي قامت وتقوم به مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية باعتبارها نقطة وصل وتواصل بين المشتغلين بالدراسات العربية من الإسبان والإسبانية من العرب ، نرى أنه بات علينا أن نستغل معطيات عصر التكنولوجيا لتخليد شهادات وأبحاث ثقاة الفكر والقلم من العرب والإسبان المدونة على ما يربو على ثلاثين ألف صفحة في ثلاثين مجلدا ، تراث ثرى غائر الأعماق من الإبداع والدرس والبحث في ثمار واحدة من أهم الحضارات التي ورثتها البشرية: الحضارة الإسبانية العربية ...

إن هذا القرص، الذي تحمله بين يديك أيها القارئ الكريم، الذي يضم في ثنايا موجاته المغناطيسية كنزا تراكم على مر خمسين عاما، يرنو إلى أن يكون احتفاء بالمستقبل وبالأجيال الجديدة التي تواصل مهمة إثراء هذا الكنز المعرفي الذي نهديه لك ولأنفسنا ولكل المعنيين بالتراث العربي الأندلسي في هذا القرص الصغير في حجمه الكبير في معناه.

ولنا اغتنام هذه المناسبة لنعرب عن عميق امتناننا، وجزيل شكرنا لكل من شاركنا وأسهم في هذا الجهد طوال السنوات الماضية .

أ.د محمود السيد على

المستشار الثقافي لجمهورية مصر العربية

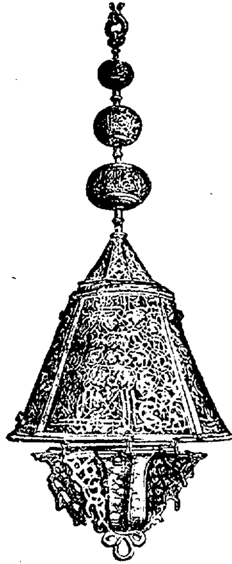
مدير المعهد المصري للدراسات الإسلامية

- مدريد في الثاني عشر من أكتوبر ١٩٩٩

الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة التعليم العالى ، الإدارة العامة للعلاقات الثقافية

صحيفة

معهد الدراسات الإسلامية في مدريد



المجلد الرابع عشر

مدريد ١٩٦٧ - ١٩٦٨

الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة التعليم العالى ، الإدارة العامة للعلاقات الثقافية

صحيفة

معهد الدراسات الإسلامية في مدريد

ooo

يصدرها معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد
رئيس التحرير : مدير معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد

ooo

العنوان : معهد الدراسات الاسلامية
فرانسيسكو دى أسيس مندث كاسارييجو رقم ١٠ مدريد ٢ ، اسبانيا

المجلد الرابع عشر مدريد ١٩٦٧ – ١٩٦٨

فهرس القسم العربي

أبحاث ونصوص

الكتب : نقد وعرض

أنبـــاء

ثمن هذا العدد

٣٠٠ قرشاً مصرياً أو ٤٢٠ بيزيته إسبانية أو ٦ دولارات

طبعت بمطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد
١٩٦٧ — ١٩٦٨

كتاب روح القدس في محاسبة النفس
لمحيي الدين بن عربي

دراسة وتحليل

تقدمــــة :

ا — البحث الذى أقدمه على هذه الصفحات عن ابن عربى[1] لا يتناول الرجل فى فلسفته ، ولا يحاول أن يتحدث عن أصولها أو اتجاهاتها ، ولا ينشد شيئاً من تفسير لها وإيضاح ؛ وإنمــا يتناول الرجل على النحو الذى بدا منه فى كتاب من كتبه هو روح القدس فى مناصحة « فى محاسبة » النفس ، كما يتناول الكتاب محاولةَ التعريف به وكشفَ الغطاء عنه وإبرازَ قيمته الكبرى كأثر إنسانى رفيع ، وكتابٍ أدبى رائع ، ووثيقةٍ تصوفية صافية بعيدة عن إغراق المتصوفة ، وأسلوبٍ تربوى تهذيبى من هذه الأساليب التى كان يلجأ إليها شيوخ المتصوفة فى تقريب التصوف إلى الناس ومناصحتهم به وتسليكهم فى طرقه .

إن هذا التمازج فى البحث بين الكتاب وبين المؤلف ، وهذا القصد إلى القاء الأضواء عليهما معاً إنما يهدف إلى تقييم كل منهما فى هذا النطاق المحدد دون مجاوزة ذلك إلى الآفاق البعيدة أو الأعماق الغائرة التى انتهى إليها ابن

---

(١) ألقى الأستاذ الدكتور شكرى فيصل هذا البحث — موجزاً باللغة الفرنسية — فى الدورة الرابعة للجلسات العلمية الأندلسية التى عقدت فى بلنسية فى المدة من ٩ إلى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٦٠ وكانت هذه الدورة تتضمن احتفالا بابن عربى لمناسبة الذكرى المئوية الثامنة لميلاده فى مرسية .

عربى بعد أن استقر به المقام فى المشرق وبدأ مرحلة أخرى من حياته ، هى المرحلة التى خرج بها من التصوف الذى هو فى أكثره سلوك وتربية إلى التصوف الذى هو فى أكثره مزيج معقد من الآراء والفلسفات المختلفات .

ب — ولقد جعلت منطلقى فى هذا البحث الكتاب نفسه ، وجعلت من صفحاته حدودى .. لم أتجاوزه إلى كتب أخرى ولم أخرج عن النقاط التى أثارها .. إن بدايتى كانت منه وطوفتى كانت حوله ودراستى كانت فيه .. وكأنما كنت أحرص على ألا أعرف ابن عربى إلا من خلاله .. ولذلك لم أتطاول إلى ما وراء الأبعاد التى رسمها .. على أن الأبعاد التى رسمها لم تكن بالشىء المهين القليل .

ج — ولعلّ صلتى بالدراسات الأدبيـة والاجتماعية هى التى دلتنى على الكتاب فحببته إلىّ ، وهى التى حملتنى على أن ألتزم هذه الجوانب فى البحث فكان من ذلك أن أكتسى البحث فى جملته — أو قلْ غلب عليه — هذا اللون المزيج الجديد من ألوان الدراسة الأدبية الاجتماعية موصولةً بالدراسات النفسية مستفيدة من معطياتها .

د — لقد خلف ابن عربى كثرة من الكتب التى تقفه فى ذروة المؤلفين فى اللغة العربية ، ولكنى أقدر أن كتابه هذا ، على صغر حجمه ، واحد من أبرز كتبه ، ولعله أن يكون — حين يتوفر له حظ طيب من العناية به — واحداً من أرفع الكتب الانسانيـة التى تجمع بين العمق والبساطة ، بين السلاسة والوضوح ، بين الأسلوب الأدبى السمح والحقائق الانسانية الخالدة ، بين الترجمة الذاتية والتراجم الموضوعية ، بين الأدب وبين التصوف ، فى إطار رائع من الحماس الدينى المتوهج ، والتدفق البيانى الصافى ، والهدف التربوى البعيد .

هـ — وسيظل ابن عربى نهب دراسات كثيرة تتصل بآرائه فى التصوف ، ومذهبه فى المعرفة ، وتفسيره للوجود .. وقد تذهب به هذه الدراسات مذاهب

مختلفات هنا وهناك تحقيقاً لأصالته أو نفياً لها ، رفعاً لمكانته أو خفضاً منها ، محاولة لإفراده وتمييزه أو طياً له فيمن سواه ، تقديراً له أو حملة عليه ، تفسيراً لآرائه أو تشويهاً لها ، تأييداً له أو معارضة . . ولكن من المؤكد أن هذا الكتاب سيظل — من بين كتبه الأخرى كلها — موضع التقدير والتفرد ، وسيقف أصدقاء ابن عربى وخصومه موقفاً واحداً من التأكيد على مجموعة من القيم الكبرى تنتثر وتجتمع فى كل صفحات الكتاب ، قيم من هذه القيم الانسانية فى طلب الحق ، ونشدان الخير ، وصدق البيان ، قيم من مجموع هذه القيم الانسانية التى لا سبيل إلى الشك فيها ولا إلى الخصومة حولها .

و — وإذا كانت كتب ابن عربى — على طابعها العام — تختلف بين أن تكون إلى التصوف أقرب ، وبين أن تكون إلى الأدب أقرب . . بين أن تكون قضايا التصوف أظهر عليها ، وبين أن يكون اللبوس الأدبى أغلب عليها . . أعنى أن تكون بين « الفتوحات » وبين « مسامرة الأبرار » ، بين « لطائف الأسرار » ، وبين « ترجمان الأشواق » . . وإذا كانت تتراوح على كتبه أنسام رفيقة من الأدب أو تعلوها لجج عميقة من معضلات الفلسفة وشطحات التصوف ، فإن كتابه هذا من أرفع الأمثلة على الأدب المتصوف أو الصوفية التى تجلببت بجلباب الأدب إن صح هذا التعبير . . إنه قمة سامقة فى الأدب لأنه ، فيما سنرى ، مزيج متمازج من الحوار الداخلى والاعترافات الصادقة واستبطان النفس لا تكاد تجده فى كتاب آخر على هذا النحو من حدة الذهن ، ويقظة الوجدان ، وذكاء الخاطر ، وسلامة الذوق . . إلى جانب أنه قمــة سامقة فى التصوف : فى التحبيب به فى نطاق الخلق ، والدعوة له فى مجال السلوك ، وتجريد النفس من كل غرورها ونزولها عن كل مدعياتها وبصرها بذاتها فى مجال الاقتراب من الله والحضور معه .

وكذلك استطاع ابن عربى أن يجعل من هذا الكتاب شعلة متقدة من الانفعال والرأى ، من العاطفة والفكر ، من الإيمان والعقل ، من النظر

والسلوك ، من التواضع والتسامى ، من الحقيقة والطريقة ، من الوصول إلى الله من أقرب الطرق إلى الله ومن الوصول إلى عمق النفس من أقرب الطرق إلى النفس . . ومكن له أن يمزج بين ذلك كله مزجاً يدفع بنا إلى أن نُنْزِلَ الكتابَ مثل المنزلة المتألقة التى ينزلها فى التراث الإسلامى وفى التراث الانسانى كتب أخرى كالمنقد من الضلال وحىّ بن يقظان ، على ما يكون بينه وبينها من خلاف فى الفكرة والهدف والأسلوب .

ز — وإذا كان فى حياة الانسانية قلة من التجارب الفذة فى مجالات الحقائق الخالدة التى يؤرق الانسان أن يتعرف إليها تعرفاً أعمق ، من مثل المعرفة والخير والحب والاخلاق — عصفت بالقلة الفذة من النـــاس فهزتهم وصهرتهم وتفجرت عندهم فكراً أو سلوكا أو أدبا أو فلسفة — ثم دفعتهم أن يسجلوا ذلك فى مثل هذه الكتب على أنه توعية للناس بنفوسهم ، أو تقويم لسلوكهم ، أو تهييج لأفكارهم ، أو تقييم لمعارفهم ، أو وصل لهم بالله ، أو إيحاء لهم بالتنوير أو دفع بهم إلى التدبير ؛ فإن تجربة ابن عربى فى هذا الكتاب هى واحدة من هذه التجارب التى استطاع أن يفصح فيها عن كثير مما كان يملأ نفسه وقلبه وعقله ، وأن يسخر ذلك كله ليكون — فيما رأى — طريق الناس إلى الله ، وسبيل النفوس إلى الخير ، ووجهة العقل نحو اكتساب المعرفـــة .

من أجل كل ذلك يكتسب هذا الكتاب قيمة خاصة ، ومن أجل كل ذلك كانت هذه الدراسة حوله ، وانى لأرجو أن تكون قد أسهمت إسهاماً خيراً نافعاً فى هذا الأسبوع الأندلسى . والله ولى التوفيق .

تمهيد وتعريف

١ — الرسالة

كتب ابن عربى هذا الكتاب على أنه رسالة وجهها إلى (وليّه فى الله تعالى وأخيه الركن الوثيق أبى محمد عبد العزيز بن أبى بكر القرشى المهدوى نزيل تونس . . ص ٣) . وكان ابن عربى قد غادر المغرب إلى المشرق فزار القاهرة والقدس ومضى إلى الحجاز يؤدى فريضة الحج ، فجاور فى البيت الحرام ، وكتب إلى وليّه[1] (بهذه الرسالة من مكة حرسها الله وشرفها فى شهر ربيع الأول سنة ستمائة وطاف بها أسبوعاً وألمسها الحجر الأسود والملتزم والمستجار وأدخلها البيت والمواضع الفاضلة تيمناً وتبركا . ص ١١٣) .

وإنما اختار ابن عربى لرسالته وليّه وصفيّه هذا لأنها كانت — فيما سنرى — تعريةً لمصوفة الزمان في مواقفهم التى خالطها الزيف وداخلها الباطل ، ودعوةً إلى الله قائمة على النصح والصدق وملاحظة الحق ، وتطهيراً للنفوس وسمواً بها حتى تصل إلى غايتها من الحقيقة ، فلم يجد من يبثه هذا الحديث ، ويتوجه إليه بهذه الرسالة إلا هذا « الركن الوثيق » لأنه كان من الشأن بمكان يدل عليه هذا الخطاب (وقد فزت يا أخى — جعلنى الله وإياك من الفائزين — فى زمانك هذا بخلال لم أقدر أن أراها من غيرك ، منها : معرفتك بمرتبة العلم وأهله وعدم تعريجك على الكرامات والأحوال . ومنها انقيادك للحق وتواضعك له ونزولك إليه عند من وجدته سواء أكان ممن تلحظه العيون أم لا يؤبه له ،

---

(١) يبدو أنه كان من عادة ابن عربى أن يقدم كتبه ورسائله إلى الخلص من إخوانه وأصدقائه وشيوخه ومريديه . فقد أهدى كتابه الضخم « الفتوحات المكية » إلى عبد العزيز المهدوى هذا ، وأهدى كتابه « إنشاء الدوائر » إلى الصاحب المولى عبد الله بدر الحبشى .

ولم تلحظ منزلتك الدنيوية من تعظيم الناس لك وتقبيلهم يدك واتيان السلاطين إلى بابك وهذا غاية الانصاف ، ثبتك الله وإيانا . ومنها قولك فيما لا تعلم : لا أعلم ، وفيما تعلم : أحب أن أسمعه من غيرى — فقد حزت والله ياولىّ هذه الخصال التى تتطاير دونها رقاب الرجال والمقام الذى لا تغيره الأحوال ولا تزيده حسنا ووضاءة رواتب الأعمال . ثم بحثك الذى لم أره من غيرك فى معرفة الانام والزمان ، واعتقادك أنه من فروض الأعيان ، من أعجب ما سمعته الآذان وتسامرت به الخلان ، وسارت به الركبان ، ثم ما وهبك الله من الصولة والقوة على الفقهاء بدلائل المكارم والفتوة ، الجـارية مع براهين النبوة . ص ٤) .

وقد بدا لابن عربى بعد أن أنجز رسالته هذه أنها عمل طيب ، فرضى عنه وارتضاه ، ووجد بمـا فتح الله به عليه وهو فى رحاب الله المباركات فى جوار البيت الحرام ، أنه إنما فعل ذلك عن أمر الله ولذلك كان من اعتداده بعمله أن كتب إلى صاحبه آخر الرسالة (فهذا ياولىّ ما أمر الله وليك وصفيك أن يخاطبك به والله لا يستحى من الحق ، وحقّ الله أحقّ ، واعلم أن هذه الرسالة من أعظم منن الله عليك ، ومن أسنى تحفه إليك ص ١١٢) .

٢ — المنطلق

وقد انطلق ابن عربى فى عمله هذا مندفعاً بقوة التجربة التى خاضها ، وعمق الاحساس الذى خالطه منذ كان فى المغرب حتى كان فى المشرق فى حرم الله ، منذ دخل طريق القوم حتى استوى من هذا الطريق على أرفع ذراه وأرفع مراتبه . . وقد انتهت به هذه التجربة — بما خالط من الناس ، وعرف من القوم ، وصحب من الشيوخ ، وانتفع برجال من رجال الله ، ولَقِىَ ولُقِىَ وسَلَّك وسُلِّك — إلى هذا الاحساس المزدوج الذى يتطـابق فيه وجهاه على حقيقة واحدة كانت تصرخ دائماً فى أعماقه وتلحّ عليه فى عملٍ ما

يواجه به الناس ويدعو فيه إلى الطريق ويخلص فيه النصح . . هذا الاحساس المزدوج تبدّى فى مظهرين .

ا — إحساسه بواقع زمانه وفساد هذا الزمان ، وحاجة القوم إلى كثير من التخلية بينهم وبين طيبات الدنيا ، ومدافعة باطلها ، والخلاص من اسار شهواتها ، والانطلاق فى سبيل الحق (وحق الله أحق . ص ١١٢) .

ب — إحساسه بمسؤوليته أمام هذا الزيف الذى يوشك أن يغطى الحقائق ، وتأريق هذا الاحساس له ، وسيطرته عليه سيطرةً دفعته إلى أن يجد نفسه — دون أهل زمانه — ملتزماً بموقف الناصح . . ولكنه ليس واحداً من عامة هؤلاء الناصحين الذين يعج بهم المجتمع ؛ وإنما هو (ناصح ، شفيق ، مأموز بالنصح ، مشدد عليه فيه ص ٣) .

إن ابن عربى فى هذا إنما ينطلق من إحساسه بأنه قد وُضع موضعاً خاصاً لمهمة خاصة هى مهمة النصح وقولة الحق على ما يكون لقولة الحق فى نفوس الناس من آثار (فما ترك الحق لعمر من صديق . . ص ٣) .

٣ — الأساس النفسى

والأساس النفسى الذى اتكأ إليه ابن عربى فى رسالته اتخذ طائفة من الملامح وظهر فى مجموعة من المعارض يلخصها أو يجمعها أن النفس الانسانية تشمخ على الحق وأن الانسان يقبلُ النصح من غيره لا من نفسه (ص ٣) وأن الناس قد غفلوا : خافوا الله على سيئات غيرهم وذنوبهم وأوزارهم وأمنوا على ذنوبهم (ص ٤٥) — وأن الأصل فى اجتماع أهل الله ومخاطباتهم أن يكون على ذكر المعايب والأوصاف لا على ذكر المدحة والاتصاف (ص ١٠٨) — واننا — فى طريق الدعوة — لا يحسن بنا أن ندخل على النفوس من عَلٍ نقتحم عليها وجودها اقتحاماً ونرهبها إرهاباً ، ونلقى إليها بالحق تقريراً وندفعها

إلى التزامه دفعاً ، وإنما نحتاج أن نترفّق بها وأن نتصيّد السبل إليها . ولذلك كان من صنيعه — فى تحقيق هذا الأصل النفسى — أن وضع نفسه موضع المتهم وتمثلها فى موقف المغرور صاحب الدعوى العريضة ، وجرَّد منها نفساً أخرى تحاسبها ، فكان من ذلك هذا الحوار الداخلى المثير ، وهذه الطريقة المؤثرة فى ترويض النفس واستئناسها . فلما استوى له أن يعرّيها من غرورها وأن يبصرها بحقيقتها ويعرفها ضعفها ، صار إلى أن يضرب لها المثل ويذكرها بالأسوة الحسنة ليدلها على (أن الزمان لم يخل من الرجال الجارين على أسلوب المتقدمين . . ص ٨٥) وييسّر إليها الطريق فلا ترى فيه الهدف الذى لا يدرك والغاية التى لا تنال .

وكذلك أحس ابن عربى النفاذ إلى نفوس النـاس فلم يفرق بينه وبينهم ولم يضع ذاته فوق ذاتهم وإنمـا اتّحد المتحدِّث والمخاطَب ، والتقى المحاسِب والمحاسَب . . هو الناصح المشفق وهو كذلك المنحرف المخطئ . . نفسه الأولى هى المحاسَبة ونفسه الأخرى هى المحاسِبة . . ولم يكن صديقه الذى وجه إليه الرسالة إلا المسرح الذى تبرز فيه هذه الحركة المزدوجة الموحدة بين ابن عربى وبين نفسه ، وكأنمـا جعله مَطرَح هذه الدعوة ليكون الشاهد الحاضر ، تبرئة لذمته وإشهاداً على دعوته ، وكأنما جعل منه هذا الوسط الموصل الذى يُفشى هذه الدعوة ويكون أداة بلاغ لها ، يخرج بها من النطاق الذاتى الضيق لتجربة ابن عربى إلى نفوس الناس جميعاً . وكان صنيعه فى ذلك كله صنيعاً دقيقاً قائماً على الاحساس بمداخل النفس ومساربها ، وما لها من نزعات ونزوات ، وما تحتاج إليه من حسن التوسل والتحيّل ، بُغية إدراك الهدف الذى تتطلع إليه .

٤ — الهدف

وكان الهدف الذى تطلع إليه من هذا الصنيع فى رسالته هذه هدفاً متشعباً متوحداً فى آن . . ويتمثل تشعبه فى كـثرة ما أثار من قضايا وطرح من

مشكلات . . فقد نعى على الزمان وأهله ما هم فيه وما هم عليه ، وهاجم متصوفة عصره أو جلّهم ، وكشف ما وقعوا فيه من غرور فى حياتهم النفسية وفى حياتهم العلمية ، وصوّر كيف طغت عليهم الدنيا وأغرتهم الطيبات ، فتعبدوا للشهوات . . وشنّ على الفقهاء أو على أكثرهم حملة عنيفة منتصراً منهم للسادة الفقراء ، ذاباً عنهم . . ونثر هنا وهناك طائفة من الآراء فى هذه المسألة أو تلك مما يتعرض له المتصوفة ، وقصّ سيرة الطائفة المختارة من أهل الصُفّة والصحافة والتابعين ، وترجم لعدد كبير من شيوخه ومتصوفة زمانه . ودعا إلى ألوان من السلوك فى حياة المريدين . . هذا إلى جزئيات كثيرة أخرى لا سبيل إلى حصرها .

ولكن كان وراء هذا التشعب ، أو ما يبدو أنه تشعب ، هدف كبير يجسد وحدة الكتاب وينفى عنه التكثر أو التشتت إن شئت . . وكان هذا الهدف الكبير قادراً على أن يلفّ كل الجزئيات وأن يسيغها ، لتبدو وسائل إليه وسبلاً نحوه . . ذلك هو أن يدفع الناس إلى الحضور مع الله وأن يدلهم على الطريق الحق الذى لا يخالطه الباطل ولا تكدره الدنيا ، وأن يعلّم الانسان كيف يجهد فى سبيل تصفية نفسه : تنقيتها وتخليتها وتحليتها ، وكيف يروضها على الطاعة حتى لا تأنس بغير الله ، ولا يكون لغير الله فيها وجود .

وكذلك بدا أن هذه الأهداف المتشعبة لم تكن إلا وسائل . . وان كانت هنالك هذه الأهداف الاوائل والثوانى ، وأن ما بين الوسيلة والهدف لم يكن اختلافاً وتبايناً وإنما هو تضامّ وتكامل .

وكذلك بدا التقاء ما بين الهدف والوسيلة عند ابن عربى واتحادهما حتى لا تكاد تملك أن تفرق بينهما إلا على شىء من اصطلاح وتعارف .

٥ — المنهج

وكان نهجه فى الكتاب نهجاً يتسم بالواقعية ويصطبغ بالصبغة العملية . . لم يسرف فى الأدلة النظرية وإنما اتكأ على المثل الحىّ ، ولم يلجأ دائماً إلى التفلسف

وإنما اعتمد على النماذج البشرية ، ولم يخاطب الناس خطاباً هو فوق ما يطيقون وإنما حدثهم عن الأسوة الحسنة فى نصوص القرآن وحياة الرسول وسيرة الصحابة والتابعين ، وعن المسلك الطيب فى حياة هؤلاء الذين كانوا يعاصرونه من شيوخ ومتصوفة . وحين كان يتصل الموضوع بالتدليل على رأى والبرهنة على فكرة فان ابن عربى لم يَعْدُ هذا النهج العلمى إلا فى القليل . . كان يذكر الآية التى تشهد له ، ثم يذكر الحديث النبوى الذى يدعمه ، ثم يعقب بما كان من أقوال الصحابة والتابعين أو عملهم ، ثم قد يكون بعد ذلك ، فى المرحلة الأخيرة — شىء من نقاش يسير .

لقد استوى لابن عربى هذا الكتاب فى اطار من الواقع ، ودعا دعوته فى موكب من الأمثلة الحية واليسيرة الشاهد .

٦ — الأقسام الرئيسية فى الكتاب

ولم يكن كتاب ابن عربى قسمة فى فصول وأبواب ، وإنما كان يتعاقب فيه الحديث وراء الحديث والترجمة وراء الترجمة ، ولم يكن عنده أفكار يريد أن يجزئها ويفصلها ويبوبها وإنما كان عنده دعوة اتخذت أسلوب الحكاية ، ونصيحة تجلببت بجلباب من القص ، ورسالة وصل بها إلى الناس عن طريق قلوبهم وأفئدتهم . . ولهذا كان الكتاب كله نفساً واحداً . . كان كأنما هو فيض بدأ ثم انساب ثم توقف آخر الشوط ، حيث أراد أن يتوقف .

ومع ذلك فنحن نستطيع ، فى محاولة لتقريب موضوعات الكتاب ، أن نقول إنه ينطوى على الأقسام التالية :

١) مقدمة الرسالة فى التوجه إلى وليّه ، وذم الزمان والنعى على المتصوفة الذين تعلقوا بالظواهر .

٢) حديثه عن نفسه فيما طرأ عليها وامتحانها بعرضها على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أهل الصفة وبعض الصحابة ونفر من التابعين .

٣) ترجمة بعض شيوخه الذين لقيهم وانتفع ببركاتهم .

٤) خاتمـة الرسالة وفيها حث على النهوض بالأمانة عن طريق التذكير بنعم الله على الإنسان . وبين ذلك وحول ذلك كان ابن عربى ينثر بعض المسائل والآراء والقضايا مما يتصل بهدفه الأصيل أو ينتهى إليه .

وليس معنى هذا التقسيم أن هنالك هذه الحدود بين هذه الاقسام ، ولا أن هذه الاقسام قاصرة على هذه الموضوعات . . فليس شىء من هذا التحديد فى أسلوب ابن عربى الحي المتدفق الكثير الشواهد . وإنمـا تتداخل العناصر وتتلاقى ، وقد يعترض بذكر مسألة ، وقد يستطرد بذكر نكتة ، وقد يتطرق إلى موضوع من الموضوعات التى كانت تملأ ذهن المتصوفة آنذاك كالسماع والشعر ، والسعى والاتكال ، والاعتراض والانتقاد . .

٧ — قيم الكتاب

وقد عنينا فى هذا البحث بدراسة الكتاب وعرض بعض ما فيه وتقييمه من نواحيه المختلفات فوجدنا أنه نص أدبي ، ووثيقة اجتماعية ، ومرجع أندلسى ، وترجمة شخصية ، ورسالة تصوف ، وأن له إلى جانب ذلك قيمته التربوية وقيمته العلمية . . وأنه بسببٍ من ذلك كله جدير أن يكون موضع عناية فى مثل هذه الجلسات الأندلسية ، وموطن اهتمام حين نتحدث عن التراث الإسلامى .

٨ — طبعات الكتاب

وقد طبع الكتاب طبعة حجرية فى القاهرة منذ نحو مائة سنة وخمس سنوات — أوائل ذى القعدة الحرام من سنة ١٢٨٠ هـ. — ثم نسيه الناس إلى أن طبع مرة أخرى فى دمشق فى العام الماضى (١٣٨٤ هـ./ ١٩٦٤ م.) طبعه جماعة من محبى الشيخ الأكبر على النسخة الحجرية وعلى نسخة مخطوطة ، وإن كان المشرفون عليه لم يستوفوا غايتهم من التحقيق ، إذ كانت رغبتهم السرعة فى

إحياء الكتاب بعد طول اهمال له . . ولكنهم ينوون — فيما علمت — معاودة طبعه معارضاً بعديدٍ من المخطوطات التى عرفوها .

وقد نشر الأستاذ بلاسيوس سنة ١٩٣٩ م. قسماً منه — فى مطبوعات معهد الدراسات العربية فى مدريد وغرناطة — بعنوان رسالة القدس ، تضمن تراجم المتصوفة الذين لقيهم ابن عربى ، وكان عددهم (٥٥) بين رجل وامرأة ، وختمه بفهرس للأعلام ، واعتمد فى ذلك مخطوطة الاسكوريال (٧٤١ الورقة ٢١ — ٤٠) ولم يشر فى المقدمة إلى غير الغرض التعليمى الذى قصد إليه من نشر هذا القدر ، وذلك أن يضع بعض النصوص العربية بين أيدى الطلاب الاسبان الذين يقبلون على دراسة العربية .

ولم نعن فى هذا البحث بالنص ، تثبتاً منه وتحقيقاً له . . وإن كان مما يلفت النظر هذا الخلاف بين نشرة بلاسيوس وبين نشرتى القاهرة ودمشق . وانا لنرجو الله أن تتاح لنا فرصة طبع هذا الكتاب معتمدين على ما يجتمع لدينا من نسخه أو أن نعاون فى ذلك إخواننا فى دمشق الذين يحرصون على معاودة الطبع ، ذلك أننا نرى أن الكتاب ثروة إنسانية رائعة ، وأثر أدبى سام ، ودعوة خلقية حارة . . إنه كتاب فذ فى تراثنا جدير أن يحتل مكانته بين روائع الآثار الأندلسية والاسلامية والانسانية .

وفى الصفحات التالية دراسة للكتاب وتقييم له من جوانبه المختلفات .

أولاً — القيمة الادبية

قلت فى التمهيد إن روح القدس من بين كتب ابن عربى أقرب إلى أن يكون متحلياً بسماتٍ من الأدب منه إلى أن يكون كتاباً منقطعاً لقضايا التصوف . . وعنيت بذلك أن الكتاب يتكشف عن بعض القيم الأدبية المتميزة

التى تتمثل فى طائفة من المظاهر ، وأن حكاية النفس هذه التى حكاها ابن عربى جعلت من وجوده الأدبى وجوداً واضحاً فى الكتاب كله ، فى أجزائه وجزئياته ، فى بنائه الكلى وتفصيلاته .

وتتمثل الروح الأدبية التى عرض فيها ابن عربى أفكاره فى المعارض التالية :

١ — فى بناء الكتاب

حين نتتبع أقسام الكتاب تبدو لنا ، للوهلة الأولى ، وكأن بينها نوعاً من الانقسام أو شيئاً من التزيد ، ولكننا لا نكاد نتعمق صلاتها حتى يستبين لنا أن ما بدا انفصاماً كان فى الواقع تلاحماً ، وأن الذى نظنه تزيداً إنما هو من صميم العمل المحكم الذى قام به ابن عربى .

والحق أن الرجل التزم هدفه الكبير فى الدعوة إلى التصوف فى كل صفحة من صفحات الكتاب فى سلسلة من المواقف . . فى الموقف الأول الذى نعى فيه على متصوفة الزمان كان الجانب السلبى ، وكان لا بد بعده من جانب إيجابى . ولكنه لم يلجأ فى سبيل بناء هذا الجانب الايجابى إلى إلقاء المواعظ وسرد الخطب وتقرير ما يريده تقريراً ، وإنما وضع نفسه موضع الامتحان فكشف عوارها وأبان غرورها وأظهر قصورها حين قاس عملها بما جاء فى القرآن الكريم وبما كان من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة والتابعين . ومثل هذا الأسلوب يستتبع فى نفس القارئ شيئاً من العدوى ، فإذا هو كذلك يحس القصور ويجد الضعف ويدرك ما بينه وبين المثل الأعلى من بَوْن ؛ ويطمح إليه ، ولكنه يترواح بين العزم والضعف ، وبين الإقدام والإحجام فيأتى الموقف الثالث ليغذى طموحه ويقوى من عزمه حين يقص ابن عربى سيرة جماعة من شيوخه وإخوانه . وليس هذا فيما يبدو مكان الترجمة لهم ولكن ابن عربى لا يريد الترجمة وإنما يريد أن يقول للذين يضعفون عن

متابعة المثل الأعلى (إن الزمان لم يَخْلُ من الرجال الجارين على أسلوب المتقدمين باختلاف أحوالهم . ص ٨٥) ، وحينذاك تكون هذه الترجمات ، بتفاصيلها المثيرة وأحداثها الشيقة ومجاهدات أصحابها وما لقوا فى سبيـل الله وما بذلوا — دافعاً عنيفاً يدفع بالقارئ فى طريق الله وفى سبيل الحقيقه . ثم لا يكاد ينتهى هذا الموقف الثالث حتى يبدأ الموقف الرابع بعده تأكيداً على هذا الاتجاه عن طريق آخر ، عن طريق ذكر نعم الله على الانسان وواجب شكره فى اتباع هدايته . وكأن الطريق إلى الله — بعد هذا كله — لم يغدُ ممكناً فحسب وإنما أضحى واجبا محبباً تقبل عليه النفوس من طواعية ورضى بعد أن استيقظت عندها أفضل نوازعها وماتت عندها أسوأ نوازغها .

إن بناء هذا العمل على هذا النحو ، فى تدرجه من الانكار على المتصوفة إلى الرغبة فى التصوف ، وفى أسلوبه الذى ينتقل بك دون أن تحس النقلة من طور إلى طور فى أناة وحذر وبعد عن أن تتهم صاحبه أو تظن به ، وفى محاولته أن يجعل من نفسه القدوة لك وأن يجاوز بك أن تكون المشاهد للتجربة إلى أن تكون صاحب التجربة — عمل فنى رائع لا يقدر عليه — على هذا النحو — الا مقتدر فى البيان ، قوى على النفاذ ، متمكن من مكامن النفوس وسرائرها ، يعرف كيف يغزوها من حيث تظن أنها فى مأمن ، ويقودها من حيث لا تحس ، ويبلغ بها إلى الهدف أبعدَ ما تكون عنه ، ويصل بها من النقيض الذى كانت فيه إلى النقيض الذى أراده لها .

٢ — فى الحوار الداخلى

فإذا تجاوزنا البناء فى خطوطه الكبرى بدت لنا القيمة الأدبية للكتاب فى كل أجزاء هذا البناء . . وكانت أشد ما تكون وضوحاً فى اصطناع هذا الحوار الداخلى الذى أداره ابن عربى بينه وبين نفسه ، فقد تميز هذا الحوار بصفتين : الغنى والإثارة . . كان الحوار مثيراً لأنه كان يجرد نفسه — وهى تدعى أعرض

الدعاوى وتنزل فيما تظن أرفع المنازل — من دعاواها كما ينجرد الغصن من أوراقه ورقة بعد ورقة ، وكان ينزل بها خطوة بعد خطوة ، وكان يباعد ما بينها فى الواقع وبين المثل الأعلى الذى تحسب أنها منه حين يصور لها هذا المثل الأعلى ، فإذا هى تقر بعجزها عن هذا المثل فى صورته فى القرآن ، فما لها بالقرآن الكريم من قِبَل (لأنه البحر الأعظم الذى لا يدرك قعره إذ ليس له قعر فيدرك ، ولا ساحل فيبلغ ص ١٣) ، فيدعوها إلى أن يعرض عملها على سنة رسول الله فتأبى عليه ذلك متسترة بالأدب (فإن فلك النبوة ليس لنا فيه قدم ، ولا تقوم لك به علىّ حجة ص ١٣) ، ثم يعرض حالها على حال بعض أهل الصفة واحداً بعد واحد ويسألها أين هى مما يعرض عليها فإذا هى تتضاءل وتتضاءل حتى لا يكون منها ، من كل اعتدادها الذى كان لها ، شىء .

وكان الحوار غنياً لأنه حفل بألوان من القص ، وأطراف من الأحاديث وجملة من الأساليب . . كان فيه أمثلة من الصبر على الأذى ، وأمثلة من مجاهدة الاهواء ، وأمثلة على الحرمان من طيبات الدنيا والنفور من السلطان . . وعشرات من الأمثلة الأخرى المتلاحقة ، شأنها كلها أن تفعل فى النفس من نحوين : أن تظهر قصورها من نحو وأن تثير طموحها فى نفس الوقت من نحو آخر ما دامت تقف فى الأصل موقف التحدى .

إن الحوار الداخلى عمل فنى صعب لا يقوى عليه إلا الذين يملكون من البيان أقوى أساليبه ، ومن معرفة النفوس أدق سرائرها . . إن فيه روعة الكشف عن المجهول ، وطمأنينة الاعتراف ، وحرارة التراشق ، ولفتات الحوار ، وغياب الرقيب ، وإيضاح كثير مما بيننا وبين أنفسنا مما لا نقوى على تحقيقه فى ملأ من الناس ، ولقد كان هذا الحوار من أمتع ما فى الكتاب من نحو أدبى ، استطاع معه ابن عربى أن يتابع ، فى تواتر خصب متزن ، هذا الافتراق والتلاقى بين نفسه المحاسِبة ونفسه المحاسَبة ، وهذه الخصومة والمصالحة بينهما ، وهذا التدافع والتجاذب ؛ وكان ينتهى فى كل جولة إلى غلبة النفس المحاسِبة

ثم يعود إلى ملاقاتها مع نفسه الأخرى فى مستوى جديد وجولة جديدة . . حتى تحققت الغاية الكاملة فى نوع من الإقناع الذى لا يخالطه القهر ، ومن الاقتناع الذى لا تخالطه الشكوك .

٣ — فى السمة الواقعية : البعد عن التجريد ومجانبة الاخيلة والرموز

وتتجسد ملامح الروح الأدبية عند ابن عربى فى هذا الكتاب فى هذا البعد عن التجريد والاقتراب من الواقع والاعتماد عليه . إن ابن عربى واحد من الذين أوْلَوا الرمز فى أدبهم اهتمامهم ، وكان له فى شعرهم ونثرهم وفى أفكارهم كذلك مكانة . . ولكننا لا نجد هنا انصرافاً إلى الرمز بل أننا لا نكاد نجد مكانا للتخيل ، اللهم إلا ما كان من تمثل النفس المحاسِبة والنفس المحاسَبة ، وليس هذا بالشىء الذى يستوقفنا عند المتصوفة الذين يعتمدون قوة التخيل ويصطنعون الاشارات والرموز ويحولون الكثرة من معانى الحس إلى معانى الروح ، ويغيب عنهم عالم الواقع فى نطاق من عالم المثل والتصورات .

ومع ذلك فإن ابن عربى لم يُخَلِّ ما بينه وبين التخيل ، ولكنه لم يستعمل هذا التخيل استعمالا فجاً ولم يستتر به الحقائق التى يريد أن يعرضها والأفكار التى يرغب فى نقلها . . إنه استعمل التخيل فى نطاق الواقع إذا استقام فهم هذا التعبير . . بمعنى أن صوره وأخيلته كانت تقتبس من الواقع نفسه ، وكانت كذلك تقريباً لهذا الواقع أو تضخيماً له فى نفس محدثه أو تمكيناً له منها . . حتى إذا غادره غادره مطمئناً إلى أنه خلف عنده كل الأثر الذى يبغيه .

وسنتحدث عن هذا الخيال المادى حين نتحدث عن صوره ، وحسبنا هنا أن نشير إلى هذين الأمرين : أولهما أن معانى ابن عربى كانت فى أكثرها — فى هذه الرسالة — بعيدة عن التجريد الذى نعرفه فى كتبه الأخرى التى يغلب عليها فلسفة التصوف ، والتى يتجه فيها إلى خواص القوم والشيوخ

المتمكنين . والآخر أنه لم يُغْرِب فى هذه المعانى ولم يتعمق ولذلك لم يضطر إلى الرموز الكثيرة البعيدة ، وإنمـا كانت هذه المعانى قريبة دانية مما يسوقه إلى الناس جميعاً . ولذلك استخدم ، للتمكين لها ، التخيل الواقعى .

٤ — الصدق النفسى : العفوية والتدفق

مثار الاعجاب الأدبى بعمل ابن عربى يرتد كذلك إلى أنه عمل يمثل الصدق النفسى الذى يؤلف عنصراً أساسياً من عناصر نجاح العمل الأدبى وسموه . وهل هنالك من سبيل إلى الشك فى صدق ابن عربى النفسى ؟ . . لقد كان وهو يكتب رسالته كتلة توهج . . كان على رأس الأربعين وكان قد بلا أمر المتصوفة وخاض التجربة ، بكل ما فيها وبكل ما بدا منها من جيد وسيئ ، إلى شحمتى الاذن ، وكان بعيداً عن وطنه المادى الأول ، عن الأندلس ، قريباً من وطنه الروحى الأصيل ، قريباً من الله فى جوار حرمه يتنقل كهذه الطيور الآمنة . . وكان يحس ما وقر فى صدره من أنه ناصح ، شفيق ، مأمور بالنصح ، مشدَّد عليه فى ذلك ، وكان يجد فى تلاقى كل هذه الظروف والبيئات المادية والروحية وتفاعلها أن فى صدره من المعـارف والاسرار ما يصفه هذا الوصف العفوى الصادق (. . حتى انى لأنظر إلى البحر إذا اشتدت عليه الرياح الزعازع فعلا موجه وارتفع دويُّهُ ثم أنظر إلى تموّج بحر المعارف والأسرار فى صدرى فأجد معظم ذلك البحر بما وصفناه من تلاطم الأمواج واشتداد الرياح ساكناً لا حراك به عند تموج بحر الحكمة فى صدرى واصطفاقه ، لا سيا فى مكة المشرفة ص ١٢) .

على هذا النحو من اليقظة الروحية والإرهاف النفسى كتب ابن عربى رسالته ، وأنوار الله فى قلبه ، وحرم الله يؤويه وحرماته بين عينيه ، فكان صدقه أبرز طوابعه ، وكان مثل هذا الصدق جديراً أن يفجر عنده كل هذه القوى الكامنه وكل هذه الأساليب من التعبير وهذه الفنون من فنون القول .

وتفجر هذه الحقائق دون تكلف لها أو اصطناع هو الذى مكن لابن عربى أن يرى من جوانب النفس ما لم ير غيره ، وأن يرعى منها ما لم يرع سواه وأن يستثمر فى أدائه وبيانه ما لم يستطع غيره أن يفعل . . إنه أتاح له من الحدة واليقظة والتوقد فى المجالات النفسية ما لم يتح لعشرات من الآثار الأدبية . . فإذا أضفنا إلى ذلك أنه لم يكن يعنى — فوق هذا الصدق أو نتيجة له — بشىء من الزخرف استطعنا أن نلمح فى أسلوبه من العفوية والتدفق ما لا نلمح فى أسلوب آخر من أساليب الأدباء الذين يصطنعون الأدب أو يحترفونه .

إن الصدق النفسى عند ابن عربى لم يكن سمة من سمات أسلوبه ولكنه كان هو الذى فجر عنده أسلوبه . . لم يكن شيئاً يضيفه إلى مقومات عمله ولكنه كان هو المقوم الأساسى . . هو السمة وهو الموسوم ، هو الذى فجر هذا الأثر الأدبى عنده وهو كذلك صفة هذا الأثر الرئيسية . . ولذلك انكشف فى عمله من مجاهل النفس ما انكشف ، واقتحم هو ما اقتحم ، وكان الطابع النفسى ، فى مادته التى هى التجربة أو فى صفاته التى هى الصدق ؛ أبرز ما فى الكتاب .

٥ — المشاهد والصور

ولقد كان لهذا الصدق وما أتاح لابن عربى من حدة ويقظة آثار أخرى فى ملامحه الأدبية . . وتلك هى هذه الكثرة من المشاهد والصور التى استطاع أن يعرضها فى براعة ، والتى تحس ، وأنت تقرؤها ، أنها كانت عملاً فيه السرعة والبعد عن الكلفة ، تتيحهما العفوية ، وفيه الجزئيات تتيحها الدقة ، وفيه التلوينات الصغيرة يتيحها النفاذ .

وما يملك القارئ وهو يعرض الكتاب من أن يقف عند هذه المشاهد المطولة أو الصور المختزلة . . وما يملك كذلك أن يخلص من عدواها النفسية فينقاد لها أو يرضى عنها ، أو أن يتجنب إيحاءها المثير الذى يدفعه إلى أن يقف يتملاها ، ثم يقرنها إلى واقعه من حوله ثم يخرج منها إلى الاعجاب .

ولقد كان أبرز هذه المشاهد — فى الذى عرض ابن عربى من أحوال المتصوفة الذين تعلقوا بالظاهر — أنه صورهم وكأنما كانت كل صورة لهم حكماً قاسياً عليهم ووثيقة اتهام عنيفة يلصقها على ظهورهم وصدورهم . وانظر ما يكون من هذا الوصف (. . صوفية صوف ، باغراض الدنيا موسخون وموسومون ، عظمت الدنيا فى قلوبهم فلا يرون فوقها مطلبا ، وصغر الحق فى أنفسهم فأمجلوا عنه هرباً ، حافظوا على السجادات والمشهرات والعكاكز ، وأظهروا السبحات المزينة كالعجائز . طغام أطفال ، صبيان الأحلام ، لا علم عن الحرام يردهم ، ولا زهد عن الرغبة فى الدنيا يصدهم ، اتخذوا ظاهر الدين شركا للحطام ولازموا الخوانق والرباطات رغبة فيما يأتى إليها من حلال أو حرام ، وسّعوا أردانهم وسمنوا أبدانهم . . ص ٥) فى استحضار صورة هؤلاء الصوفية فى مسكنهم وملبسهم ، ومأكلهم ومشربهم ، فى الذى ينشرون من سجاد ويحملون من عكاز ، ويديرون بين أصابعهم من سبحة . . فى مدى هذا التناقض بين عالمهم الداخلى وقد خلا من كل علم أو زهد وبين عالمهم الخارجي وقد حفل بكل زخرف ، هذا التناقض الذى يردهم — وهم على ما هم عليه من سن عالية وزينة ظاهرة — إلى مثل صورة الصبيان : صبيان الأحلام .

والحق أن أحلى هذه المشاهد ما تلاقت فيه الجوانب المادية بالجوانب المعنوية ، ما اصطلح عليه حكاية الواقع من نحو والنفاذ إلى ما وراءه مما تغيبه الضمائر من نحو آخر . . ولابن عربى فى تصوير ما يحوك فى الضمير ، فى قصّه واستحضار جزئياته ، مواقف رائعة . . وانظر هذا المقطع الذى يصف فيه ما يكون من تأرجح النفس بين قراءة كلام الله وبين سماع الشعر ، وما تنتهى إليه آخر الأمر فى حضور السماع : (. . يقول القوال زخرف القول وغروره فأهتز وأقوم وأقول : شاباش هذا والله حسن . فأقسم بالله كاذبا ولا يزال الملعون من شيطانى يرقصنى كما يفعل صاحب القرد بقرده ، فإذا أخذ حاجته منى صفعنى صفعة فأضجعنى ، فيقوم من قلّ فلاحه مثلى فيغطينى برداء حتى يخلى سبيلى ،

وأقوم وأهنّأ ، وقد عزّانى الملأ الأعلى فى دينى وفيما مضى من عقلى . فإذا كان آخر الليل أنام أنا والجماعة السوء مثلى وقد تعبنا من كثرة ما رقصنا ، فلا نلحق ننام إلا والصبح قد قام ، فنقوم نتوضأ اقل ما ينطلق عليه اسم الوضوء ، ثم نجئ إلى المسجد ، هذا إذا وفقنا ، وإلا فالأغلب على من هذه حالته أن يصلى فى داره بإنا أعطيناك الكوثر وسورة الفاتحة كيفما كانت ، والقنوت ليس بواجب فأتركه ، وأنقرها مخففة جداً ، ثم اضطجع إلى وقت الضحى لأستريح ، هيهات والله ما كانت طريق الله هكذا . وإن كنت موفقاً أكثر من غيرى توضأت وخرجت إلى المسجد ، وإذا دخلت فيقال لى قد صلى الناس ، فلا أجد لذلك حزناً ولا أكترث بل أقيم الصلاة وأصلى وأخرج وكأنه ما فاتنى شىء ، لا هيَ القلب مسروراً ، وأقول بلسان الحال قد حصل لى أجر الجماعة بقصدى وأراحنى من تطويل الامام . . ص ٢٠) أرأيت هذا التمازج فى تصوير ما فى الاعماق وما على السطح ، بين ما يفكر فيه وما يقوله أو يعمله . . أرأيت كيف كان شأنه مع الشيطان ، وهذا الوصف — على أنه يستعيره من الحديث الشريف — للصلاة ينقرها مخففه جداً . . ثم أرأيت هذا التتبع لمسارب النفس وما يكون من بدواتها وتبريراتها ، كيف ينفذ إلى دقائقه وكيف يفكر فى جزئياته ، ثم كيف يصوغ من كل ذلك هذه الصورة المحكمة التى تستوفى غاياتها من إنكار السماع والتنفير منه ؟ . .

مهما يكن من شىء فنحن عند ابن عربى لا نواجه هذه الصور التقليدية التى نواجهها فى أدبنا المعروف نثراً أو شعراً ، فى موضوعاته المتكررة المعادة من المدح والوصف والرثاء ، ولا نواجه هذه المعانى التى أبلى الشعراء جدتها فإذا هى قد فقدت أكثر إيحائها أو كادت . . وإنما نواجه صوراً تأتى فى تضاعيف موضوع هو غير الموضوعات المطروقة ، وفى أساليب من الأداء وزوايا من التناول ليست هى التى عرفناها . . ومن أجل ذلك نحس جدتها ونجد لها مذاقاً غير ذاك المذاق ، لأن فيها من طراوة العفوية وطرافة التناول وجدة المعارض التى تساق فيها والتى تساق لها ما يحببها إلينا ويقربها منا .

٦ — الصورة المقارنة أو الصوره النقيض

وتتبدى المعارض الأدبية لابن عربى فى هذا الأسلوب الذى يكثر منه ويلح عليه ، ذلك هو أسلوب المقارنة ، يلجأ إليه كلما أراد التأكيد على معنى من معانيه أو إيضاح فكرة من أفكاره . .

إن الصورة ، بطبيعتها عند ابن عربى ، عمل توضيحى لا يقصد إلى الزخرفة قدر ما يقصد إلى الإيضاح ، ولا يهتم بالزينة قدر ما يهتم بالإبانة والكشف . . ولكن الصورة المقارنه المناقضة التى يضعها ابن عربى إلى جانب الصورة الأولى فى كثير من المرات تهدف إلى مزيد من الإيضاح والإبانة . . وكأنما يجد أن النقيض يفسر النقيض ، وأن الجزئيات التى لا تبدو فى واحدة تبدو منعكسة فى الأخرى ، وأن ما يفوته من جانب فى الصورة الأولى يستدركه من جانب آخر فى الصورة المقارنة .

وحين تحدث ابن عربى عن متصوفة الزمان أعطى أسلوبه هذه الوجهة ، فقد تحدث عن هؤلاء وعرض جانباً من صورتهم ثم لما انتهى من ذلك جاء يتم عمله عن طريق الصورة النقيض التي تحدث فيها كيف كان أهل الطريق فقال : (. . والله ما أعلم أهل الطريق كذا وما كان الطريق إلا بالقعود فى مرابض الكلاب مجاهدة ، وتحصل الأذى وكفه رياضة ، والرحمة والشفقة والعطف على الفقراء والمساكين والمسلمين كافة وتحقيقاً ومعرفة ، أين هم من صفة أهل الله . . ص ٧) .

ويستكثر ابن عربى من هذا الاتجاه ويتابعه فقد ألح مرة أخرى فى الصفحات نفسها على وصف أهل زمانه ثم على أن يصنع الصورة المناقضة ممثلة لأهل الطريق . . فقال عن أهل زمانه (وأما أهل زمانك فوالله لو أطلعت عليهم لرأيت إن نظرت إلى وجوههم عيوناً جامدة ، متحركة غير هامدة ، وإن نظرت إلى نفوسهم رأيت نفوساً سامدة ، وإن نظرت إلى قلوبهم رأيت

قلوباً لاهية ، من العمارة العلوية والقدسية خالية ، على عروشها خاوية ، آجاما لأسود ضارية ، ومرابض لذئاب عاوية ، فسل الله عند رؤيتهم العافية . . ص ٧ — ٨) وجاءت الصورة النقيض بعد ذلك مباشرة : (. . أين هم ياولبى من قوم . . جعلوا الركب لجباههم وساداً ، والتراب لجنوبهم مهاداً ، هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الأزواج . . يفرح الناس وهم يحزنون ، وينـام الناس ويسهرون ، ويفطر الناس ويصومون ، ويأمن الناس ويخافون ، فهم خائفون حذرون ، وجلون مشفقون . . ص ٨) .

ولم يقنع ابن عربى بذلك فعاد مرة ثالثة إلى أهل زمانه بالصورة الجديدة ، ولكن التضاد فى هذه المرة جاء عن طريق الاستدراك فقال (ولقد لقيت بهذه البلاد من يلبس سراويل الفتيان ، ولا يستحى بذلك من الرحمن ، لا يعرف شروط السنن والفرائض ولا يصلح أن يكون خديماً فى المراحض ، ومع ذلك ياولبى ففيهم والله الصدف الذى يخفى رفيع الدر ، والسياج على الروضة اليانعة ذات الزهر . . ص ٨) .

ومن المؤكد أن هذا التنقل بالقارئ بين الصورتين المتقارنتين المتضادتين إنما هو أسلوب من أساليب الأداء ومعرض من معارض الإبانة يحاول فيه صاحب الفن القولى أن يعتصر كل جهده فى سبيل التأكيد على الذى يذهب إليه .

٧ — الثنـائية

وقد قادته طبيعة موضوعه إلى أن يظهر فى أسلوبه طابع الثنائية ، لا فى صوره المقارنة فحسب ، بل فى تعابيره وتراكيبه وفقراته وفى هذا الفيض المتدفق من ألفاظه ومعانيه .

إن دعوته إلى طريق الحق وتنفيره من طريق الضلالات جعله ، فى عمله الأدبى ، كالطائر ذى الجناحين ينشر واحداً هنا وواحداً هناك ، لا يطير إلا بهما ولا تستقيم حركته إلا معهما .

ولذلك نجد عنده هذه الثنائية بين متصوفة هذا الزمان وبين المتصوفة الذين مضوا قبل . . نجد عنده أهل الشريعة وأهل الطريقة ، ونلقى الفقهاء والفقراء ، ونلمح الاعتقاد أمام الانتقاد ، ويتراءى لنـا أهل الوصال قبالة أهل الاستدلال ، والنور الذى يقذفه الله فى القلب قبالة الدليـل المنظوم والكلام المرتب ، والتفجر فى القلب قبالة الأدلة المحررة التى تضيق رحمة الله الواسعة ، وتجلّى الحقيقة قبالة ارتّداد العقل . . ونقرأ عشرات من مثل : الالهام والوسوسة ، والفراسة والشك ، واليمين والشمال ، والآخرة والدنيا ، والذكر والغفلة ، والحق والباطل ، والطاعة والمعصية ، والتنزيه والتشبيه ، والتوحيد والشرك ، وما إلى ذلك مما لا يحصره عد .

إن هذه الثنائية الأسلوبية — وإليها وحدها أقصد هنا — تنبع من طبيعة الموقف الذى وقفه ابن عربي يدعو الناس إلى الحضور مع الله وإلى الغياب عن الشيطان . . وموضوعه هو الذى انضج عنده هذه الثنائيات فى الألفاظ والتعابير والصور والتراكيب ، كما انضجه فى بناء الموضوع ذاته ، فقد بدأ يهدم المتصوف المغرور ليبنى المتصوف الحق ، ونظر إلى الماضى فى سيرة الصحابة والتابعين كما نظر إلى الحاضر فى صورة الشيوخ العارفين . . ومضت هذه الثنائيات تملأ عليه كل طريقه فى كل صفحة من رسالته لتكون واحداً من ملامح أدبه الذى يعبر عنه ويدل عليه ، ولتؤدى عنده غايتين اثنتين : الإيضاح من نحو والجمال الذى يتيحه تعاقب ما بين الاضداد وتناسقها من نحو آخر .

٨ — الوضوح

والوضوح نتيجةٌ لأكثر هذه الملامح الأدبية التى تحدثنا عنها ، يقود إليه الصدق النفسى ، ويساعد عليه التصوير الواقعى ، ويمكن منه هذه الثنائية ؛ لذلك كان ابن عربى فى كتابه هذا بعيداً عن الاستغلاق والابهام ، قريباً أكثر ما يكون القرب من الوضوح . . لم يسلك المسالك الوعرة ولم يقترب منها . .

بل إنه ، فى كثير من المواقف ، كان يحاول أن يبتعد عنها . . وكان فى كثير من المرات يكتفى بذكر رؤوس المسائل التى تحتاج إلى شىء من العمق والدقة والخصوصية ، عرضاً لعناوينها وسرداً لها على نحو ما فعل فى آخر حديثه عن شيخه الكومى (أفادنى شيخنا هذا مسألة الوصال ، وأنا سيد ولد آدم ، وآدم ومن دونه تحت لوائى ، والتدبير نصف العيش ، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه ، وقلب القرآن يسن ، ولم يسبقه أحد إلى هذه المسألة فى بلادنا ، وغير ذلك مما لا اتذكره الآن فرضى الله عنه وأرضاه ص ٥١) . وما أقل ما تعمق فى واحدة منها ، فعل ذلك فى مواطن محدودة من كتابه كما كان الشأن فى حديثه عن خلق الله للانسان أكان ابتلاء أم تشريفاً (ص ٨٦ وما بعدها) وفى بعض المرات كان يشير إلى المسألة مكتفياً بالاشارة معتذراً عن أن هذا ليس مكان الحديث عنها .

ونحن لا نرد وضوح ابن عربى إلى ملامح أسلوبه ولكننا نرده إلى موضوع الكتاب وإلى الذين كتب من أجلهم . . فقد كان موضوعه أقرب ما يكون إلى أن يكون مدخلا إلى التصوف ، كان تحبيباً به وتقريباً له . . وكان لذلك موجهاً إلى عامة الناس ، بغيــة الاقتراب بهم من طريق الله . . ومثل هذا الموضوع بمثل هذه الغاية ولمثل هؤلاء العامة من الناس لا بد له من أن يكون متسماً بالوضوح معتمداً عليه .

ونحن نعرف من كتب ابن عربى الأخرى أن تعقد القضايا التى طرحها وعمق آفاقها حال بينه وبين الوضوح ، بل إنا لنعرف أنه فى هذا الكتاب نفسه صرح بشىء من حرصه على اصطناع الغموض (ألق بالك لكلامى فإنه عويص وأنا غيور أحب أن أوضح وأحب أن أسرّ . . ص ٨٦) على ما كان يحرص عليه من شرح ، ونعرف كذلك لجوءه إلى استعمال الرمز حيناً واتجاهه إلى التجريد حينــاً آخر واغراقه وشطحاته فى حين ثالث ، والمسالك الدقيقة الخفية التى كان ينساق إليها فى نظرياته وآرائه حين يكون فى موقف المتصوف

المتفلسف . . ولذلك فاننا نرى أن تنبهه فى هذه الرسالة إلى اصطناع الوضوح — أكثر ما وسعه ذلك — وقدرته على أن يلائم بين الموضوع وبين الأسلوب ، وبين الموضوع وبين الناس الذين يتحدث إليهم — هو نوع من ملامحه الأدبية المتميزة .

٩ — الأسلوب المرسل

وليس يسع الانسان أن يغضى ، فى عرض ملامح ابن عربى الأدبية ، عن أسلوبه المرسل هذا الذى لجأ إليه فى هذه الرسالة . ونحن حين نذكر ما كان عليه النثر العربى فى القرن الخامس والسادس ، أعنى النثر الأدبى الذى كان ينشئه الأدباء المحترفون ، من عناية لا حد لها بالزخرف ، وانصراف لا حد له إلى الزينة ، واصطناع كل ما يمكن اصطناعه من أساليب البديع ، وإثقال الأثر الأدبى بهذه الحلى المرهقة — حين نذكر هذا لا يسعنا إلا أن نشيد باتجاه ابن عربى بالنثر — فى هذا الكتاب — نحو الانطلاق والإطلاق ليكون أداء المعنى هو الغرض الرئيسى منه ، وليكون الإفهام — من دون القصد إلى الجمال أو التجميل — هدفه الأصيل .

إننا نقول هذا ونحن نعرف أن ابن عربى فى هذه الرسالة كان يستعمل السجع فى كثير من المقاطع ، ولكننا نرى أن هذا السجع لا يطعن فى أسلوب ابن عربى المرسل ولا يحدّ من طلاقته ، فلم يكن السجع عنده هذا السجع الكثيف الذى كان فى بعض الآثار الأدبية ، ولم يكن المتكلف ، ولم يكن كذلك الملتزم . . إن رقته وعفويته وعدم التزامه تجعل منه شيئاً ليس بالزخرف أو الزينة أو الحمل على الجملة ، وإنما هو ينبع من صميم عمل المؤلف حين يشتد به انفعاله فإذا هو يقذف الجملة القصيرة ووراءها الجملة وبينهما هذا الرابط المادى من السجع الخفيف .

مهما يكن من شىء فإن ابن عربى استطاع أن يقهر قيود النثر وأن يحطم الأغلال التى كانت مضروبة عليه . ولقد كنا نقول ، فى تأريخنا للأدب العربى ، أن ابن خلدون هو الذى فعل ذلك فى المقدمة ، ولكننا كنا ننسى أن جوانب من تراثنا فى الفلسفة والتصوف هى كذلك من الأدب العام وأنه لهذا يمكن أن يكون للمتصوفة حظ خصب فى الأساليب الأدبية وأن يكون ابن عربى فى مقدمتهم حين جنّب النثر فى مثل هذا الكتاب — قيود التصنع التى عرفناها فى النتاج الأدبى ، بالمعنى الضيق للادب .

١٠ — الاستشهاد بالشعر

وقد كان من شأن ابن عربى فى أسلوبه أن يستشهد بالشعر ، فعل ذلك فى غير موضع وأكثر منه . . ولا غرابة فابن عربى شاعر له منحـاه وله موضوعاته وله أسلوبه ، ولذلك نجد أنه يذكر الشعر مستشهداً به (ص ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠) أو مقيداً له على أنه مما قاله هو فى بعض أصحابه (ص ٥٨) ، ومما سمعه من غيره (ص ٦١) .

١١ — استدراك

وبقى آخر الأمر ، فى هذا التقييم الأدبى للكتاب ، أن نقول إن وضع مثل هذه الرسالة فى صف الآثار الأدبية أمر لا جدال فيه لولا شىء من قصور فى إقامة الجملة فيه على أفضل وجوهها . . بمعنى أن شيئاً من الصقل كان يمكن أن يعطى جملة ابن عربى قوة جديدة ، ويحكم نسج هذه الصلة بين كتابه وبين الآثار الأدبية الفائقة . ولكننا ننسى أن ابن عربى لم يكن يقصد إلى ذلك ، لم يكن يقصد إلى التخير ولا إلى الصقل ولا إلى الإثبات والمحو ، وإنما كان على النقيض ، يقصد إلى هذه السهولة والبساطة وإلى أن يكون قريباً أشد

القرب إلى الحديث الشفوى واللغة الشائعة على ألسنة القوم بعيداً عن كل صقل ودع عنك بعده عن التكلف وعن التجديد .

تلك هى الملامح التى تكشف القيمة الأدبية لهذه الرسالة ، فماذا وراء ذلك من قيم أخرى . . ؟

ثانياً — القيمة الاجتماعية

وليس الكتاب نصاً أدبياً فحسب ، ولكنه كذلك وثيقة اجتماعية عن القرن السادس الهجرى أو عن نصفه الثانى ، منذ بدأ ابن عربى خطاه فى طريق القوم حتى كان فى مكة سنة ٦٠٠ يكتب هذه الرسالة إلى صديقه عبد العزيز المهدوى .

ونحن حين نذهب إلى أن الكتاب وثيقة اجتماعية لا نعنى أنه يصور كل أوضاع المجتمع ، ويعكس كل ساحاته ، ويدل على كل زواياه . . وإنما نعنى أنه وثيقة اجتماعية لبعض جوانب المجتمع ، لجانب التصوف منه وللجوانب التى تتصل بالتصوف أو المتصوفة نوع اتصال أو تتفاعل معها نوع تتفاعل .

ذلك أن المتصوفة لم يكونوا يعيشون فى برج عاجى ، ولم يكونوا يسكنون الأديرة أو الصوامع ، وإنما كانوا يسكنون فى هذا الوعاء الكبير الذى نسميه المجتمع ويشغلون حيزاً منه ، ويتلاقون بكل طبقاته ويجتذبون إليهم هذه الطبقات ويتفاعلون معها . . إن حيّزهم من المجتمع لم يكن ضيقاً ولا محدوداً ولا منفصلا عما حوله وإنما كان هذا الحيز المنساب فى كل ما حوله ، المتداخل فى كل من حوله ، المتفاعل مع كل ما حوله ومن حوله . . ولذلك فإن كل صورة من صور المتصوفة وملامحهم نستطيع أن نلتقطها وأن نتعرف إليها يجب أن تفهم مرةً أخرى فهماً إضافيا فى إطار المجتمع العام الذى يضمها ، لتساعد على فهم هذا المجتمع وعلى تجلية بعض نواحيه واضاءة بعض اطرافه . . بل أن

كل صورة هناك — فى إطار التصوف — إنما هى تكامل أصيل مع صورة أخرى أو عدد من الصور الأخرى هنا فى نطاق الحياة الاجتماعية .

وتبدو الملامح الاجتماعية فى الكتاب من خلال النقاط التالية التى أثارها ابن عربى :

١ — عيب أهل الزمان .

٢ — الحملة على متصوفة المشرق وأكبار متصوفة المغرب .

٣ — الخصومات بين الفقهاء والمتصوفة .

٤ — ملامح متفرقات عن المجتمع فى إشبيلية والأندلس وشمال إفريقية .

١ — عيب أهل الزمان

يكثر ابن عربى من النعى على أهل زمانه : العلماء منهم والأمراء والمتصوفة ، ولكنه يقصد أكثر ما يقصد إلى المتصوفة بخاصة .. ولعل هذه النصوص المتلاحقة فى بداية الكتاب وفى نهايته — وهى فصول عنيفة فى ذم الزمان — أن تكون أقوى النصوص دلالة على المجتمع — فى نظر ابن عربى — وعلى مجتمع التصوف بوجه خاص ، وأحفلها بالصور والجزئيات . ولست فى حاجة — وأنا أنقل النص التالى — إلى أى تقديم له : (فالزمان اليوم ياوليى شديد ، شيطانه مريد ، وجباره عنيد ، علماء سوء يطلبون ما يأكلون ، وأمراء جور يحكمون بما لا يعلمون ، وصوفية صوف بأغراض الدنيا موسخون وموسومون ، عظمت الدنيا فى قلوبهم فلا يرون فوقها مطلبا ، وصغر الحق فى أنفسهم فأعجلوا عنه هرباً ، حافظوا على السجادات والمشهرات والعكاكز ، وأظهروا السبحات المزيفة كالعجائز ، طغام أطفال ، صبيان الأحلام ، لا علم عن الحرام يردهم ولا زهد عن الرغبة فى الدنيا يصدهم ، اتخذوا ظاهر الدين شركا للحطام ، ولازموا الخوانق والرباطات رغبة فيما يأتى إليها من حلال أو حرام ، وسّعوا أردانهم وسمنوا أبدانهم . . ص ٥) . أكان أهل زمانه على مثل هذا النحو

يثبون على الحرام ويجعلون من الدين شركاً للحطام ؟ أكان أحدهم كما قال فى موقف آخر عنهم (لا يعرف شروط السنن والفرائض ولا يصلح أن يكون خديماً فى المراحض ؟ ص ٨) . . أكانت الصحبة موزعة بين العرض والغرض على نحو ما قال عنها (وقلّ اليوم من يصحبك لله فأكثر الصحبة معلولة فى زمانك من أجل هذه الأعراض ، واستحكام سلطان الاغراض ، وعبد الله قليل ص ١٠٨) . . أكان (الصاحب معدوماً ، والقرين الصالح مفقوداً ، والطبيب المشفق الناصح غير موجود ؟ ص ١١٠) . . أكان الزمان (زمان شر قلت فيه لقمة الحلال وكثر فيه الشره والكلب فى قلوب الناس فلا بطن يشبع ، ولا نفس تقنع ، ولا عين تدمع ، ولا دعاء يسمع) . . أم كان ابن عربى فى كل ذلك يتعمد شيئاً من المبالغة ويصطنع شيئاً من التضخيم والتعميم ويحكم بالنازلة الواحدة على أهل الزمان كافة .

مهما يكن فنحن بازاء نصوص كثيرة ، وبخاصة فى بداية الكتاب ونهاياته حمل فيها ابن عربى أشد الحملات وأعنفها على أهل زمانه ، وكأنما أحس هذا العنف الذى اصطنعه والقسوة التى التزمها ، وكأنما أدرك أنه كان جديراً أن يخصَّ ولا يعمَّ وأن يتحدث فلا يغرق ، ولذلك أخذ يحتج لعمله هذا ويجد له أصولا من حياة الإسلام ، وعمل المسلمين . وقد استمر يحتج لذلك فى صفحتين اثنتين حاول فيهما أن يثبت أن الاعتراض على أهل الزمان ليس بدعاً من الأمر ، وانه حين فعل ذلك لم يفعل شيئاً اداً وإنما فعل ما عرفه المسلمون منذ بدء العهد بالإسلام ، منذ فتح مكة فى القرن الفاضل حين قال أحدهم وقد فقد شيئاً مما كان فى يده : ارتفعت الأمانة بين الناس . فحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان . ثم مضى يتابع احتجاجه فيما أثر عن عائشة رضى الله عنها ذات مرة ، وفيما قال القشيرى ، وفى أصول أخرى كانت غنية ببعض الإشارات إلى السنن النفسية والاجتماعية فى حياة الناس . وحين استوى له مثل هذا القدر من الاحتجاج عاود حملته مرة أخرى بقوله (ياأيها المعترض :

هذه الأصول التى استندت إليها فى ذمّ أهل وقتى ، لا حشرنى الله معهم ولا أماتنى على حالتهم . . هلا كنت ناصرى فى قولى هذا . . ص ١١) وهى معاودة حاول فيها أن يجتذب إليه المعترض وأن يجعله فى صفه وأن يخيّره بين أن ينضم إليه أو أن ينضم إلى المداهنين . . بل حاول أن يجعل المعترض — ان أصر على اعتراضه — فى صف أهل الزمان وفى مثل صفتهم .

وكذلك ننتهى إلى القول بأن صنيع ابن عربى كله ، فى حملته وفى تبريره لهذه الحملة ، كان وراءه — فى نطاق الحديث عن هذا الكتاب كوثيقة اجتماعية — تصوير لبعض ملامح هذا المجتمع وتعريف ببعض ما كان يسوده من سمات وشيات .

٢ — بين متصوفة المشرق ومتصوفة المغرب

ولم يقتصر ابن عربى على ذم أهل زمانه كلهم فى مشرق الأرض المسلمة ومغربها ، وإنما انصرف بعد ذلك يخص متصوفة المشرق بالحملة الأشد ، ولعله وجد عندهم ما لا يرضيه من الاجحاف بأهل المغرب ولذلك استباح أن يقيم هذا التناظر بين أولئك وهؤلاء .

والحق أن هناك تداخلا بين الحملة على أهل الزمان بوجه عام وبين تخصيص هذه الحملة بالمشارقة . . ذلك أنه يستعمل فى كثير من المواقف هذين التركيبين المتناقضين : أهل الزمان أو أهل زمانك (ص ٧) أو متصوفة هذا الزمان كما يستعمل تركيب : أهل هذه البلاد ، يعنى بها المشرق لأنه كتب الرسالة فى مكة بعد أن قطع إليها كل هذا الجانب من المغرب العربى . وقد يجعل هذين التركيبين معاً فى الحديث عن المشارقة : (وأما أهل زمانك اليوم ياولبى فكما قال الحكيم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى رحمه الله : ضعف ظاهر ودعوى عريضة . فأول ما وصلت إلى هذه البلاد سألت عن أهل هذه الطريقة المثلى ، عسى أن أجد منهم نفحة الرفيق الأعلى ، فحُملت إلى جماعة قد

جمعتهم خانقاه عالية البناء ، واسعة الفناء ، فنظرت إلى مغزاهم المطلوب ، ومنحاهم المرغوب ، تنظيف مرقعاتهم بل مشهراتهم وترجيل لحاهم ، غير أنهم يدعون أن أهل المغرب أهل حقيقة لا طريقة وهم أهل طريقة لا حقيقة ، وكفى بهذا الكلام فساداً إذ لا وصول إلى حقيقة إلا بعد تحصيل طريقة (ص ٤ ـ ٥) .

وفى ضوء هذه الملاحظة نستطيع أن نتبين تداخل النصوص التى كان فيها ذم الزمان وذم المشارقـة فهى تنصرف إلى أولئك عامة وإلى هؤلاء خاصة .

ومهما يكن من أمر وسواء أكان ابن عربى يتجه إلى أولئك أو إلى هؤلاء فإن ثمـة نصوصاً صريحة تتجه إلى استثناء بعض من لقيهم من هذه القسوة ، كما تتجه إلى الدفاع عن المغاربة أمام ما كان يبدو من المشارقة فى حقهم من نحو آخر ، على الذى يتضح من هذا المقطع التالى (ولقد لقيت بهذه البلاد من يلبس سراويل الفتيان ، ولا يستحيى من الرحمان ، لا يعرف شروط السنن والفرائض ولا يصلح أن يكون خديماً فى المراحض ، ومع هذا ياوليى فهم والله الصدف الذى يخفى رفيع الدرر ، والسياج على الروضة اليانعة ذات الزهر ، يدخل بينهم الصادق والصديق فيجهل ، والعارف المتمكن فيترك ويهمل ، فإنه يحمل على ما هم عليه لاشتراكهم فى المسكن وما بينه وبينهم معاملة فى شىء . ولقد وقع بيدى منهم بمصر فى الخانقاه بالقاهرة كهل يقرب أن يكون رُجيلا لا بأس به ففرحت به لما لم أجد غيره واجتمعت مع شيخ يدعى فيهم شيخ الشيوخ بأربيل ، هكذا قال لى بنفسه ، ورأيته يعطى النَّصَف من نفسه للمتكلم معه رضى الله عنه ، فزعم أن ليس فى الغرب من يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه ، فأراد وليك أن لا يشافهه بخطاب ولا يتعرض إليه ، ثم رأيت ذلك قاصمة الظهر وقارعة الدهر ، فأبدينا له يسيراً مما وهبك الله من الأسرار ثم أعقبناه ببعض أحوال سيدنا أبى مدين خلاصة الأبرار ، فبقى مبهوتاً بما سمع وقال ما تخيلت أن يكون مثل هذا فى بلاد المغرب . ثم ألقى عليه بعض أصحابنا مسألة من الحقائق الإلهية المتوجهة على إيجاد جهنم فوالله ما

زاد على أن قال لا أدرى ، شيئاً ؛ وأنصف من نفسه ، واعترف بنقصه ، وهدأت شقاشقه ، وطفئت بوارقه ، فقلت له : هذا حالك معى وأنا أنقص حظاً وأحقر قدراً من أن أذكر فيهم أو أنسب إليهم ، فكيف بك لو لاحظت الكبراء ، والسادة النبلاء ، الكائنين بالمغرب الغرباء ، فسلّم واستسلم ، وحمدت الله على ما ألهم وعلّم . ص ٨ — ٩) .

على أن أمر المشارقة لا يستقيم لابن عربى ، ولذلك يعود ليتنقص أقدارهم مرة أخرى فيتهمهم بالجهل ، بجهل الحقائق والاسرار التى تنهض حجة على ما يقولون أو ما يعلقون ، ويقف منهم موقف الأستاذ يوضح المبهم ويعرب المعجم ، وينتهى إلى أنهم أقرّوا له بما ذهب إليه ولكن بعضهم لم يعدل عما كان فيه . وقد اتخذ ابن عربى من مسألة السماع مجالا لكل ذلك فقال : (وأما أهل السماع والوجد فى هذه البلاد فقد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، لا تسمع إلاّ من يقول لك رأيت الحق وقال لى وفعل وصنع ، ثم تطالبه بحقيقة مُنحها أو إسراء استفاده فى شطحه ، فلا تجد إلا لذة نفسانية ، وشهوة شيطانية ، يصرخ على لسانه الشيطان فيصعق ، ما دام ذلك المغرور الآخر بشعره ينهق . فلا أشبههم إلا براعى غنم ينعق بغنمه ، فتقبل وتدبر لنعيقه ولا تدرى فيماذا ولا لمــاذا . فواجب على كل محقق فى هذا الزمان ممن ينظر ويقتدى به المريد الضعيف أن لا يقول بالسماع أصلا ، ويقطعه قولا فصلا . وقد أوضحنا مقامه لأهل هذه البلاد وما يتطرق إليه من الفساد واحتجوا علينا بأحوال من سمع من الشيوخ فى الرسالة وغيرها ، فأوضحنا مبهمها وأعربنا معجمها ، فاقروا بنقصه فى مراتب الوجود فمنهم من عدل عنه ومنهم من قام فيه على معرفته بنقصه ص ٩) .

وكذلك يتيح لنـا ابن عربى من خلال هذه النصوص وأمثالها أن نتعرف إلى ما كان من ملامح المجتمع الإسلامى فى المشرق والمغرب فى تفاصيل لا نكاد نجدها فى كتب أخرى .

٣ — بين الفقهاء والمتصوفة

هل نحن فى حاجة إلى أن نتحدث عما بين الفقهاء والمتصوفة من هذه الخصومة التى لم تكن تعرف الهدوء وهذه الصولة التى كانت لبعض أولئك على هؤلاء أو لبعض هؤلاء على أولئك ؟ .

إن كتاب ابن عربى حافل بالاشارات فى هذا النحو ، فهو منذ أن بدأ يتحدث إلى صديقه ووليه أبى محمد عبد العزيز المهدوى يبين عن هذه الخصومة ويشير إليها هذه الإشارة العريضة حين يعدد ما كان لصاحبه من فضائل الخلال وكريم الخصال التى فاز بها من دون الناس ، فيذكر من هذه الفضائل معرفته بمرتبة العلم وأهله وانقياده للحق و . . ثم (ما وهبه الله من الصولة والقوة على الفقهاء بدلائل المكارم والفتوة ، الجارية مع براهين النبوة ص ٤) .

وكذلك يبدو الفقهاء عند ابن عربى منذ الصفحات الأولى مقهورين بصولة المتصوفة وقوتهم . . ولكننا لا نكاد نمضى فى الكتاب بعد ذلك حتى نجد أن هذه الإشارات تكثر وتغزر ، وتشتد وتحمى ، وتعتمد اتهامات شتى بعضها يتصل بتكالبهم على الدنيا وريائهم « ص ٦٦ » وبعضها يتصل بغرورهم ودعاواهم ، وأقواها أثراً فى نفوس الناس الذين يتجه إليهم ابن عربى يجتذبهم إلى التصوف وينفرهم من هؤلاء العلماء ، إقبالهُم على الترف وأخذهم أنفسهم بالطيبات من الحياة الدنيا . . وإن ذلك ليعني فى ضمن ما يعنيه حرمان الناس الآخرين الذين لا يملكون الوصول إلى هذه الطيبات . . ولعل أشد هذه الاشارات وضوحاً وصراحة ما قال عنهم . . (فاجهد نفسك ياولي فى أن تتحلى . . لا يؤثر فيك كلام المغرورين من الفقهاء ، علماء السوء ، الذين لبسوا رقاق الثياب وتناولوا لذيذ المطاعم ، فإذا قلت لهم فى ذلك تلوْا عليك : قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق « ص ١٠٨ » .

على أن أقسى ما فعل ابن عربى مع الفقهاء ما كان منه حين قارن بين عملهم وعمل المتصوفة . . إنه رماهم بالجهل ، بعظيم الجهل ؛ وبالعماية ، بأن الله أعماهم عن الحقائق وختم على قلوبهم ، واعتبر عبادتهم جناية مسودة الوجه ، وبالغ فى النكاية بهم فسخر منهم ، فى صور نافذة ، فى تعبدهم وصلاتهم وافتائهم للناس ، وجعلهم فى كل زمان مع المحققين بمنزلة الفراعنة مع النبيين .

وهل أقسى من هذا النص : (. . لأن العبادات بحكم التسخير إنما هى للفقهاء العامة الذين أعماهم الله عن الحقائق فقيل لهم : قدموا لتجدوا ، وهؤلاء هم الجهال ، عندهم وعليهم توجه التكليف مطابقاً لاسمه ، فيدخل عليهم فى اداء العبادات من الكلفة والمشقة ما لا يعلمه إلا الله وذلك لعدم معرفتهم بمعبودهم واشتغالهم بشهوات نفوسهم وحظوظها عاجلة وآجلة . وأما هذه الصوفية المحققون فعبادتهم لا بحكم التسخير لكن من طريق الشكر . . والفقيه الضعيف الجاهل صاحب علم الرسوم الذى قد ختم الله على قلبه بشهواته فتراه يلتفت يميناً وشمالا فى صلاته ، ويحرم الامام ويبقى هو بعده بقدر ركعة فى حضور نيته للصلاة ، لكثرة شغله عنها بهذيانه ودنياه وكثرة غفلاته ، ثم يكرر التكبير مرتين وثلاثا وأربعاً لشكه فى النية ، لعدم صفاء قلبه وترادف ظلماته ، فإذا سهل الله عليه وأدى ما كلفه الله تعالى فهذه حالة المجتهد الحازم ، وساق هذه الجناية المسودة الوجه بعدم الحضور فيها مع الله تعالى وسوء ظنه بربه . . وتخيلوا أنهم إذا فعلوا هذا واقتصروا عليه أنه لا شىء أعلى منه ، والخلق دونه ، لحفظه الحديث والفقه ، يقال له يافقيه ما تقول فى رجل حلف على كذا فيحكم فيها بحكم الله المشروع ويحجبه ذلك المنصب عن القلب المختوم عليه بحب الدنيا وتعظيمها ونظره الفقراء وأولياء الله تعالى بعين الازدراء والجهل لكونهم لا يعرفون مسائل الطلاق والعتق والنكاح ، فهم الاغمار الجهلاء ، فهذا وأشباهه حجبهم عن الله وطردهم عن بابه ، وما زالت الفقهاء فى كل زمان مع المحققين بمنزلة الفراعنة مع النبيين ص ٩٧—٩٨) .

ولم يقف ابن عربى عند هذا الحد ، لم يقف عند هذه المقارنة بين الفقهاء وبين المتصوفة فى العمل فى الدنيا ، وإنما مضى يتحدث عنهم فى الآخرة ، فقارن بين هذين النمطين : علماء الرسوم وعارفة المتصوفة ، وبين نمطين آخرين : الأنبياء الذين دعوا إلى الله والذين كذبوهم . . وأقام بينهما هذا التوازن فى الثواب والعقاب فقال : (وعذاب كل فرعون على مقدار نعيم نبيه الذى كفر به ، وسفله على قدر علوّ نبيه ، وكذلك العارفون الصالحون مع المنكرين عليهم من الفقهاء علوم الرسوم ، ينقص من حظ نعيمهم فى الدار الآخرة على قدر مرتبة العارف الذين أنكروا عليه ، وعليهم نقص نعيم أتباعهم فى ذلك المقلدين لهم ، فينقص للفقيه صاحب الرسم إذا انكر على الولى العارف ما لا يبلغه علمه من نعيمه فى الجنات إذا سعد ، على قدر مرتبة ذلك الولى فى المعرفة بالله وقدر السر الذى انكره عليه وعلى قدر من اتبعه فى انكاره من المقلدين ص ١٠٥) .

هذه القسوة وهذا التجاوز لحدود الدنيا إلى حدود الآخرة كان لا بد له من شىء من كبح أو توقف ، وكأنما أحس ابن عربى ذلك فكان عليه أن يأخذ نفسه فى بعض المواقف بالاعتدال . . وإنه ليصل إلى ذلك فى عملين متكاملين : أولهما أنه يبرىء الفقه أولاً إذ يتحدث عن شرفه وضرورته ومكانته من الحياة الإسلامية ومن ثقافة المسلم . والآخر أنه يستثنى فيخص بحملته الصنف من الفقهاء الذين تكالبوا على الدنيا وطلبوا الفقه للمراء . وحملته على هؤلاء توازى حملته على المتصوفة الذين تعروا من حلية الباطن وقنعوا بزينة الظاهر . وفى الصفحة التالية نجد صفوة رأى ابن عربى فى هذا ، إنه يقول (فاياك ياأخى عافاك الله من الظن السوء أن تظن فىّ أنى أذم الفقهاء من أجل أنهم فقهاء أو لنقلهم الفقه ، لا ينبغى أن يظن هذا بمسلم ، وإن شرف الفقه وعلم الشرع لا خفاء به ، ولكن أذم من الفقهاء الصنف الذى تكالب على الدنيا وطلب الفقه للرياء والسمعة وابتغى به نظر الناس ليقال ، ولازم المراء والجدال ، وأخذ يرد على أبناء الآخرة الذين اتقوا الله فعلمهم من لدنه علما . فأخذت الفقهاء

— أعنى هذا الصنف منهم — فى الرد عليهم فى علم لا يعلمونه ولا عرفوا أصوله ، ولو سئل أحدهم عن شرح لفظة مما اصطلح عليه علماء الآخرة ما عرفها وكفى به جهلا . . كما أنى قد ذممت الصوفية فى كتابى هذا ولم أرد به الصادقين وإنما أعنى الصنف الذى تزيّا بزيهم عند الناس وباطنه مع الله بخلاف ذلك . . فإذا سمعتنى أذم الفقهاء فى كتاب فإنما اعنى به هذا الصنف المدبر الذى اتبع شهواته وغرض نفسه الامارة بالسوء ، وكذلك ذمى للصوفية إنما أدم هذا الصنف الذى ذكرت فان الحلولية والاباحية وغيرهم من هذا الطريق ظهروا وتظاهروا بالدعاوى واتصفوا ، فهم قرناء الشيطان وحلفاء الخسران ، نور الله بصائرنا وبصائرهم وأصلح سرائرنا وسرائرهم وأوقفهم على عيوبهم لعلهم يرجعون . . ص ٦٦—٦٧) .

غير أن هذه الصفحة المشرقة المتزنة ليست فى الطبعة الموجزة التى نشرها بلاسيوس فهل يعنى ذلك أنها إضافة أضافها أنصار ابن عربى فى الفترات التى اشتدت فيها الحملة عليه ، فى حياته أو بعد وفاته . . ليس من اليسير أن نحقق ذلك فى هذه العجالة فنحن فى حاجة إلى أن تجتمع لنا نسخ الكتاب وأن ننظر فيها وأن نمتحن بعض الاشارات فى هذه الصفحة . ولكن حسبنا الآن أن ندل على أن أطرف ما كان من حديث فى هذا الكتاب عن الفقهاء والمتصوفة وما كان من صلات بينهما هو هذا الذى جاء فى ترجمة الموروري فى الحديث عن أبى الحسن بن قيطون وما كان من انصرافه عن التصوف بعد أن بلغ مقاماً طيباً فيه ، والتفاته إلى الفقه وما جره إليه شؤم الفقهاء — على حد تعبير ابن عربى — من بغض الفقراء السادة بعد أن كان ينقاد إليهم (وكان إذا لقينى يعتبنى على صحبتهم ويقول لى : مثلك يصحبهم ! فأقول له : مثلى لا يصلح أن يخدمهم فانهم السادة . وإنما كان يحنّ إلىّ لمشاركتى له فى علمه الذى قرأه لا لكونى فى طريق القوم ولا لمحبتى فيهم ، فتركته فى ذات الله تعالى وتركت معاشرته وصار اليوم حكمه حكم الفقهاء فى الولاية أنها معقولة متوهمة لا يعرف صاحبها . . ص ٦٨) .

وكذلك يكشف ابن عربى فى حديثه عن هذه الصلات بين الفقهاء والمتصوفة جانباً من جوانب المجتمع الذى كان يعيش فيه هذان الطرفان عيش تسامح حيناً وتخاصم حيناً وتعاون فى بعض الاحايين .

٤ — ملامح متفرقة عن المجتمع فى إشبيلية والأندلس والمغرب

وراء هذا كله يحفظ لنا كتاب ابن عربى مجموعة من ملامح المجتمع فى مغرب الوطن الإسلامي . . إنها ليست ملامح مجهولة يتولى هو الكشف عنها فما إلى ذلك كان وضع الكتاب ولا قصد المؤلف ، وإنما هى ملامح تتساقط من حديثه حين يتحدث عن شيوخه وحين يترجم لمن لقى فى طريقه إلى الله .

والحق أن الكتاب ، فى هذا القسم بوجه خاص ، حافل بكثير من الإشارات عن مجتمع اشبيلية . . وصحيح أنه حديث عن مجتمع المتصوفة ، ولكن مجتمع المتصوفة مقطع من المجتمع العام تغلب عليه ناحية التصوف ثم يشارك المجتمع العام فى بعض سماته وألوانه ، ومن هنا تطالعنا طائفة من ملامح اشبيلية فى معالمها ومجتمعها ، لغتها وأعلامها .

ا — ففى ملامح اشبيلية نلقى جبلها الذى يشرف عليها (المنتبار جبل عال على رأس فرسخ من اشبيلية ص ٥٠) وبعض الأعشاب التى كانت فى هذه الجبال (. . كان يحترف بجمع البابينا «البابونج ؟» من الجبال ويأتى بها إلى المصر ص ٧٤) وبعض نباتاتها (. . ونظر يوماً إلى غلام صغير على رأسه مكتل فيه رازيانج «هو الشمر ؟» ص ٥٢) ونشهد بعض القرى التى تحيط بها مثل (شَبَرْبُل : قرية بالشرف على بعد فرسخين منها ص ٥٣) و (بلجانة ومرشانة على اثنى عشر فرسخاً منها ص ٧٣) ، و (قرمونة على بعد سبع فراسخ من مرشانة الزيتون ص ٦٥) ؛ وشيئاً من معالمها (مَوْرور ص ٧٤) ودورها

(دور بنى صالح ٦٢) ؛ وطائفة من جوامعها ومساجدها مثل (جامع العدبس ص ٥٢ و ٧٨) و (مسجد ابن جراد ص ٧٨) و (مسجد أبى عامر المقرئ ص ٥٢) .

ب — وفى عادات اشبيلية الاجتماعية تطالعنا :

عادة فتح المدينة فى الصباح واغلاقها فى المساء على نحو ما كانت عليه المدن آنذاك (فخرجت عند فتح باب المدينة ص ٥٠) .

وعطلة كتاتيبها أو بعض كتاتيبها (وكان يعلم الصبيان القرآن بقرمونة ويعطل الخميس والجمعة ص ٦٥) . وطريقة القوم فى تهنئة الأمير بالعيد عقب الصلاة (ودخل فقهاء البلد بعد صلاة العيد ليسلموا عليه ص ٨٥) . وقيام بعض السيدات الصالحات بما يشبه التمريض فى أيامنا (مرض عندنا باشبيلية فاخذته الصالحة زينب . . لتمرضه فى دارها بنفسها ص ٨٤) .

ثم ما كان من جمال نسائها وظرفهن (وفيهم — أهل اشبيلية — وفى نسائهم حلاوة وظرافة ص ٦٢) وما كان من يكون أحياناً من عبث وفكاهة بين الرجال والنساء (ص ٦٢ — ٦٣) .

ج — وفى لغتها يحفظ لنا كتاب ابن عربى بعض التعابير والكنايات التى يبدو أنها كانت فى المجتمع الاشبيلى من دون غيره من مجتمعات الأندلس . . من ذلك كناية الشكاز (والشكاز عندنا المشتغل بهذه الجلود الرقاق على نوع ما ، يبيضها ويلينها كثيراً بعد شدتها . فاتخذ أهل البلدة هذه اللفظة ، لفظة الشكاز ، لقباً للرجل لا يقوم بالنساء ، أى لين العضو مثل الجلد الذى يعمله ص ٦٢) .

ومن ذلك أسماء بعض الأمراض مثل النغنغة (وكان قد ابتلاه الله بداء نسميه عندنا نغنغة « نفنفة ؟ » ص ٧٩ .

د — وفى أعلامها تتلامح لأعيننا من خلال كتاب ابن عربى بعض الأعلام والأسماء من مثل اسم أحد مؤذنى مساجدها : المؤذن أبى عامر (ص ٨٥) . وأحد خطباء جوامعها : الخطيب أبى القاسم بن غفير (ص ١٠٥) .

هـ — وكذلك تطالعنا طائفة من ملامح المجتمع فى الأندلس بعامة . . وكيف كانت تسوده حياة المرابطة ويكثر فيه المنقطعون إلى الله (ص ٧٨) وما كان يكون من غزوات مباغتة يأسرون فيها ويؤسرون ، ثم كيف كان يتم الفكاك وكيف تجمع الأموال للفكاك (ص ٤٦) وكيف يجرى التقاطع مع الاعلاج ، وكيف كان بعضهم يعيش فى المجتمع الإسلامى ويقوم ببعض الأعمال فيه ثم ينتهى الأمر به إلى الإسلام (ص ٧٦) .

هذا إلى هذه الصلة بين العلماء والفقهاء وبين السلاطين ، وموقف الزهاد من أولى الأمر وقسوتهم عليهم أو مداراتهم لهم . . ولعل الصفحة التى ترجم فيها لأبى محمد عبد الله بن ابراهيم المالقى المعروف بالقلفاط أن تكون من أمتع الصفحات فى ذلك (ص ٧٩—٨٠) .

وبعد ذلك لمحات جد وجيزة عن بعض المدن (شدونة ص ٧٣ ، وروطة ص ٧٢ ، وجلمانية ص ٧٨) وبعض الاقوام والاعلام (عبد السلام السائح ومحمد ابن الحاج من بنى جواد ص ٧٣) .

ووراء ذلك طائفة من ملامح المجتمع الإسلامى عرض لها ابن عربى حين تحدث عن متصوفة المشرق والمغرب وقد قدمت الحديث عنها فى شىء من تفصيل .

وبعد فإن هذه الطائفة كلها من الملاحظ جديرة أن تجعل من الكتاب وثيقة اجتماعية تعكس من المجتمع بعض زواياه ، وتعطى من ملامحه أطرافاً لا نكاد نقع على مثلها فى الكتب الأخرى على مثل هذا النحو .

ثالثاً — القيمة التصوفية

قيمة أخرى من قيم هذا الكتاب الكبرى تتمثل فى أنه وثيقة صوفية من هذه الوثائق النادرة التى تملأ القلب والعقل معاً . . ذلك لأنه لا يتحدث عن

التصوف على هذا النحو الذى نراه أحياناً فى كتب القوم إذ يخوضون فى هذه القضايا العويصة أو يطرحون هذه المسائل الشائكة أو يحاولون تجـاوز المدى القريب الذى يشترك فيه الناس جميعاً إلى المدى البعيد الذى يوشك أن يكون وقفاً على أرباب القلوب وأصحاب المكاشفات . . ولا يتحدث عن التصوف على النحو الذى نراه فى كتب الشيخ الأخرى من مثل الفتوحات والفصوص وما إليها حين يجاوز السلوك إلى النظر ، وحين يتخطى هؤلاء المريدين الذين يقفون فى أول مراحل الطريق إلى أولئك الذين يدرجون فى المسالك البعيدة . . مسالك العلم اللدنى والأسرار الإلهية البعيدة . . انه لا يتحدث عن التصوف على هذا النحو أو ذاك ، وإنما يتحدث عنه فى صورته هذه الدانية القريبة ، وفى مسالكه هذه التى تدل على طريق الآخرة وتنبه إليه وتدفع إلى فضائل الأخلاق وتغرى بالتحلى بها ، وتضع أمام الإنسان — الإنسان بكل أوزاره وأفعاله ، وبكل عوائقه وعلائقه ، وبكل مشاغله ومشاكله — النماذج الطيبة الرائعة يتمثلها ، ويحاول أن يتأسى بها ، وأن تكون له من أنماط حياته وعمله أسباب تصله بها أو تقربه منها .

وان ذلك ليتمثل فى الكتاب بوجه خاص فى القسم الذى تحدث فيه عن شيوخه ، ففى هذا القسم يكشف ابن عربى ، فى يسر وطلاقة وفى إشراق محبب ، عن هذه الطبقة من المتصوفة الذين أعجب بهم وتتلمذ عليهم والذين اتصل بهم والذين أخذ عنهم ، والذين لازمهم شهوراً والذين لازمهم سنين . . إنه يعرفنا بهذه الطبقة — فى نطاق أهداف الكتاب الكبرى — معرفة أوشك أن أقول إنها خير وأبقى من هذه المعرفة التى تتاح لنا من خلال كتب التراجم . . إنها أفضل وأنقى . . ويوشك القارىء أن يحس أنها نوع من المعرفة المصفاة سواء فى المعلومات المباشرة التى كان الشيخ قصد أن يعرضها أو فى المعلومات الأخرى التى نحاول فى دراستنا المعاصرة أن نقع عليهـا من خلال النصوص والترجمـات .

أن الكتاب يمكّن لنا أن نتعرف إلى هذه الطبقة من شيوخ ابن عربى الذين دخل — على حد تعبيره — تحت أمرهم والذين أدبوه وهذبوه منذ بداية أمره ، منذ كان لا يعى من هذا الطريق شيئاً حتى كان أبرز رجال الطريق . . فإذا نحن أمام صور متصلة متكاملة عنهم . . فى حياتهم اليومية وفى سيرتهم الذاتية ، فى صلاتهم بمجتمعهم وفى علاقتهم بمريديهم . . فى صلتهم بالفقهاء وفى مكانتهم من السلطان . . فى عبادتهم ونجواهم ، فى معاشهم ومسراهم . . فى ثقافتهم ودراساتهم . . فى مقاماتهم التى كانت تغلب عليهم . . فى حياتهم مع أهليهم وفى حياتهم مع أولادهم . . فى الرؤى التى كانوا يرونها ، وفى الكرامات التى اختصهم الله بها . . فى وصاياهم للناس وفى أساليب تسليكهم للمريد . . فى مهنهم التى كانوا يعيشون منها وفى غزواتهم التى كانوا يغزون فيها . . فى باديتهم إن كانوا يؤثرون البادية ، وفى الربط والسواحل إن كانوا يؤثرون الربط والسواحل . . فى الكتب التى يقرؤون والكتب التى يقيّدون والكتب التى ينسخون . . فى كليات حياتهم وفى جزئيات هذه الحياة . . إن هنالك ، بين حفافى هذا الكتاب الصغير ، فيضاً من الجزئيات ، ولكنهـا جزئيات حيّة نابضة . . تضامُّها كفيل أن يكوّن منها صوراً كاملة أو قريبة من الكمال عن حياة هذه الطبقة فى المجتمع الأندلسى آنذاك . . صوراً زاهية بالأضواء والظلال والألوان واللونيات ، حافلة بالملاحظ والملامح والمآخذ ، قادرة على أن تكون مصدراً ثراً من مصادر المعرفة بالقوم ، تفسر آراءهم حيناً ، وتعرّف بسلوكهم حيناً آخر ، وتلقى الأضواء عليهم فى كل حين .

وليس من غرض هنا أن اتتبع كل الجزئيات فى محاولة لتكوين الصورة الكلية ، ولكنى حريص على أن أعرض بعضاً منها فى مناحى الحياة المختلفة : الحياة الذاتية والحيـاة الاجتماعية ، من خلال الترجمات الوجيزة التى قدمها ابن عربى .

١ — فى نطاق الحياة اليومية

يطلعنا ابن عربى من خلال الترجمات التى ساقها ، على أنماط من حياة هؤلاء المتصوفة فى مأكلهم ومشربهم وملبسهم وسلوكهم . . إنه يعرفنا كيف كان بعض هؤلاء على درجة من الغنى ثم نزلوا عن كل الغنى الذى لهم ليسلكوا طريق المجاهدة والمكابدة (فقد خرج الرندى ، محمد بن اشرف ، عن مال كثير وافر وكان من أعين مَنْ فى موضعه ص ٧٢—٧٣ . وكان موسى أبو عمران البيدرانى من أهل السعة فى الدنيا فخرج عنها ص ٧٥) . . وكيف كان يتورع بعضهم أن يمد يده إلى ما يقدم إليه من موائد الوزراء والسلاطين ، وكيف كان بعض آخر لا يأتدم إلا فى القليل (مرتين فى الجمعة ليلة الاثنين وليلة الجمعة ص ٥٧) .

٢ — وفى صلة هؤلاء الناس بمجتمعهم

نستطيع أن نلمح الأمر من ناحيتين : صلاتهم بالناس وصلاتهم بالسلطان .

فأما صلاتهم بالناس : فقد كان الناس يروْن فيهم تجسيداً لملامح التقوى وتجديداً لسيرة الصفوة الخيرة من رجال الإسلام فى عصوره الأولى ، ولذلك كانوا إذا عرفوهم — حين لا يؤثرون الاستخفاء أو العزلة أو الهجرة — أكبروهم وقدروهم وطلبوا الخير من أيديهم — كالذى نراه من استسقاء أهل قصر كتامة بالشيخ أبى جعفر أحمد العرينى (ص ٤٧) وكالذى كان من افتدائهم له والمشاركة فى هذا الفداء (ص ٤٦) — أو طلبوا دعاءهم وبركتهم . وكثيراً ما حُبب إلى بعض الناس من العامة أو الخاصة أن يصهروا إليهم أو أن يقدموا لهم الهدايا (ص ٤٨) .

ولم يكن هؤلاء على حدّ واحد فى الصلة بالناس . . فمنهم من خالط . ومنهم من لزم العزلة لما عاين من فساد الأحوال (ص ٥٧) . . منهم من آثر

المرابطة فى السواحل ومنهم من آثر البوادى (ص ٥٣) . . منهم من استقر فى بيته ستين سنة لا يغادره (ص ٥٧) ومنهم من كان يجد سعادته فى الحركة لا يستقر له قرار فى مكان (ص ٨٣) . . منهم الذين آثروا الانطواء ، ومنهم الذين آثروا أن يخالطوا الناس وأن يقوموا بأمورهم على نحو ما عبر عنه ابن عربى فى ترجمته للقلفاط (كان يعمل على طريق الفتيان . . ما تراه يمشى قط إلا فى حق غيره ، لا يلتفت لنفسه ولا لحقها ، يقصد إلى البلد والحكام فى حوائج الناس ، داره للفقراء مباحة ص ٧٩) . . منهم من كان ينقطع للعبادة ، ومنهم من كان يجمع إلى العبادة العلم والتعليم كالذى كان من أمر محمد بن قسوم فقد (جمع بين العلم والعمل وكان مالكي المذهب قائلا بشرف العلم ومرتبته . . إذا صلى الصبح ذكر الله حتى تطلع الشمس فيركع ركعتين ويدخل منزله فيأخذ كتبه ويخرج إلى الطلبة فيقرؤون عليه العلم إلى ارتفاع النهار (٥٥ — ٥٦) .

وأما صلاتهم بالسلطان : فنحن واجدون هاتين الصورتين اللتين نجدهما فى كل عصر :

أولاهما : صورة أولئك الذين ينفرون من السلطان أشد النفور ، ويعنفون عليه أقسى العنف ، وبها جمونه علناً من غير مهابة ، وينقدونه جهاراً من غير مواربة ، ويصمونه بأكبر العيوب والذنوب ، وينالون منه بالقوارع من الآيات والاحاديث .

والأخرى : صورة أولئك الذين يحاولون أن يبتعدوا بأنفسهم وأتباعهم عن أذى السلطان وعن كيد الحاشية ، ويباعدون ما بينهم وبين الرياح المؤذية التى تهب من حوله ، ويصطنعون الطريق اللينة التى تقيهم شرور السلطة ومكائدها .

فى الصورة الأولى نجد رجلا مثل أبى محمد عبد الله القطان (كان يصدع فى الأمر ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، يرد كلام السلاطين فى وجوههم أقبح الرد ، له صَوْلة ، يرمى من شاء بالحق ولا يبالى ، عرض نفسه للقتل

من كثرة سبه لافعال السلاطين وما هم عليه من مخالفة الشريعة ، له مجالس معهم يضيق الوقت عن ذكرها ص ٧٠)[1] .

وفى الصورة الثانية نجد رجلا مثلا القلفاط أبى محمد عبد الله بن ابراهيم المالقى . . يقول عنه ابن عربى وكان قد رفض مائدة كان سلطان سبتة أرسلها إليه ، فوشى به أنه يقول فيهم أنهم أهل حرام ، وقام الوزير وقعد (فبلغ ذلك صاحبنا القلفاط فاجتمع بى وقد خاف علىّ وعلى أصحابى مما يعرف من البلاد وعاتبنى على ذلك وقال يافلان هذا فى حق نفسك حسن غير أن المضرة تنسحب فيه على الطائفة ، وهؤلاء القوم ما يحتملون مثل هذا ، وقد قال بعضهم : ذلّ من ليس له ظالم يعضده وضلّ من ليس له عالم يرشده ، فلما رأيت أن الرحمة غلبت عليه فى حق الناس وتشديد الأمور والأخذ بالأرجح فى المصلحة الدنيوية قلت له : بئس العبد من يستند إلى عدو الله ، لا رعى الله العالم إذا لم يرعَوْا حق الله ، حقُّ الله أحقّ ، ونفضت يدى وقمت فانصرفت ولقيت ابن طريف والخبر عنده فقال لى : السياسة أولى ، فقلت له : ما دام رأس المال محفوظاً فلا بأس ، فسكت رضى الله عنه . . (ص ٨٠) .

٣ — وفى نطاق الأسرة

يطالعنا روح القدس ببعض التفاصيل المثيرة فى حياة هذه الطبقة من الناس ان منهم أولئك الذين وجدوا مقاومة أهليهم لهم وحيلولتهم بينهم وبين هذا المسلك على النحو الذى نقرؤه فى سيرة أبى العباس أحمد بن همام من أهل اشبيلية (. . كان له والد يحول بينه وبين طريق الله فلما اشتد ذلك عليه قال لى : يا أخى اشتد على الأمر وقد طردنى أبى وقال لى : سر حيث شئت . وأنا أريد الخروج إلى ثغور المسلمين لجهاد العدو وأرابط بموضع منها حتى

---

(١) انظر ما نقله عن مجلسه مع السلطان ص ٧١

أموت . فمشي . . ص ٧٨) . . ومنهم الذين كانت أسرتهم ترتضى منهم هذا السلوك وتساعدهم عليه على مثل ما نجد فى سيرة ابن عربى نفسه — كما سنرى ذلك — فقد كان يستأذن أمه فتأذن له ، وكان يستصحب أباه لزيارة بعض الصالحين فيصحبه .

وراء ذلك فى الحياة الزوجية نماذج مختلفات : بعضهم كان خفيف الظهر لا تشده إلى مجتمعه أسرة ولا ولد ولذلك كان يطوف البوادى أو يرابط فى الثغور ، وبعضهم كان ثقيـــل الظهر ، تؤوده أسرته دون أن يكون لديه ما يعينه على احتمالها من عمل أو ثروة وإنما كان يرتزق عن طريق الفتح ، ولذلك كان يلقى بعض التعنيف أو بعض الغلظة منها إذ تدفعه إلى العمل ، على مثل ما نصادف فى سيرة أبى جعفر أحمد العريبى فقد كانت زوجته تقول له (قم واخدم وسق ما يقوم بأولادك لعامهم ص ٤٧) .

وبعض هؤلاء المتصوفة كان منكاحا يقبل على الزواج لا يصبر عليه ، شأن الشكاز (ص ٦٢) ، على حين عزف بعضهم عن الزوج والأسرة والولد .

٤ — وفى مجال الاكتساب والسعى

نجد هذا التنوع الغنى فى سيرة هؤلاء الناس ، ولكنه تنوع يفضى إلى حقيقة واحدة هى الاقبال على الفقراء وخدمتهم والقيام بأودهم والقاء كل ما ينتهى إليهم من مال أو حطام بين أيديهم ، ولقد كان بعضهم صورة رائعة للأنفة ، تطرح عليه ولاية مثل ولاية فاس (ص ٤٩) فيرفضها . وكان كثرة منهم يكابدون أقسى الأعمال ويمتهنون أحقر الصناعة بعداً عن مسألة الناس أو تجنباً لإكرامهم لهم . فالرندى مثلا كان يحترف جمع الأعشاب من الجبال ويأتى بها إلى المصر يبيعها (ص ٧٤) ، وصالح الخراز كان يعمل خرازاً للاحذية تورعاً ، حتى يأكل من عمل يده (ص ٧٧) ، والحناوى ينخل الحناء

بالاجرة (ص ٧٢) ويتقى غبار الحناء بتكحيل عينه فلا يرى إلا مكحولاً ، وابن طريف العبسى كان يبيع الفخار (ص ٧٩) وابن قسوم كان يعيش من خياطة القلنسيات (ص ٥٦) ، وأبو وكيل ميمون بن التونسى كان يجمع القرمز يعيش منه (ص ٨٤) . . ولعل الصفحة التى كتبها ابن عربى عن الرندى وكيف كان يأبى أن يمسك عملا جديداً ما دام بيده عمل يكفيه قوت يومه وكيف كان يتورع عن أى زيادة فى الأجر ، وكيف كان يدفع من يأتيه إلى جاره . لعل تلك الصورة أن تكون من أجمل الصور فى الكسب الحلال الذى يقنع بالكفاف ويتجنب الشره .

٥ — فإذا تطلعنا بعد ذلك نسأل ماذا كان من مـلامح هؤلاء الناس فى صلاتهم بالله وعبادتهم له وتعلقهم به وجدنا أن كتاب روح القدس يضعنا أمام أنماط من العبادات ، ونماذج من الكرامات ، وألوان من الرؤى ، وصنوف من المجاهدات والمقامات والمراتب .

ا — ففى العبادات نجد المعتدلين فى العبادة (ص ٥٥) والملحين عليها . . نجد الذين يقضون الليل يتجهدون ويتعبدون ويصلون حتى يقعوا ، والذين يخافون النوم فيلجؤون إلى أساليب من الايقاظ . ونجد الذين يتعبدون بالذكر الحكيم فيقرؤونه مرة فى كل يوم ، أو بسورة منه ، والذين يتعبدون بالاذكار والأوراد . . والذين يتقربون إلى الله بالصوم أو بالتخفيف من الإدام والطعام . . ونلمح صوراً مثيرة للذين يتركون أوطانهم وأهليهم يخرجون إلى الحج فيلتحقون بهذا القطر أو ذاك من أرض الإسلام ويدخلون هذه الطريقة أو تلك من طرق المتصوفة . . قد نقرأ بعض الأدعية ، ونشهد فيض الدموع ، ونسمع وجيب القلوب ، وتطيف بنا أحوال من أحوال هؤلاء الناس فى عبادتهم لا تحصى .

ب — وفى الكرامات تتوارد فى الكتاب أشياء كثيرة مما اتفق لهؤلاء الناس مع الله ، وما وقع بينهم وبين المريدين ، وما كان بين شيوخ ابن

عربى وبينه من المسائل الالهية وعجائب الاشارات . . من ذلك ما كان من حديث ابن عربى عن الرندى (أخذ بيده قبضة من حشيش من البيت الذى كنا فيه ونحن ننظر ما يصنع فضربها بأصبعه المسبحة وقال هذه نار فاشتعل الحشيش ناراً فاشعلنا المصباح ، وكان يغترف النار بيده من الكانون لحاجة ما فيمسكه ما شاء الله ولا تعدو عليه ص ٧٤) وحديثه عن أبى على حسن الشكاز (كان يمد يده إلى ما وجد من نبات الأرض من أعظمه مرارة فيطعمك اياه كأنه حلواء ص ٦٢) وأحاديث وأخبار كثيرة أخرى[١] .

ج — وفى الرؤى يكثر ابن عربى من ذكر نوعين من الرؤى : التى رآها هو لبعض شيوخه كالتى رآها لأبى محمد مخلوف القبائلى (ص ٧٦) والتى كان يراها شيوخه له .

د — وفى المقامات والأحوال والمراتب نجد الذين يغلب عليهم مقام البسط (ص ٦٤) أو القبض أو الخوف (٥٩ و ٨٢) أو الحزن (٦٩ الباغى الشكاز ، ٨١ السخان) أو الخوف والرضا (شمس أم الفقراء ص ٨٤ وتحصيل هذين المقامين فى وقت واحد عندنا عجيب يكاد لا يتصور) . . ونصادف من كان من الأبدال ومن كان من الاقطاب ومن كان المريدين .

٦ — ولا يهمل الكتاب أن يعرفنا بالثقافة التى كانت شائعة بين هؤلاء الشيوخ . . فمنهم الأمى كالعرينى ، كان بدوياً أمياً لا يكتب ولا يحسب ، وكان إذا تكلم فى علم التوحيد فحسبك أن تسمع (ص ٤٦) أو كالرندى (كان من الأميين ص ٧٤) . . ومنهم الذى طلب العلم ودرس العربية والقرآن والفقه ص ٨٣) أو كان (مشهوراً بالقراءات والروايات ص ٨٢) . . أو كان من القائلين بشرف العلم ومرتبته (ص ٤ المهدوى و ص ٥٥ ابن قسوم) .

---

(١) انظر ص ٤٦ و ٤٧ و ٥٤ و ٥٥ و ٧٥ ، ويتصل بذلك ما يكون من رفاقهم من صالحى الجن ص ٥٥

ومنهم الذين اقتصروا على التصوف ومنهم الذين جمعوا بين التصوف والحديث أو بين التصوف والفقه . وقد نَدَّتْ عن ابن عربى صيحات من التعجب حين ترجم لأبى الحسين يحيى بن الصائغ بسبتة فقــال عنه (من المحدثين وهو صوفى وهذا من الأعجوبات : محدث صوفى ص ٨٢) وحين ترجم كذلك لابن العاص أبى عبد الله الباجى باشبيلية فقال عنه (كان فقيهاً زاهداً ، وهذا أيضاً غريب ، فقيه زاهد لا يوجد ص ٨٢) .

وبعض هؤلاء الشيوخ كان بعيداً عن الكتب والمصنفات يسخر منها ويرثى لأصحابها كالذى يقوله أبو محمد عبد الله القطان : (مساكين أصحاب المصنفات والتآليف ما أطول حسابهم غداً . أليس فى كتاب الله وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مقنع ص ٧٠) . . على حين كان بعض آخر يعنى بهذه الكتب والمصنفات ويقيدها وينسخها كما كان من صالح الخراز فقد (نسخ بيده مع صغر سنه كتاب ابن العسال الكبير) أو ابن طريف العبسى فقد (قيد كثيراً من كتب الطريق ص ٧٩) .

ومن خلال ابن عربى فى روح القدس ندرك ما كان من غلبة بعض الكتب وأثر بعض الشخصيات فى متصوفة عصره . . ولعل الرسالة القشيرية أن تكون أبرز هذه الكتب (ولتداولها بين أيدى الناس أضربنا عن حكاية قوله — القشيرى — ص ١٠) . ولعل أبا مدين أن يكون أبرز هذه الشخصيات فقد كثرت الإشارة إليه والتحدث عنه .

٧ — وفوق هذا يمثل لنا ابن عربى نماذج من مواقف الشيوخ مع المريدين ووصاياهم لهم وأساليبهم فى تسليكهم . . إن بعض الشيوخ لا يلتفتون إلى المريد حق الالتفات ، يدعونه يقتبس من سيرتهم ويجدّ فى طريقهم على نحو ما يفتح الله عليه ، غير أن نفراً منهم كان يعمل مع المريد كما كان شأن

أبى يعقوب يوسف ابن يخلف الكومى فقد كان (إذا أعطى المجاهدة للمريد يعملها معه ، وكذلك للاثنين والثلاثة يعمل مع هذا ومع هذا فتراه لا يفتر ص ٥٠) .

وكان منهم الذين يعطفون على المريد يأنسون به ويؤانسونه ويحبونه ، ومنهم الذين كانوا يشتدون عليه يبهظونه بالرياضة كما كان أبو محمد الباغى الشكاز (لم يقدر مريد قط على صحبته لأنه كان يطلبه باجتهاده فيفر منه ص ٦٩) .

أما عن الوصايا يلقى بها الشيوخ إلى المريدين فقد كانت تركيزاً مكثفاً للطريق أو لأبرز معالمه ، كالذى نجده عند أبى جعفر أحمد العرينى حين أوصى ابن عربى فقال له : (سدّ الباب ، واقطع الأسباب ، وجالس الوهاب ، يكلمك الله من دون حجاب ص ٤٦) وكالذى أوصاه به شيخه أبو عمران موسى المارتلى : (عليك بنفسك ص ٥٩) .

ومن الطريف أن بعض هذه الوصايا كان يبدو متناقضاً فى نظر المريد وهو فى أول الخطى إلى الطريق ، ولذلك كان لا بد من محو هذا التناقض . . وقع ذلك لابن عربى نفسه فقد روى (دخلت على الشيخ — المارتلى — فقال لى يابنىّ عليك بنفسك . فقلت له إن شيخنا أحمد دخلت عليه فقال لى يابنى عليك بالله ، فمن أسمع ؟ فقال : يابنى أنا مع نفسى ، وأحمد مع ربه ، وكل واحد منا دلّك على ما يقتضيه حاله ص ٥٩) .

٨ — وصورة المتصوفة وشيوخهم من خلال روح القدس ليست هى صورة هؤلاء الناس العازفين عن الحياة والهاربين منها على ما يبدو لنا أحياناً من رغبتهم عن المجتمع وانصرافهم عن الدنيا . . ولكنها ، فى حقيقتها ، صورة الملتزمين بعهودهم مع الله ، يفون بهذه العهود على النحو الذى يحسّون معه أنهم نهضوا بالأمانة وأدّوا الواجب . . وقد يكون ذلك عن طريق مجاهدة الذات وتطهير النفس وضرب الأسوة ، وقد يكون عن طريق تسليك المريدين والمجاهدة

معهم ، وقد يكون عن طريق السعى وراء خدمة الفقراء والقيام بحقهم . . ولكنه قد يكون أكثر من ذلك عن طريق الجهاد والغزوات . . فما أكثر ما يعرض لنا ابن عربى من سيرة هؤلاء أنهم شاركوا فى الغزوات أو (خرجوا إلى الثغور لجهاد العدو ص ٧٨) أو انصرفوا يرابطون فى هذا البلد أو ذاك . . فمنهم من كان يستشهد ومنهم من كان يؤسر فتجمع الأموال لفكاكه (ص ٤٦ — ٤٧) ومنهم الذى كان (ما تفوته غزوة قط فى الروم راجلاً بغير زاد ص ٧٢) مما سنتحدث عنه بعد فى الحديث عن القيمة الاجتماعية للكتاب .

٩ — وليس هذا وحده فى تقييم كتاب ابن عربى من هذا النحو التصوفى . . وإنما وراء ذلك ملامح أخرى جديرة بالإشارة إليها . . فشيوخ ابن عربى وزملاؤه لم يكونوا أبداً سيرةً واحدة ونمطاً مكروراً ، وإنما كانوا يختلفون بمقدار ما يلتقون . . كانوا يختلفون فى السن ، وكانوا يختلفون فى الطبقة ، وكانوا يختلفون فى الجنس ، وكانوا يختلفون فى آماد الطموح التى ينظرون إليها .

ا — فأما أسنانهم فلم يكونوا كلهم كما قد يخيل إلينا كهولاً أو شيوخاً ، وإنما كان منهم الطفل الذى لم يجاوز عمره عشر سنين أو إحدى عشرة سنة ، وإنه لمن الرائع أن يتحدث ابن عربى عن عبد الله الخياط فيقول (اجتمعت به بجامع العدبس ، وهو ابن عشر سنين أو إحدى عشرة سنة وهو ذو طمرين منتقع اللون كثير الفكر شديد الوجد والتوله ، كنت قد فتح لى فى هذا الطريق وما علم بى أحد فأردت الموازنة معه فنظرت إليه فابتسم ونظر إلىّ وأشرت إليه وأشار إلىّ ، فوالله ما رأيت نفسى بين يديه إلا كدرهم زائف . . فمنهم صغير ومنهم كبير رضى الله عنهم ص ٧٨) .

ب — وأما طبقاتهم فمنهم من كان من الاوتاد الذين يمسك الله العالم بهم شأن الحناوى (ص ٧٢) ، ومنهم من كان من الابدال (البيدرانى ص ٧٤) . . ومنهم الذى كان يجهل مقامه لأنه ممن طلبوا (من الله أن يسقط حرمتهم

فكان إذا غاب لم يُفتقد ، وإذا حضر لم يُستشر ، وإذا جاء لا يوسع له ، وإذا تكلم بين قوم ضرب وسخف ص ٧٢) . . منهم من وصل إلى مقامه بعد طول مكابدة ومنهم الذى وصل فى فترة قصيرة شأن أبى عمران البيدرانى فقد (كان موسى هذا رضى الله عنه من أهل السعة فى الدنيا فخرج عنها ففتح الله عليه ، فى ثمانية عشر يوما التحق بالابدال ، كان يتبوّأ من الأرض حيث يشاء ص ٨٥) .

ج — وأما أجناسهم فلم يكونوا جميعاً من الرجال وإنما كان منهم النساء كذلك . . فالحمل على النفس والمكاشفات وقوة القلب ليست شيئاً قاصراً على الرجال . . ولقد حدثنا ابن عربى عن عدد منهن : عن شمس أم الفقراء وما كان من شأنها ومكاشفاتها ، وعن فاطمة بنت أبى المثنى عن مقامها وتمكنها حديثاً مباشراً (ص ٨٤) وحدثنا عن زينب الصالحة فى جملة حديثه عن أبى وكيل ميمون بن التونسى (ص ٨٤) وعن زوجة المورورى كذلك فى جملة حديثه عن شيخه المورورى فقال : عاشرته وانتفعت به وله امرأة فى غاية الجمال صغيرة السن أحسن منه واقوى (ص ٦٥) .

د — وأما عن المنزلة التى كانوا يطمحون إليها فمنهم من كان يرجو أن يخرج لا عليه ولا له . . ومنهم من كان يريد أن يزاحم صحابة رسول الله ويقول (أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يفوزوا بمحمد صلى الله عليه وسلم دوننا ، والله لأزاحمنهم عليه حتى يعلموا ان خلَّفوا بعدهم رجالا) .

وما من شك بعد فى ان مثل هذا التنوع والتكثر فى شيوخ ابن عربى كان وراء نضجه فى التصوف ورسوخ قدمه فيه . . ولعله ان يكون سبباً بيناً من الأسباب التى انتهت بابن عربى إلى الذى انتهى إليه من فلسفة التصوف هذه الفلسفة المغرقة .

آية هذا كله أن روح القدس — فيما عرفنا من هذه الصفحات — وثيقة من وثائق التصوف فى هذه النماذج المختلفة الغنية بسيرة رجاله وواقع مريديه وسلوك شيوخه ، وأن هذه الوثيقة تضيف قيمة جديدة إلى قيم الكتاب التى تحدثنا عنها من قبل والتى سنتابع حديثنا عنها فيما بعد .

رابعاً — قيمة الترجمة الذاتية

والكتاب ، فى بعض قيمه ، ترجمة للشيخ ، ترجمة ذاتية له ، وقد يبدو هذا الكلام مفاجئاً ، وقد يبدو مغريا . . ولكن الحق أننا لا نكاد نمضى نقرؤه فى شئ من اصطناع الأناة وفى شيء من محاولة فقه نصوصه وأحداثه وأخباره وقصصه حتى نجد أنه ترجمة ذاتية — فى شيء من التسامح فى التعبير — للشيخ نفسه . . لم يكن فيها هذا القصد المباشر الى الترجمة الذاتية ، ولكن كان فيها — فى نهاية المطاف — هذه المواد المختلفة التى تصلح لصياغة الترجمة ، مبعثرة فى جوانب شيء من الكتاب .

وتفسير ذلك يسير . . فقد كان حديث الشيخ فى الكتاب متشعباً — بنوع من القسمة — فى هذه الخطوط الكبرى الثلاثة :

ا — حديثه مع نفسه وحسابه لها .
ب — سيرة شيوخه الذين لقيهم وتخرج بهم .
ج — الوصية التى انتهى إليها يوصى بها صديقه ونفسه .

وواضح ان هذه العناوين الرئيسية ، التى يمكن ان تجمع حولها مادة الكتاب الغزيرة ، كانت أشد ما تكون اتصالا بالشيخ نفسه : بحياته وسيرته والتعريف به ، ولا يخلو مقطع عنده ان يكون كشفاً لجانب منها أو تعريفاً بها أو عكساً لما كان يدور فى خلدها . . ان الكتاب بهذا المعنى لم يكن ترجمة ذاتية تقصد

الى الجانب المادى من الحياة فحسب ، وإنما كان ترجمة ذاتية تجاوز الجانب المادى الى الجوانب الأخرى الروحية فتبين عن مساربها ، وتدل على تطلعاتها ، وتسجل نموها وترصد ذبذباتها ، وتحاول أن تبين عن المثل الأعلى الذى كانت تطمح إليه .

ولهذا فنحن نجد دفقة دافئة ثرة من معالم شخصية ابن عربى فى مختلف مراحلها . . فى فترة تكونها وفى فترة اكتمالها ، فى حياتها الأولى أول الطريق حين كانت لا تعرف الرسالة القشيرية ثم حين طلعت على الناس بتآليفها . . فى اشبيلية وفى فاس ، فى مصر وفى مكة ، فى حياة والده وفى حياة والدته ، فى معرفته بأبى مدين وتـــأثره به وفى اتصاله بشيوخ زمانه وتهذيبهم له وانتفاعه ببركاتهم .

ان معالم هذه الترجمة ، مستاقةً من هذه الرسالة ، قد لا تبدو شيئاً جديداً تماماً فى التعريف بابن عربى ، ولكنها تكتسب قيمتها من نحوين :

أحدهما أنها جزئيات إن لم تكن جديدة تماماً — وكثير منها جديد — فهى تعميق لمعرفتنا بابن عربى وسبيل الى الكشف عن مسارب حياته وملامح من تدرجه وأثارات كان لها فى تكوينه فضل كبير .

والثانى أنها — هذه المعلومات والمعارف — مكتوبة بقلمه هو ، وانه لم يكن ليقصد اليها قصدا — فقد يدفعه ذلك إلى شىء من محو وإثبات — وإنمــا جاءت فى عرض غرض آخر من الأغراض التى هدف إليها كتابه .

وكلا النحوين له أثره وخطره فى معرفة الرجل وفى دراسته .

ومهما يكن من شىء فان أبرز ملامح هذه الترجمة تتمثل فى النقاط التالية :

١ — بيئته العائلية

فنحن نعرف من هذا الكتاب كيف كانت البذور الأولى فى تصوف ابن عربى كامنة فى أسرته (فقد كان لى عم أخو والدى وكان من أهل الله

وخاصته ، وكان أبو على — حسن الشكاز — يلازمه ، فكنت أبيت معه فألقى الحصير الجديد له يصلى عليه فتجرى دموعه فتسقط على الحصير فاقلعه فى اليوم الثانى وموضع دموعه قد تعفن كله وانتثر . . ص ٦٢) . . ونعرف كذلك كيف استطاع الشيخ بعد أن يحفظ هذا التصوف فى أسرته فقد دخل الطريق عقب أن مات عمه « ص ٦٣ » . . ونعرف كيف حاول أن يغرى أباه به ، فكان حين يذهب إلى زيارة الشيوخ يصطحبه ليكسب له الدعاء على نحو ما فعل حين زار القبائلى فقد حمل إليه والده (رحمه الله تعالى فدعا له وأمسكنا عنده من غدوة حتى صلينا العصر وأكلنا من طعامه ص ٧٦) . . بل إنه نقل بعض هؤلاء إلى بيته واستضافهم عنده فقد استدعى الشيخ القطان ليلة ليبيت عنده فلما أخذ مجلسه جاء والده وكان من أصحاب السلطان فلما دخل سلم عليه . . فلما صلينا العشاء (قدمتُ له الطعام وقعدت آكل وانضم والدى يغتنم بركته ص ٧١) .

ويكشف ابن عربى فى هذا الكتاب عن سلطان والدته عليه ويبدو أنها كانت ذات أثر فى حياته لاننا نجد أنه يستأذنها فى السفر من اشبيلية إلى شيخه الرندى فتأذن له (ص ٧٣) .

٢ — شيوخه الأول وأثرهم فيه

فإذا تجاوزنا بيئته الاولى فى أسرته وجدنا أن روح القدس يعرض علينا ، فى تفاصيل مثيرة ، بداية أمر ابن عربى فى التصوف ومراحله الأولى فيه حين يحدثنا عن أول من لقيه فى طريق الله من شيوخ ، عنيت أبا جعفر أحمد العرينى . . وحين يقصّ علينا كيف (وصل إلينا من اشبيلية فى أول دخولى إلى معرفة هذه الطريقة الشريفة فكنت أول من سارع اليه فدخلت عليه فوجدت . . ص ٤٦) ثم ما كان من وصيته له .

ولقد مضى ابن عربي يتحدث عن شيوخه الآخرين الذين دخل تحت أمرهم ، والاخوان الذين لقيهم ، والعلماء والفقراء الذين انتفع بهم وعاين بركاتهم (ص ٥٢) وكيف لازم من لازم منهم سنين[١] ، ولقي من لقيهم مرة أو مرات ، وما كان من أثر هذا اللقاء . . منذ بدأ التصوف صغيراً حتى كان شيوخه ليخافون عليه (لصغر السن وعدم المعين وقساوة الزمان . . ص ٥٧) إلى أن نزل الحرم المكي .

ولعل أبرز ذلك أن نقرأ هذه الصفحة التي حدث فيها عن أثر شيخه الكومي في نفسه إذ يقول : (ومما شاهدته منه رضى الله عنه ولم أكن قط رأيت رسالة القشيري ولا غيرها ولا كنت أدرى لفظة التصوف على ما ذا تطلق فركب يوماً فرسه وأمرني وآخر من أصحابه أن نخرج إلى المنتبار وهو جبل عال على فرسخ من اشبيلية فخرجت أنا وصاحبي عند فتح باب المدينة وفي يد صاحبي رسالة القشيري وأنا لا أعرف ما القشيري ولا رسالته ، فصعدنا الجبل فوجدناه قد سبقنا وغلامه ممسك فرسه فدخلنا مسجداً في أعلى ذلك الجبل فصلينا واستدبر القبلة وأعطاني الرسالة وقال لي اقرأ فلم أقدر أن أضم كلمة إلى كلمة أخرى والكتاب يسقط في يدى من الهيبة ، فقال لصاحبي اقرأ فأخذه صاحبي فقرأ ، وتكلم عليه الشيخ ، فلم نزل كذلك حتى صلينا العصر فقال الشيخ : ننزل إلى المدينة ، فركب فرسه وألزمت يدى ركابه فجعل يحدثني بفضائل الشيخ أبي مدين وكراماته رضى الله عنه وأنا قد فنيت في كلامه ، فلا أحس بنفسي وأرفع إليه وجهي في أكثر الأوقات فأراه ينظر إليّ ويبتسم ويهمز فرسه فيسرع وأسرع معه ثم وقف وقال لي انظر ما تركت خلفك فنظرت فرأيت الطريق الذى مشيته كله شوك يصل إلى معقد الازار ، وشوكا آخر منبسطاً في الأرض ، قال انظر إلى قدميك فنظرت إلى قدميّ فلم أر بهما أثراً ، قال

(١) عاشرته – يريد أبا على حسنا الشكاز – من وقت دخولى في هذه الطريقة حتى مات (ص ٦٢).

انظر إلى ثوبك فنظرت فلم أر أثراً ، قال هذا من بركة ذكرنا أبا مدين رضى الله عنه ، إلزم الطريق يابنى تفلح ، وهمز فرسه وتركنى . . ص ٥٠) .

ويظهر أنه كان من حظ ابن عربى أن ظفر بمثل الكومى هذا شيخاً له . . ذلك أن بعض الشيوخ كانوا يجهدون المريد فينقطع عن غايته (ص ٦٩) ولكن شيخاً كالكومى كان (إذا أعطى المجاهدة للمريد يعملها معه وكذلك للاثنين والثلاثة يعمل مع هذا ومع هذا فتراه لا يفتر ص ٥٠) .

وهناك إلى جانب الكومى أثر واضح لأبى مدين فى حياة ابن عربى ونفسه . . يظهرنا على ذلك النص المتقدم . . غير أن هذا النص لم يكن هو الإشارة الأولى أو الوحيدة لقيمة أبى مدين فى حياة ابن عربى ، فالكتاب طافح بالتنبيه على فضله وما كان من أثره على كثير من الشيوخ الذين لقيهم ابن عربى . . وانه ليلح فى الحديث عنه ويرى فيه مثلا رائعاً من أمثلة التصوف ، ويعجب بالذين لقوه من مثل الكومى والمورورى وأبى أحمد السلاوى ويجعل من تعريفه بهم أن يقول عن أحدهم : صحب أبا مدين (ص ٤٩) أو خدم أبا مدين (ص ٦٤) . ونقل عن شيخه الكومى حديث البيدرانى مع الحية وقد عجب من معرفتها بأبى مدين وسؤالها عنه : (وهل على وجه الأرض من يجهل حاله ؟ إن الله تعالى قد أنزل حبه إلى الأرض ونادى به فعرفته أنا وغيري فلا شىء من رطب ولا يابس إلا ويعرفه ويحبه (ص ٧٥)[1] .

وكان يكفى أن يكون الشيخ الذى يلقاه ابن عربى من أصحاب أبى مدين حتى يقبل عليه أشد الإقبال ، ففى حديثه عن أبى أحمد السلاوى (كان صحب أبا مدين ثمانى عشرة سنة . . بتّ معه شهراً كاملا بمسجد ابن جراد ، فقمت ليلة أريد أن أصلى . . . . وكان إذا بكى آخذُ الدموعَ إذا سقطت من عينه

---

(١) يكرر ابن عربى الاشارة إلى حكاية البيدرانى والحية فى كتابه إنشاء الدوائر (ص ٧٥) .

على الأرض فأمسح بهـا وجهى فأجد فيها رائحة المسك فاتخذها طيباً يشمها الناس على ، فيقولون : هذا المسك من أين اشتريته ؟ ص ٧٨ — ٧٩) .

٣ — سلوكه مع شيوخه

وقد كان سلوك ابن عربى مع شيوخه ، فيما يبدو من الكتاب ، سلوكاً قائماً على كثير من الإقبال عليهم ، والطاعة لهم ، والانصياع إليهم ، وتقبّل كل ما يصدر عنهم . . إنه لم يكن يحبهم فحسب ولكنه كان يخافهم . . وقد حدثنا عن ذلك فى مرات كثيرة . من ذلك ما قاله عن شيخه الكومى : (فكنت إذا قعدت بين يديه وبين يدى غيره من شيوخنا أرعد مثل الورقة فى يوم الريح الشديد ويتغير نطقى وتتخدر جوارحى حتى يعرف ذلك فى حالى فيؤنسنى ويطمع أن يباسطنى فلا يزيدنى ذلك إلاّ مهابة وإجلالا ص ٤٩) .

وقد بلغ به الأمر فى بعض المواقف أنه كان إذا طرحت مسألة ووجد فى نفسه القدرة على الإجابة عنها سكت عن هذا الجواب لأنه كان — على حد تعبيره — شديد القهر لنفسه فى الكلام . . وفى ترجمته لشيخه العرينى مثلٌ من ذلك ، يقول : (دخلت عليه آخر زورة رأيته فيهـا رحمه الله تعالى ومعى جماعة فوجدناه قاعداً فسلمنا عليه وقد أراد بعض الجماعة أن يسأله فإذا به قد رفع رأسه وقال : خذوا مسألة وقد رميتك بها يا أبا بكر وأشار إلىّ . . . فإيش ؟ قال أجيبوا ، فلم يكن فى الجمـاعة من أجابه ، فعرض على الجواب فحضرتنى نفسى بعثورى على وجه المسألة دونهم فلم أتكلم فإنى كنت شديد القهر لنفسى فى الكلام ، وعرف الشيخ منى ذلك فلم يعد علىّ ص ٤٨) .

ومهما يكن من شىء فقد أورثه سلوكه هذا الذى اقامه على قهر النفس والحياء محبة الشيوخ له ومباسطتهم إياه . . وكذلك كان الشأن فيمن لقى من اخوانه فى الطريق أو من المتصوفة الذين لم يأخذ عنهم . . ولعله لهذا تتردد

كلمات المباسطة والمحبة ، والميل إلى جانبه ، والفرح به ، والاستبشار بلقائه ، والاعجاب ، فى اكثر الترجمات .. نجد ذلك مثلا فى ترجمة الكومى : (وكان رضى الله عنه يحبنى ولا يظهر ذلك لى .. ص ٤٩) وفى ترجمة موسى بن عمران المارتلى : (كان يباسطنى غاية البسط فلا يزيدنى ذلك إلا مهابة وتعظيما وكان يتعجب من حفظى الأدب معه فى حين بسطه فيرجع من المباسطة إلى باب العبودية فحينئذ أباسطه .. ص ٥٩) وفى ترجمة الرندى : (صاحبته وعاشرته زمانا كان إذا وقعت عينه على فرح بى واستبشر ص ٧٢) والخراز (عاشرته وأحببته واحبنى ص ٧٧) وابن طريف العبسى (وكان يحبنى ص ٧٩) و (كان يميل إلى جانبى ص ٨٠ س ١ — ٢) وفاطمة بنت أبى المثنى (كانت تقول لا يعجبنى أحد ممن يدخل على غير فلان ، تعنى اياي . فيقال لها بمَ ذلك ؟ فتقول : ما منكم أحد يدخل على إلا ببعضه ويترك بعضه فى اغراضه من داره وأهله إلا محمد بن العربى ولدى وقرة عينى فإذا دخل على دخل بكله ، وإذا قام قام بكله ، وإذا قعد قعد بكله لا يترك خلفه من نفسه شيئاً ، وهكذا ينبغى أن يكون الطريق ص ٨٤ — ٨٥) .

وبلغ من منزلته عند شيوخه ان كان هنالك هذا التجاوب العميق بينه وبينهم ، فيتناهى الى خاطره من آرائهم ما كان يقع فى خاطرهم ، وهو تجاوب لا نملك أن نفسره ، وإنما ندع ابن عربى يحدثنا عن بعضه مثلا فى مثل موقفه من شيخه العرينى (وصليت الصبح معه .. فقرأ الامام : عم يتساءلون ، فلما وصل إلى قوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً » غبت عن قراءة الامام وما سمعت شيئاً ورأيت شيخنا أبا جعفر المذكور وهو يقول : المهاد العالم والاوتاد المؤمنون ، والمهاد المؤمنون والاوتاد العارفون ، والمهاد العارفون والأوتاد النبيون ، والمهاد النبيون والاوتاد المرسلون ، وذكر من الحقائق ما شاء الله أن يذكر ، فُرُددتُ إلىَّ والإمام يقرأ « وقال صوابا ، ذلك اليوم الحق » فلما فرغنا من الصلاة سألته فوجدته قد خطر له فى تلك الآية ما شهدته .. ص ٤٨) .

ومضى هذا التجاوب يعمق ويزيد ، وتجاوز هذا إلى حدّ هذه الرؤى المتبادلة التى كان يراها لهم أو يرونها هم له ، والبُشْريات التى يبشرونها به ، والأدعية التى يدعون بها . من ذلك هذا الحديث الذى ساقه فى ترجمة أبى عمران موسى ابن عمران المارتلى إذ قال : (رأيت له رؤيا تدل على انتقاله من مكان إلى ما هو أعلى منه فقال لى : بشرتنى بشرك الله بالجنة ، فلم يكن إلا يسيراً ونال المقام الذى رأيت له ، فدخلت عليه فى اليوم الذى حصل فيه والسرور باد على وجهه فقام إلىّ وعانقنى فقلت له : هذا تأويل رؤياي من قبل . وبقيت دعوتك ان يبشرنى الله بالجنة فقال يكون ان شاء الله تعالى فما تمّ الشهر حتى بشرنى الله بالجنة بإيجاد آية منه ظهرت لى مصدقة لدعوى المبشر لى عن الله تعالى . . ص ٥٧) . . ومن ذلك ما ساقه فى ترجمته لصالح العدوى (أخبرنى بأمور فى حقى مما يتفق لى فى المستقبل فرأيتها كلها ما غادرت منها كلمة ص ٥٢) .

أما بعد فان ابن عربى تحدث عن شيوخ متصوفة وعن سادة فقراء — على حد تعبيره أحياناً — ولقد انتفع بهم جميعاً . . فأما عن شيوخه الذين أخذ عنهم فقد رأينا كيف كان سلوكه معهم وكيف كانت صلاته بهم قائمة على الحذر والتهيّب حيناً وعلى التقدير والاجلال أكثر الأحايين وعلى مخالطتهم ومباسطتهم فى الأحايين الأخرى وان كانت هذه المباسطة لم تقد إلى أن يُسقط ما بينه وبينهم من تأدب معهم وتعظيم لهم . . وأما عن المتصوفة الفقراء فقد كان سلوك الشيخ معهم قائماً كذلك على اجلالهم وعلى الثقة بهم والنزول على الذى يقولون به أو يذهبون إليه . . وتقديم كل ما يملك أن يقدمه لهم . . وبلغ من إجلاله لهم ان اكتحل بدموع أبى أحمد السلاوى (ص ٧٨) كما بلغ من اكرامه ما قال عنه انه (إذا دخلت على شيخ أو فقير أدفع إليه كل درهم يكون عندى ، لا أمسك شيئاً ص ٦٩) .

وإذا كان ابن عربى قدّر كل من لقيه تهيباً أو تكريماً ، فى محاورته معه أو صمته أمامه ، فان شيوخه ورفاقه لم يكونوا فى ذلك سواء . . هنالك قدر مشترك بليغ من هذا التقدير والتهيب والتعظيم ، ولكن يبقى مع ذلك أن بعضهم كان فوق بعض . . وهو وان لم يتحدث عن ذلك بلغة واضحة صريحة ولم يصنف شيوخه هذا التصنيف المتسلسل وإنما كان يثنى عليهم جميعاً أطيب الثناء ويتحدث عنهم كلهم أنصع الحديث حتى لنوّد لو كان بيننا — على كل هذا المدى الزمانى الذى يفصلنا عنهم — مثلهم . . غير أنه أبان عن مزيد من التقدير يوشك أن يكون تصريحاً بمثله الأعلى أو تصويراً له فى مرتين : إحداهما فى المقدمة حين علّل توجهه برسالته هذه إلى أخيه الركن الوثيق أبى محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشى المهدوى ، والأخرى فى ثنايا الكتاب حين تحدث عن الشيخين الاخوين أبى عبد الله محمد الخياط وأبى العباس أحمد ، الاشبيليين .

فى المرة الأولى أفاض فى ذكر فضائل صديقه المهدوى وعددها تعديداً موضوعياً على ما نحو ما نقلنـاه فى الصفحات الأول من هذا البحث (ص ٤ من الكتاب) .

وفى المرة الأخرى حين وصف هذين الاخوين وصفاً رائعاً مؤثراً هو فى ذاته صورة من أحلى الصور ابتدأه بقوله (فى قلبى من فراقهما لهيب ص ٥٩) وانتهى منه إلى ان قال بعد وصفه للأول : (ما تمنيت من كل من رأيت أن أكون مثله الا وهو وأخوه . . ص ٥٩) وبعد وصفه للآخر : (جمع الله بينى وبينهما فى عافية ولا فرق بينى وبينهما) .

ولسنا فى غنى عن أن نذكر ما كان من وصفه لهذين الاخوين . . ما دمنا نحاول أن نتعرف الى المثل الأعلى الذى كان يتطلع إليه ابن عربى . إنه يقول عن محمد (. . غلب عليه الخوف ، كان إذا صلى يسمع لقلبه دوىّ على بعد ، سريع الدمعة ، غزيرها ، طويل الصمت ، دائم الحزن ، كثير الفكرة ، شديد التأوّه ، ما رأيت قط أخشع منه ، لا تراه أبداً إلا مطرقاً ضارباً بعينيه الأرض ،

لا يمازح أحداً ولا يعاشره ، بريء من المداهنة ، قوى فى المناصحة ، لا يستحيي فى الحق من أحد ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم ، لا يمارى ولا يدارى ، ابتلى بالفقر والضراء فصبر ، له شأن عجيب وهمة رفيعة ، وكنت اتعشق به وأنا صغير عند الذى كنت أقرأ عليه القرآن وكان جاراً لنا ، كان إذا دخل المسجد هابه كل من رآه ، ما عاينته قط يكلم أحداً مبتدئاً ، ولا يجيب إذا كلم إلا فى ضرورة ، يحفظ دينه حفظاً . . لازمته وانتفعت به وأخذت من خلقه ، كان يحتمل الأذى ويكف جفاه ، صدوق الرؤيا كثير النجوى ، ليله قائم ونهاره صائم ، لا تجده فارغاً قط ، يحب العلم . . كان يخدم الفقراء بنفسه ويؤثرهم بالطعام واللباس ، وكان رحيما عطوفا ، رؤوفا شفيقاً رفيقاً ، يرحم الصغير ويعرف شرف الكبير ، يعطى كل أحد حقه ، له الحق على الناس وليس لأحد عليه حق إلا الله تعالى ، على هذا فارقته وعلى هذا وجدته الآن وعليه تركته ، فالله يجمع بينى وبينه فى عافية بلا محنة بمنه وكرمه ص ٥٩ — ٦٠) . ويقول عن أحمد (وأما أخوه أبو العباس أحمد ، وما أدراك ما أحمد ، جمع الفضائل ، واجتنب الرذائل ، عرف الحق فلزمه ، وكشف له عن السر فكتمه ، هو ممن ينادىَ من وراء حجاب ، قوىّ المجاهدة ، كثير المساعدة ، وطىء الأكناف ، حسن المعاشرة ، سمح الخليقة ، موافق فيما يرضى الله ، مخالف لما لم يرض الله ، لزم الاسم فسما ، وعمر ذكره كل أرض وسما ، تراه كأنه ذاهل سريع الحركة كأنه مطلوب بثأر . . أما الإيثار وتوسيعهما على الخلق وتضييقهما على أنفسهما فلا أحد فوقهما فى ذلك . . ص ٦٠ — ٦١) .

٤ — موقفه من الفقهاء وأسلوبه الفكرى فى ردهم

وقد تحدثنا فى فصل سابق عن الذى كان بين الفقهاء وبين المتصوفة من خصومات ، يطلعنا كتاب ابن عربى على جانب خصب منهـا . . ولكن

الذى يهمنا أن نقول هنا إن ابن عربى أبان فى هذه الرسالة ، عن موقفه من الفقهاء وعن أسلوبه فى ردّهم كما أبان عن ملامح من جدله معهم فى صفحات مختلفـات .

ويبدو أن ابن عربى اتخذ من مناجزة الفقهاء غرضاً له ، ورأى فى ذلك قدراً من قدره ، أراده الله له وفتح عليه فيه . . ولذلك نجده يفصح عن ذلك هذا الإفصاح الذى تمثله القولة التالية : (ولم أزل والحمد لله أجاهد الفقهاء فى حق الفقراء السادة حق الجهاد وأذبّ عنهم وأحمى ، وبهذا فتح لى . . ص ٦٨) .

ويبدو كذلك أنه كان له أسلوبه فى هذا الجهاد الجدلى ، وهو يعرض علينا هذا الأسلوب الذى يتميز بالحنكة والدراية . . إنه لا يبدأ نقاشه من غير هذا التمهيد عن الذى سيتحدث عنه ، ولا يسوق هذا النقاش مع الفقهاء المعترضين جميعاً ، وإنمـا هو ينظر فيهم فيرى أنهم فريقان اثنان أحدهما : هذا الذى لا يحسن الظن بأحد ، والآخر ذلك الذى يؤمل ابن عربى أن يكون فيه من حسن الظن ما يساعده على بلوغ الحق والخير . أما كيف يستطيع الشيخ أن يميز بين هذين الفريقين وكيف يرى فى واحد ما لا يراه فى الآخر فذلك هو الذى يميز أسلوبه ، وهو الذى يحدثنا عنه فى صراحة واضحة إذ يقول (ثم إذا وصف الفقيه أفعال الأولياء أقيدها عليه ، ثم أريه تلك الأفعال فى شخص ما ، فإذا رآه « رأيته » يقول : « إيه من قال انه أخلص فيها ؟ لو كان مخلصاً ما اطلعت أنت على عمله ولا أنا ، إنما نصب هذا لحيلة ما « فلا تراه قط يحسن الظن بأحد » . . ومن تعرض لذمهم والأخذ فيهم على التعيين وحَمَل من لم يعاشر على من عاشر فإنه لاخفاء بجهله ولا يفلح أبداً ص ٦٨) .

ولم يكتف ابن عربى بأن يعرض علينا منهجه وإنما مثّل لهذا المنهج فى هذه المناقشة الذكية التى أدارها مع القاضى الأزدى ، فقد كانت هذه المناقشة ، فى تدرجها وأسئلتها التى تطرحها وأجوبتها التى تصل إليها ، تعبيراً حياً عن

أسلوبه الجدلى . . يقول : (ولقد تكلم معى بحرم مكة رجل يقال له القاضى عبد الوهاب الأزدى من أهل الاسكندرية ، فقيه قد استحوذ عليه الشيطان بحيث صيّره أن يعتقد أن الزمان فارغ من جميع المراتب فى كل فن وإنما هى تلفيقات وخرافات . فسألته : كم من بلد فى معمور الأرض للمسلمين . . فقال : كثير ، فقلت له كم دخلت منها ، فذكر ستة بلاد أو سبعة . قلت : كم الخلق فيها ؟ قال : كثير فقلت له : من أكثر ؟ الذى رأيت أم الذى لم تره ؟ قال : الذى لم أره ، فضحكت ، وقلت له : حدّ المعتوه الأحمق الذى يرى الكثير ويبقى له القليل فيقيس القليل على الكثير ويحمله عليه فى الحكم ، وأما المؤمن الناصح نفسه فإنه يقول : ولعل فى ذلك القليل ، ولو كان واحداً لم أره ، لعلّه ذلك السعيد . كيف ومَن يقول : ما رأيت إلا القليل لا من البلاد ولا من الناس ، ثم يعتقد ذلك ، فلا خفاء بجهله . ثم إنه لا يطلع اللهُ مثل هذا إلا على نقائص العالم لا على فضائله حتى يحكم على الغائب بما يراه فيشقى بذلك عند الله ، وأين هو من قول الله تعالى : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » فكثرهم ، وقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فقللهم . . ص ٦٨) .

وكأنما لم يُقنع ابنَ عربى هذا المثل فى مناقشته للفقهاء وردهم ، فإذا هو يقدم مثلا آخر يبين كذلك عن منهجه الفكرى وأسلوبه التدليلى فيقول : (ثم إن فى المسألة ما هو أعجب من هذا كله ، إنى سمعته يقول ما يناقض أصله من جهة علمه فقال : « الناس على قسمين ذكي وغير ذكي ، فغير الذكي لا كلام معه لنقصه ، والذكي لا يسلم من الغلط ، فما ثمّ شيء » . فانظر نظره إلى باب العيب والنقصان لشقاوته ، وتركه النظر فى أحوالهم إلى باب الفضل ، هلاّ قال عند هذا التقسيم : فغير الذكي يأتى إلى العالم فيأخذ منه العلم تقليداً لعدم ذكائه وفطنته ، فيوفّق ويُرْجَى أن يعلمه الله ، والثانى الغالب عليه الإصابة فى عموم أحواله ، وهذا لا يقنع فى الأشياء إلا بالبراهين من

نفسه لذكائه ، فهما غلط ، ان استمر فى غلطه بعد اجتهاده ، فمعفوٌ عنه أو قد يرجع عن ذلك . وأما نقض أصله فيها فقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحاكم إذا اجتهد فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر ، وكل مجتهد مصيب ، فتراه مأجوراً فى الحالتين لا وزر عليه البتة . فرأيت هذا الفقيه أجهل الجاهلين . والحمد لله رب العالمين . ص ٦٨ — ٦٩) .

وكذلك يكشف لنا هذان المثلان عن منهج واضح لابن عربى فى دفع الفقهاء عما يأخذون به المتصوفة ، وفى ردهم إلى السبيل الفاضلة النيّرة التى لا تغطيها الأوهام ولا تحجبها الأفكار السابقة . . انه يحاول أن يجرد هؤلاء الفقهاء من هذه الأفكار ، وأن يدلهم على الثغرات الكبيرة التى ينفذ إليهم الخطأ منها . . وهو لذلك لا يعنى بالجزئية من الجزئيات مما يتصل بشخص بعينه أو حادثة بذاتها ، يقف عندها بالنفى أو الاثبات . . وإنما يعود إلى الأصول الأولى التى يبنى عليها خصمه رأيه ويقيم نظرته ، فينقض عليه هذه الأصول ثم يتركه يتلمس وحده الحق .

وإننا لنستطيع أن نميز فى هذا المنهج طريقة التشكيك ، عن طريق المشاهدات التى يشارك فيها الناس جميعاً أو الواقع الذى يتكنفهم . . وانه ليجر خصمه إلى هذا التشكيك خطوة بعد خطوة عن طريقة أخرى هى طريقة هذه الاسئلة التى تتسع شيئاً فشيئاً ، وما يجتمع عنده من أجوبة عنها ، وما يكون من تجميع هذه الأجوبة فى صياغة الرد .

فإذا استوى له التشكيك وإذا تناهت إليه هذه الأجوبة التى اقتنصها أصدر حكمه يدمغ خصمه بالخطل . ولكنه لا يكتفى بهذا وإنما يتابع تأييده لهذا الحكم بما هنالك من أصول فى كتاب الله أو فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض الأصل الذى اتكأ عليه خصمه . . وانها لطريقة فذّة هذه الطريقة التى لا تقف عند الدليل النقلى ، على سلامته وصحته والتزام المتناقشين به — وإنما تزاوج بين الدليلين : العقلى والنقلى ، هذه المزاوجة الموفقة .

٥ — خيوط متفرقات

ويستبين لنا من رسالة ابن عربي هذه جزئيات كثيرة تغني محاولة الترجمة المفصلة له ، إذ تكشف اطرافا من حياته وتعرض جوانب من ذاتيته ، وتتم الخيوط التي ترسم لنا شخصيته الانسانية :

ا — من ذلك مثلاً حرصه على أصحابه ورغبته في أن يطلع صاحبه بدراً الحبشي على كل شيء ليشاركه في كل شيء . وفي الرسالة نبضات حية من ذلك تنبئ عن هذه الرغبة وتدل على هذا الحرص ، وهو حرص انساني رفيع[١] .

ب — ومن ذلك مواقفه من بعض السلاطين والامراء وتورعه عن طعامهم ، تصل إليه موائدهم فيمسك عنها لأنه يرى أنها حرام[٢] .

جـ — ومن ذلك أدعيته التي كان يدعو بها وما يكون لهذه الادعية من دلالات نفسية واجتماعية منها هذا الدعاء حين تحدث عن الفقهاء : (حال الله بيننا وبين كل من يقطعنا عن الله وعن أهله وخاصته ص ٦٨) ، وهذه الادعية التي دعى بها في ترجمة الاخوين الشقيقين أبي عبد الله محمد الخياط وأبي العباس أحمد ، وتلك التي ألقى بها في المقدمة لصديقه المهدوي حين وجه إليه بهذه الرسالة . . وأبرزها هذا الدعاء الذي قال إنه سمعه من محمد بن قسوم والتزمه في خواتم مجالسه : (اللهم اسمعنا خيرا واطلعنا خيرا وارزقنا اللهم العافية وادمها لنا واجمع اللهم قلوبنا على التقوى ووفقنا لما تحبه وترضاه ، وخواتم البقرة : ربنا لا تواخذنا ان نسينا . .)

---

(١) من أمثلة ذلك قوله في خاتمة ترجمة محمد بن قسوم : جمعت بينه وبين صاحبي عبد الله بدر الحبشي وصلى خلفه ص ٥٧

(٢) انظر في ترجمة القلفاط حكاية الموائد التي كان يرسلها إليه وهو في سبتة السلطان أبو العلا ص ٨٠ ومائدة شيخ قرية روطة ص ٧٣

د — هذا إلى لمحات قصيرة كالبرق عن دراسته الأولى كالذى حدث به فى ترجمة ابن قسوم : (وقرأت عليه ما يصلح لى فى طهارةٍ وصلاةٍ وسمعت عليه . .) .

هـ — وهناك اشارة سريعة الى موضوع ما أعرف أن أحداً نظر فيه ، يتصل بحياة ابن عربى الأولى وهو خروجه من الطريق ثم عودته إليه . . وتلك الاشارة فى ترجمة الشقيقين محمد وأحمد الخياط : (. . وآخيته لما رجعت إلى هذه الطريقة وفرح بى ولازمته . . ص ٥٩ — ٦٠) .

و — وفيما عدا ذلك ففى الرسالة إشارة إلى عدد من كتب ابن عربى :

١ — كتاب انزال الغيوب على مراتب القلوب فيما لنا فى هذه الطريقة من نثر ونظم خاصة . وقد ذكره فى أعقاب ترجمته للكومى فقال : (ومن شعرى فيه حين فارقته وأنا متوجه إلى مراكش وهو بسلا قاطن . . وأورد أبياتاً من ذلك وعقب عليها بقوله : والقصيدة طويلة أودعتها كتاب انزال الغيوب . . ص ٥١) .

٢ — كتاب الدّرة الفاخرة فى ذكر من انتفعت به فى طريق الآخرة . . وقد ذكره فى أواخر ترجمات شيوخه فقال : (ولولا التطويل لذكرناهم عن آخرهم ولكن اقتصرت على هذا المقدار ، رغبة فى الايجاز والاختصار ، وقد افردت لذكرهم كتابا سميته الدرة الفاخرة . . ص ٨١) .

٣ — كتاب البغية (. . إلى آخر القصة على حسب ما ذكرناه فى كتاب البغية لنا مستوفى ص ٧) .

٤ — كتاب الحجة البيضاء (ص ٣٥) .

وكل ذلك جدير أن يقف الباحثون عنده يستثمرونه ويستنطقونه ويفيدون منه فى استكمال ترجمة ذاتية موسعة دقيقه لابن عربى تساعد على ادراك ما كان من تطوره بعد ، وهى ترجمة نفتقدها فلا نجدها .

هل على من حرج إذا أنا أكدت ، فى خاتمة هذا الفصل ، ما ذهبت إليه في بدايته من أن الرسالة فى بعض وجوهها ترجمة ذاتية لابن عربى كتبها ابن عربى بنفسه لنفسه دون أن يكون قاصدا إلى ذلك قصدا وان هذه الترجمة أوفى ما عرفنا عن الطور الأول من أطوار حياته ، لهذا الغنى الذى تتميز به ولهذه الجزئيات التى تتكاثر فيها ؟ .

خامساً — القيمة التربوية التهذيبية

وراء هذه القيم التى تحدثنا عنها فى هذا الكتاب تبدو قيمة جديدة تعلو مقاطعه وتتراوح بين أسطره وتملأ كل صفحاته ، تلك هى القيمة التربوية التهذيبية التى كانت — فى نطاق من التصوف — أولى أغراض ابن عربى فى تأليفه هذا .

ولقد قلنا فى المقدمة حين تحدثنا عن أهداف الكتاب إن ابن عربى صرح بأنه كان يقصد من وراء وضع رسالته هذه أن يدفع الناس نحو مكارم الأخلاق وأن يدلهم على الطريق إلى الله فلا تطغى عليهم الحياة الدنيا ولا تفسد عليهم زخارفها الحياة الأخرى .

ولقد كان تهذيب النفس البشرية وصقلها بأنوار الله هو سبيله إلى هدفه . . ولذلك تحدث عن النفس فأكثر من الحديث عنها . . أشار إليها ، ووقف عندها ، وأبدى ملاحظاته من حولها ، وذكر ما يكون من غرورها أو انحرافها وما يكون من اعتدالها واستقامتها . . ولعل القيمة التربوية أن تكون أشد ما تكون وضوحاً فى هذا الكتاب حين نذكر كيف كان يتحدث ابن عربى عن النفس فى هذه الرسالة وكيف كان يتحدث عنها فى مصنفاته الأخرى . . إنه هنا لم يقصد إلى النفس من حيث هى جوهر ولم يتجه إلى ماهيتها ولم يعن بمحاولة التفريق بين النفس والروح والقلب وصلة ما بين هذه الأشياء وصلتها كلها بالعالم الخارجي . . إن كل تلك الاتجاهات المتشعبة ذات الصبغة الفلسفية

النظرية لم تكن له فى هذه الرسالة على بال ، وإنما قصد إلى النفس من حيث هذا التجسيد العملى فى الحياة ، فى صلاتها مع الله فى العبادات ، وفى صلاتها مع الناس فى الأخلاق والواجبات ، أعنى فى سلوكها . . ولذلك لا تطالعنا هنا وجهات فلسفية وإنما تطالعنا جمل واقعية ، وليس قليلا ولا نادراً أن نقرأ مثل هذه الأقوال : (النفس عمياء عن عيوبها بصيرة بعيوب غيرها . . (ص ٣) شموخ النفس عن سماع الحق . . وكل إنسان يقبل النصح من غيره لا من نفسه إلا من وفق الله تعالى فحينئذ يلتذ بسماع معايب النفس (ص ٣) . من أحبك لنفسه يسكت عنك ، وأما من أحبك لك فلا سبيل . عين الرضا عن كل عيب كليلة . النفس مجبولة على المخالفة (ص ١٢) . وعزة من جبلكِ على المخالفة وجعلك محلا لكل وصف مذموم . . إلى غير ذلك مما يعبر عن هذه الأصول النفسية الإنسانية التى فطرت عليها الكثرة الكاثرة من الناس .

٢ — ولكن القيمة التربوية التهذيبية لهذه الرسالة لا تبدو فى هذا الذى قدمنا من مجانبة الاتجاه النظرى الفلسفى والانخراط فى الواقع العملى للنفس الإنسانية ، وإنما تبدو كذلك فى هذا الأسلوب الذى سلكه ابن عربى حين جرّد من ذاته ، من نفسه ، نفساً أخرى تتحدث إلى نفسه الأولى وتكشف لها معايبها وتبصِّرُها غرورها ، وتحاول أن تأخذ بيدها إلى المثل الأعلى عن طريق الأسوة الحسنة . . ان هذا الأسلوب ذاته : من النفس إلى النفس ، ومحاولة وضع النفس الإنسانية فى صلفها أمام النماذج العالية الرفيعة حتى تحس قصورها ، ثم وضعها أمام النماذج الأخرى — فى الترجمات لشيوخه — حتى تجد مثلها الأعلى مجسداً فى تراجم هؤلاء الشيوخ المعاصرين ومعبراً عن إمكانية اللحاق بهذا المثل الأعلى (. . ومقصودى بهذه الرسالة إبراز معرفة نفسية وربانية تحرض على الكلم الطيب والعمل . والله ، نفسى ، وأنبهك وأريد أبناء جنسى وعنى أ كنى ، فلا تغتر النفس عن الذكر فإنها الذليلة ولا تعم عن حظها الإلهى بتصاممها عن الفضيلة (ص ٨٥) .

إن هذا الأسلوب بكل تفاصيله المثيرة هو فى ذاته عمل تربوى من الطراز الأول ، لأنه حافل بإدراك ما للنفس وما عليها ، ما يثيرها وما يضعها ، ما يساعدها على تجردها عن عيوبها والاندفاع نحو صلاحها .

إن ابن عربي لم يسلك هنا طريق الوعظ ، أعنى انه لم يسلك هذا الطريق المباشر الذى نجده مليئاً بالتقرير والأمر والنهى ، حافلا بالزجر ، طافحاً بالترغيب والترهيب النظريين . . هنالك ملامح من هذا لا يخلو منها أسلوب ، ولكن ابن عربى فى جوهر الخطة التى انتهجها أعطى رسالته قيمة تربوية بارزة تنضاف إلى القيم الأخرى لتتكامل كلها — هذه القيم — فى تتويج الكتاب ، ووضعه فى مكانه المتميز من المكتبة الإسلامية .

والحق ان ابن عربى كان دقيق الملاحظة للحياة النفسية للأفراد والجماعات . . وتلك صفة لا يستغنى عن التحلى بها أولئك الذين يريدون النفاذ إلى نفوس الأفراد والجماعات . . إنهم يحتاجون إلى هذه القوة النفسية الخارقة التى تتأتى عن الإيمان ، والتى تصقلها الرسالة التى يحس الإنسان أنه موكل بها والأمانة التى يجد أنه مكلف بتحقيقها . . ولذلك كان من منطلقات ابن عربى الأولى شعوره بنفسه ، برسالته ، بالمهمة الملقاة على عاتقه ، فهو يقول عن نفسه انه الناصح ، ويقول انه الشفيق ، ويقول انه المشدد عليه فى النصح (مقدمة الكتاب) . . ثم يشعرك بإصراره على دعوته وإدراكه لعواقبها وتحديه لهذه العواقب حين يقول : ليس للناصح من صديق (ص ٤) ويعيد قولة النبى صلى الله عليه وسلم : ما ترك الحق لعمر من صديق (ص ٣) .

وكذلك ترى أن هذه القيمة التربوية تتجسد فى :

١ — أسلوب الحكاية أو القص ، على ما قدمنا من أثر هذا الأسلوب من الناحية الأدبية .

٢ — أسلوب الحوار . وقد أسلفنا الحديث عن أثره فى التقييم الأدبى .

٣ — اتخاذ ذاته مسرحاً لهذه الحكاية وهذا الحوار حين يقول لصاحبه :

(ثم أعرّف ولىي أبقاه الله تعالى بما طرأ بينى وبين نفسى . . ص ١١) .

٤ — إيقاظ نفسه عن طريق هذا الاستبطان الداخلى الذى يحاول فيه أن يتعرف إلى ذاته ومكانه .

٥ — ضرب المثل من ماضى هذه الأمة ، تقوم به نفسه ذاتها حين تنظر فى القرآن الكريم وسيرة النبي العظيم صلى الله عليه وسلم وأمثولات أهل الصُّفّة والصحابة والتابعين .

٦ — الأمثلة الأخرى من حياة الذين عاصروه ، حين ترجم لشيوخه ، ليؤكد أن أسلوب المتقدمين لم يمت ، وإن الذى تحقق مرة يمكن أن يتحقق مرة أخرى .

٧ — أسلوب التدرج فى البرهان .

٨ — الاعتماد على الشعور النفسى بالمؤاخاة والمناصحة ، فإنما هو ناصح وليس آمراً ولا زاجراً (والنصح أولى ما تعامل به صديقان ص ٣) .

والحق أن هذه القيمة التربوية تركت أثرها واضحاً فى كل الذين قرؤوا الكتاب . ولقد عرفت دمشق جماعات من الناس الذين يحبون التصوف كانت تقطع ليالى أسمارها فى قراءة هذا الكتاب ، تختاره من دون الكتب الأخرى ، ليُسْره من نحو ولهذا الأثر القوى السريع الذى يخلّفه من نحو آخر . ولو كان من اهتمامنا أن ننظر النظرة الأعمق فى تراثنا لكان من الحق أن نولى هذا الكتاب عناية أضخم لنجعل منه — فى شيء من التهذيب — كتاباً فى أيدى الطلبة يجدون فى أسلوبه وأحاديثه وأمثلته بعض ما نحتاج أن نوقظ فى أنفسهم من معانى الخير وإيثار الحق ومجانبة الغرور .

سادساً — القيمة العلمية للكتاب : آراء وقضايا مختلفات

وبعد فنحن نتساءل ، بعد ان عرفنا بعض ما للكتاب من قيمة أدبية واجتماعية وتصوفية ، هل وراء ذلك من قيم أخرى ؟ هل للكتاب قيمة علمية

خاصة تساعد على تعميق معرفتنا بفلسفة ابن عربى أو ايضاحها أو اضافة شىء جديد عليها ، ليس فى غيره ؟ .

الحق ان الكتاب لم يوضع لهذا ، ولقد كان من حديثنا عن هدفه أنه كان يريد أن يضرب المثل وان غايته إنما كانت التهذيب . . وليس من حقنا أن نطلب من الرسالة ، بعد هذا الهدف الواضح ، آراء أخرى فى مثل هذه القضايا التى أثارها ابن عربى من بعد ذلك أو عاناها .

وعلى ذلك ، فان الرجل لم يخلّ بين رسالته هذه وبين بعض المسائل . . ولكنها — هذه المسائل — لم تكن تلك التى تشغل بال فلاسفة التصوف وإنما هى تلك التى كانت تشغل بال المتصوفين والتى كانت فى نطاق حياتهم العملية والسلوكية مثار جدل قد يبلغ حدّ الخلاف العنيف .

١ — السماع

ولعل من أبرز هذه القضايا مسألة السماع . . فمن المعروف أن بعض المتصوفة يقف السماع موقفاً غير الذى يقفه بعض آخر . . منهم من يجيزه ومنهم من ينكره ، منهم من يحرّمه ومنهم من يجعله فى صلب سلوك المتصوفة ومن دعائم الطريق . . وهناك أولئك الذين أباحوه لطبقة ومنعوه عن طبقة أخرى ، أو قل ان شئت الدقة : ارتضوه من طبقة وأنكروه من طبقة أخرى . . ومن هؤلاء ابن عربى فى هذه الرسالة .

هذا المكان البارز لهذه القضية وهذا الجدل حولها أخذاً ورداً اضطر ابن عربى ان يفسح لها حيزاً طيباً من رسالته إلى حدّ انها كانت أول المسائل التى أثارها وأكثر المسائل التى ألحّ عليها وأبرز المسائل التى تردّد فيها أو بدا كالمتردد .

وقد بدا ابن عربى يتحدث عن قضية السماع فى الصفحات الأولى من كتابه حين كان يتحدث عن متصوفة المشرق ويحتدّ عليهم فاتجه إلى عدم القول بالسماع بعد أن مهد لذلك بهذا التمهيد الشيق العنيف (. . وأما أهل السماع

والوجد فى هذه البلاد فقد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، لا تسمع إلا من يقول لك رأيت الحق وقال وفعل وصنع ، ثم تطالبه بحقيقة مُنحها أو إسراء استفاده فى شطحه فلا تجد إلاّ لذة نفسية وشهوة شيطانية ، يصرخ على لسانه الشيطان فيصعق ، ما دام ذلك المغرور الآخر بشعره ينهق . فلا أشبههم إلا براعى غنم ينعق بغنمه فتقبل وتدبر لنعيقه ولا تدرى فيما ذا ولا لماذا . فواجب كل محقق فى هذا الزمان ممن ينظر ويقتدى به المريد الضعيف ان لا يقول بالسماع أصلا ، ويقطعه قولا فصلا . وقد أوضحنا مقامه لاهل هذه البلاد وما يتطرق إليه الفساد ، واحتجوا علينا بأحوال من سمع من الشيوخ فى الرسالة وغيرها فأوضحنا مبهمه ، وأعربنا معجمه ، فأقروا بنقصه فى مراتب الوجود ، فمنهم من عدل عنه ومنهم من قام فيه على معرفته بنقصه ص ٩) .

ولكن ابن عربى عاد بعد ذلك فى صفحات أخرى من كتابه ليوضح لنا ذلك المبهم الذى كان وضحه لأولئك القوم وليفسر موقف الشيوخ الذين كانوا يسمعون فقال : (وكل من سمع من الشيوخ فهو على أحد أمرين : اما قبل أن تحصل له مرتبة التمكين فالسماع عندنا عليه حرام فى ذلك الوقت . أو بعد التمكين بشروطه المعروفة التى قد ذكرناها فى غير هذا الموضع ، ويعلم من هذا أنه نزل من المقام إلى ما هو أسفل منه وأدنى لحظٍ نفسى . ولهذا قلنا فى حق بعض من لقيناه من المشايخ وكان يولع بالسماع وكان قبل ذلك لا يقول به فسئلنا عنه فقلنا : الشيخ متمكن ، ومقام السماع نازلٌ وحظه النفس فما هو الشيخ — والله أعلم — إلا نزل إلى السماع رحمةً بنفس دنيوية ، وجاد على السماع بذلك ليشرف به السماع فإن السماع يشرف بالعارفين ولا يشرف به العارفون ، فصار نزوله إليه كنزول الحق إلى عباده . . هذا إذا كان الشيخ عالياً ، ولكن يقع منه هذا نادراً . . ص ٢٢) .

وهكذا ظل السماع عند ابن عربى فى جملته موضع إنكار ، ولكنه كان مدفوعاً إلى اصطناع شىء من تفسير أو تبرير لموقف الطبقة العالية المتمكنة من

الشيوخ الذين سمعوا . . وظـل السماع لمثل هؤلاء — بشروطه المعروفة — نوعاً من الابتلاء أو الاختبار الإلهى ، أو النقص الذى تدفع إليه الحظوظ النفسية والأهواء الدنيوية .

غير أننا لا نكاد نمضى بعد ذلك فى الكتاب حتى نجد أن ابن عربى يتعرض للسماع مرة أخرى منكراً له ، وحتى يتبين لنا أن السماع قد غلب على كثير من أهل التصوف وأنهم أباحوه على أنه تقليد لمن قام به ، وان الأمر عند أنصار السماع تقليد بتقليد (. . وصلنى عن بعض الناس من المقلدين فى بعض الطريقة ان قال لمـا سمع منى الإنكار فى السماع وقد أوضحت له حقيقته حتى اعترف بها فقال : تقليد بتقليد ، والأولى أن أقلد الشيوخ المتقدمين الذين قالوا بالسماع . . ص ٢٥) .

والحق أن ابن عربى كان ، فيما يبدو ، حريصاً على إنكار السماع وعلى إنكاره فى المراحل الأولى من الطريق حين يكون المريد طرىّ العود ، ولكنه لم يكن قادراً على تحريمه فلم تجر على لسانه كلمـة التحريم إلا مرة واحدة فى أحد النصوص التى قدمنا ، وقد جاءت على كثير من الاستحياء ، وفى جملة تكتنفها الشروط من كل جانب حتى لا يكاد يظهر فيها حكم التحريم . ومن هنا كانت دائماً تفسيراته لمواقف بعض الشيوخ الذين أُثر عنهم السماع وتبريراته لعملهم وجمله الاحترازية التى تبدو بوضوح للمتأمل .

ولهذا أيضاً اضطر آخر الأمر إلى أن يقول : (أو أتعجب أيضاً من عدم تحصيله لمـا أوردناه فى السماع فإنا لم نحرّمه بل أبحنا الشعر والغناء على القدر الذى جاءت به الشريعة ثم تكلمنا فى نقصه من المقامات ص ٢٥) .

٢ — الشعر

ويتصل بقضية السماع قضية الشعر . . ذلك أن السماع إنمـا هو مجموعة من الشعر والغناء وما يصاحب الشعر والغناء من صفق ولحن ورقص (ص ٢٠) ،

وما قد يقود إليه من مصاحبة بعض الآلات والأدوات . . ثم ما يسوق إليه آخر الأمر من مراسم ومسالك وطقوس قد تخرج بالتصوف خروجاً كاملا عن أصوله الأولى التى قام عليها وأهدافه التى يهدف إليها .

ومن هنا كان حديث ابن عربى عن الشعر هذا الحديث الذى تستبين فيه نفوره منه أو محاولة نفوره منه حيناً وحملته عليه حيناً آخر . . ومن الواضح أن ابن عربى كان يقول الشعر (ص ٤ و ٥١ و ٥٨ و . .) ، وكان كذلك يتمثل بالشعر (ص ٦ و ١٠ و ٣٥ و ٦١ و . .) وكان يتهادى الشعر مع بعض شيوخه أو أصدقائه فينشدونه من شعرهم ويطلبون منه أن يقيّد لهم من شعره (ص ٥٨) . وكان يسمع منهم بعض الشعر (ص ٥٧) . وكان له هذا الديوان الضخم الذى نعرفه له ، وكان فى بعض كتبه آخر عهده ينظم الموضوعات نظما على نحو ما نرى فى كتاب له اسمه « تنزل الأملاك للأملاك فى حركات الأفلاك » ، طبع تحت اسم كتاب لطائف الأسرار (القاهرة دار الفكر العربى ١٣٨٠ — ١٩٦١ م) فكيف نفسر موقفه ؟

من اليسير جداً أن نقول انه كان يقصد إلى هذا اللون من شعر السماع أو انه كان يكنى بالشعر عن السماع ذاته . . وكذلك خُيِّل إلى ذات مرة وأنا أعرض كتابه . . ولكنى وجدتُ بعدُ أنه يعنى أحياناً الشعر مجرّداً عن السماع أى الشعر على أنه هذا الفن من القول بما يقود إليه من إنشاد وترنم فحسب . وكثيراً ما كان يضع الشعر ، كل مرة يريد فيها أن ينال منه ، قبالة القرآن الكريم ليدل على أن أُنس النفس بالقرآن يجب أن يحول بينها وبين كل فن آخر مما هو إلى زخرف القول . ولنقرأ هذا المقطع من قوله (. . ناشدتك الله يانفس فهذا مجلس حق فاصدقينى ، هل سمعت قط كتاب الله يُتلى فلم تهتزى ، فلما أُنشد شعر اهتززتِ وجُننتِ وأخذكِ الحال ؟ فقالت والله ذلك ديدنى ودأبى أبداً . وأزيدك والله ما هو أنحس من هذا مما أنا عليه ، انى أقرأ القرآن ويدركنى العياء وأقول لك والله لا أقدر على شىء وقد ضعفت وكَلَّ خاطرى

فتجيبنى إلى ذلك وتترك المصحف من يدك أو التلاوة من لسانك ، فما تلبث إن نبهتك على مقطوعة من كلامك أو كلام غيرك فى أى فن كانت فتفتح فاك بها وتنشدها وتترنم فيها وترتلها مترسلا على طريقة تستحسنها ، نشيطاً طيب النفس ما بك كسل ولا عياء . . (ص ١٩) . . أترى هكذا حالة المؤمن ! لا والله ، بل كلام الله تعالى للمؤمن ألذ وأشوق إلى سماعه من الظمآن للماء الزلال . .

وإذا كانت الفقرات التالية بعد ذلك من هذا المقطع تقود إلى السماع وتتحدث عنه ، فان مواقف أخرى من رسالة ابن عربى تردّنا إلى أنه يريد الشعر سواء قاد إلى الترنم والانشاد ثم إلى السماع والرقص ، أم لم يقد ، فهو حين ترجم ابن جمهور (ص ٦١) قال : وكان يقرئ القرآن والعربية ، لم يقرئ شعراً قط . . ص ٦١) .

٣ — آراء أخرى متفرقات

ومن المؤكد ان ابن عربى عرض فى رسالته طائفة من الآراء الأخرى قصداً من خلال بعض الترجمات أو استطراداً واستدراكاً من خلال بعض القضايا التى طرحها . . انه عرض لها من نحو جانبى لم يتعمدها وفى شكل موجز لم يقصد فيه إلى الجدل حولها أو البرهان عليها . ومن هنا أحسب أن لمثل هذه الآراء قيمتها ، من حيث هى تنوير لمواقف ابن عربى الأخرى تساعد على ايضاحها وتدل على أصولها ، ومن حيث هى تفسير لها أو ابانة عن جذورها .

اننا مثلا أمام رأى فى المعرفة حيث يقول : ان المعرفة من حقّ الخالق (. . بدليل قوله تعالى : ألا يعلم من خلق . ولما لم يكن لنا خلق لم يكن لنا علم ، فما أعطانا الله فمِنّةٌ منه ، وعلمه لا يتناهى ص ١٣) .

وأمام رأي أو موقف من القرآن الكريم (. . وكذلك القرآن فانه البحر الأعظم الذى لا يدرك قعره إذ ليس له قعر فيدرك ، ولا ساحل فيبلغ ، بل فيه هلك الهالكون ونجا المفلحون . . ص ١٣) .

ومن النبوة ومكان الناس منها (. . فان فلك النبوة ليس لنا فيه قدم . . فانه البحر الذى يغترف منه الخاص والعام . . ص ١٣) .

وأمام ملاحظ عن العبادات والحرص على اتقانها وحسن التهيؤ لها على نحو ما رأينا حين نعى على بعض المتصوفة (. . والله يا ولى لو رأيتهم فى صلاتهم ينقرونها وفى صفوفهم لا يقيمونها ، يجعل أحدهم بينه وبين صاحبه فى الصفّ قدر ما يدخل فيه الف شيطان ثم إذا شئت أن تسد ذلك الخلل تراهم قد قطبوا وجوههم فان غفلت ووطئت سجادة أحدهم لكمك لكمة حيث جاءت منك وقد يكون فيها حتفك . . ص ٦) .

وعنده ان العبادة عبادتان (عبادة تعم الأمة كلها وعبادة تخص آحاد الامة ، كما قال تعالى : وما منا الا له مقام معلوم . .) .

وأمام فيض من الآراء والملاحظ حول سلوك المريد وموقف الشيخ وغاية الطريق ، ما من سبيل إلى استقصائها ، ولعل من أروعها موقفه من مصادمة الدنيا وموضوع الاتكال والسعى فقد كتب فى ذلك صفحة مشرقة انتهى فى آخرها إلى قوله : (فقد لزمها — النفس — أن تخرج عن السعى والادخار فى حق الغير فانه شرك محض وطعن فى القدرة ص ٩٠) .

ان كل هذا الذى جاء فى رسالة ابن عربى من هذا النحو لم يجىء على الأغلب — مقصوداً إليه ولم ينح فيه صاحبه منحى التعليل والتدليل ولذلك جاء سهلا على الفهم ، قريباً من التناول ، بعيداً عن الاغراق والتعميق والشطح البعيد لم يبنه على اللغز والرمز(١) ولم يتقيد بالمصطلحات ، ولم تمازجه الفلسفة وتبهظه وإنما هو — اكثر الأحيان — رأى موجز ، وبيان واضح ، وتناول قريب .

ان المتتبع لهذه الآراء والملاحظ فى رسالة ابن عربى يجد نفسه قريباً من

(١) فى مقدمة كتابه لطائف الأسرار : [هذا كتاب أودعت فيه لطائف الأسرار وأضواء علوم الأنوار فهو مبنى على اللغز والرمز ص ٣٥]

كثير من آراء المتصوفة ، دانيا من مصطلحاتهم ، موصولاً بكل ما يملأ حياتهم الذهنية وتطلعهم الروحى وسلوكهم العملى ، ولكنه لا يجد نفسه مغموراً فى مصطلحاتهم وتعقيداتهم وفلسفاتهم وغموضهم . . ولعل هذه الرسالة ان تكون فى معنى من معانيها مدخلا — ولكنه ليس مدخلا مدرسياً — إلى التصوف ، الى معايشته أو إلى تذوقه .

٤ — مسائل من مسائل التصوف

وإلى جانب ذلك نجد فى رسالة ابن عربى اشارات إلى بعض مسائل التصوف ، يذكرها أو يسردها دون أن يخوض فيها ، على أوجه مختلفات .

ا — فقد كان يكتفى حيناً بتعدادها على أنها مما أفاده من شيخه . . ففى آخر ترجمته للكومى نجد هذه الجملة (أفادنى شيخنا هذا مسألة الوصال ، وأنا سيد ولد آدم ، وآدم ومن دونه تحت لوائى ، والتدبير نصف العيش ، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه ، وقلب القرآن يسن ، ولم يسبقه أحد إلى هذه المسألة فى بلادنا وغير ذلك مما لا اتذكره الآن . . ص ٥١) .

ب — وكان يقنع حيناً آخر باقل الجواب ، مما يسمعه هو أو يقوله ، مكتفياً بالاشارة قائلا (وهذه اشارة بديعة تحتها بحور تزخر لمن نظر وتفكر ص ٨٣) .

ج — وكان فى بعض الاحايين يذكر المسألة دون أن يذكر ما سمع أو قال فى جوابها (فاجبته على ذلك على حدّ ما وقع لى ص ٤٩) ، أو يعتذر بأن هذا ليس مكان الجواب عليها .

والطريف فى ذلك أن نضيف إلى معرفة هذه المسائل معرفة الطريقة التى كانت تتداول فيها فى مجالس القوم . . فقد كانت امتحاناً واختباراً على نحو ما حدث فى ترجمة الكومى (ان أول مسألة ألقاها على فى أول ساعة رأيته فيها وقد أقبل علىّ بكليته أن قال : ما الذنب الذى . . ص ٤٩) أو إثارة ونكتة كما فى ترجمة البرجانى (. . سمعته يقول فى قوله تعالى : الذين آتيناهم الكتاب

يتلونه حق تلاوته — لِمَ تَلَوْه هؤلاء حق تلاوته . . ص ٨٣) . . وكان ابن عربى يجيب أحياناً (ص ٤٩) أو يسكت يتهيب الاجابة (ص ٤٨) أو يرد المسألة على السائل تاركاً له أن يجيب (ص ٨٣) .

٥ — كتب واهتمامات

وبقى أن نشير إلى بعض الملاحظ التى يطلعنا عليها ابن عربى فى هذه الرسالة . فهو يعرّفنا ببعض اهتمامات هؤلاء المتصوفة وتناولهم لبعض القضايا الخطيرة فى الإسلام ، والعلوم التى كانت تشغل حيزاً كبيراً من اهتمامهم ، كما يعرفنا ببعض الكتب التى كانت تتداول بينهم .

فحين ترجم للعرينى ذكر أن رجلاً دخل عليه ومعه ابنه وكان الشيخ قد كُفّ ، فقال الرجل : ياسيدى ان ابنى هذا من حملة القرآن يحفظه . فتغير الشيخ وصاح وطرأ عليه حال وقال : القديم يحمل المحدث . القرآن يحمل ابنك ويحملنا ، ويحفظ ابنك ويحفظنا . وتابع ابن عربى الحديث فقال : فهذا كان من حضوره رضى الله عنه .

وفى مواطن متفرقات من تراجم شيوخه نجد ان علم التوحيد كان أبرز ما عنى به المتصوفة (ص ٤٦) كما نجد ان الاشارة تتكرر إلى الرسالة القشيرية وكتاب المعرفة للمحاسبى (ص ٧٢) .

خاتمـــة

وبعد فإن هذه الدراسة التي كان من هدفها أن تلقى بعض الأضواء على ابن عربى وعلى كتابه ، وأن تبين عن قيمه المتعددة الغنية ، وان تحاول إيضاح مكانته من أدب التصوف وتاريخه وحياة ابن عربى ومعالمها — لتنتهى بنا إلى تأكيد ما قلناه من قبل من أن الكتاب واحد من أطايب الكتب التى تمخض عنها ابن عربى والتى ظفرت بها الثقافة الإسلامية . . إنه يهم أولئك الذين يعنون بالجانب السلوكى من التصوف قدر ما يعنى أولئك الذين يهتمون بتطور الأسلوب الأدبى وبناء الآثار الأدبية . . وهو يوضح من ترجمة ابن عربى الذاتية ومن تراجم متصوفة عصره ما لا يوضحه كتاب آخر . . وليس يستغنى باحث فى حركة التصوف عن أن يقف عنده وأن يفيد منه ، وأن يجد فى إشاراته نبعاً ثراً .

ومن المؤكد أن جانبه الاجتماعى حافل بالكثير سواء أكان يتحدث عن الفقهاء أو عن العلماء أو عن المتصوفة أو عن طبقات المجتمع الأخرى فى المغرب ، أم كان يتحدث عنها فى المشرق . . وهو من هذا الوجه مرجع أندلسى من بين مراجع الحياة الأندلسية فى مقطع من مقاطعها .

وإذا كان التصوف تسليكاً وخلقاً فان ابن عربى استوى له من القدرة على تقريب التصوف وتسليك المريدين وتهيأ له من الأساليب فى ذلك ما يعطى الكتاب فيما يعطيه معناه التربوى والاخلاقى ويجعل منه مدخلا بارعاً لحياة التصوف .

هل من حرج علينا بعد هذا كله إن قلنا فى خاتمة الدراسة ما قلناه فى أولها من ان كتاب ابن عربى نص أدبى ، ووثيقة اجتماعية ، وترجمة ذاتية ، ومصدر أندلسى وطريقة تربوية .

لقد كانوا يقولون عن كتب ابن عربى واضرابه إن لها رجالا لهم فى الحقائق مجال وعندهم فى التمييز مقال ، فلا يشتغل بها فى البداية إلا غوىّ وفى

النهاية الا خلىّ وفى المتوسط الا ذكى . . فهل فى وسعنا أن نرد هذه القالة فى صدد هذا الكتاب وأن نزعم انه مدخل إلى التصوف يسع الغوى والخلى والذكى ويفسح للناس جميعاً طريقه فى غير مخادعة أو إغراء أو إبهام ؟ .

هل فى وسعنا أن نقول أخيراً إن دراسة الكتاب استنقاذ له من أن يكون كتابا فى فن من الفنون هو التصوف ، لجماعة من الناس هى جماعة المتصوفة ، ليكون — فى شيء من تهذيب وصقل — كتاباً يقرأ فيه الناس جميعاً صوراً رائعة من صور المجاهدات النفسية نحو حياة فضلى تنصرف إلى ايقاظ الضمير واشاعة الخير وتحقيق معنى الانسانية فى إطار من الإيمان والاطمئنان والثقة العميقة بالله .

إنى لأرجو ذلك . ومن الله التوفيق ؟

شكرى فيصل
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق
وأستاذ كرسى الأدب العربى بجامعتها

ملاحظة : الطبعة التي اعتمدتها فى هذا البحث والتى أشرت إلى صفحاتها هى طبعة دمشق ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م

نزعة التجديد عند ابن رشد
فى كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال

لقد عكف ابن رشد سنوات طويلة على مؤلفات ارسطو ، يكتب الحواشى والشروح المتعددة ، وتنجلى عبقرية الشارح الأول فى فهم المعلم الأول فى تلك التفسيرات المستفيضة التى وضعها ابن رشد لكتاب ارسطو فى الفلسفة الأولى ، وشروح ابن رشد المختلفة لكتب ارسطو المتعددة تدل على أن فيلسوف قرطبة قد امتاز عن بقية فلاسفة المسلمين بالنفاذ الى غور فلسفة ارسطو وتنقيتها من الشوائب الافلاطونية المحدثة التى كانت قد علقت بها على يد الشراح السابقين له[1] .

وان كان ابن رشد قد اعطى جهداً كبيراً وخصص وقتاً طويلا لتفسير كتابات ارسطو فلم يكن مقلداً أعمى ومردداً لما كان يقوله ارسطو ، بل كان مفكراً عظيما وفيلسوفاً مجدداً وتشهد بذلك مواقفه الفلسفية المتعددة تجاه المشكلات الفلسفية المختلفة مثل مشكلة قدم العالم وتفسيره لمعنى القديم والمحدث ، ومشكلة معرفة الله بالعالم وهل معرفته شاملة لجميع أجزاء العالم ، ومشكلة النفس وكيفية اتصالها بالجسم ووقت مفارقتها له وكيفية اتصالها بالعقل الفعال ، هذا قليل من المشكلات الفلسفية المتعددة التى اسهم ابن رشد فى وضع الحلول المناسبة لها . وان كان فيلسوف قرطبة قد أعجب بفلسفة ارسطو ، فان هذا الاعجاب لا يقضى

---

(١) ماجد فخرى : ابن رشد فيلسوف قرطبة . (المطبعة الكاثوليكية — بيروت سنة ١٩٦٠ ص ١٧

بحال ما على الطابع الأصيل لفيلسوفنا ، وانما كان اعجابه بالفيسلوف الاغريقى يرجع لوضعه لكتاب المنطق[١] .

نزعة التجديد التى هى موضوع هذا البحث تتجلى بوضوح فى كتاب ابن رشد « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال » . فى هذا الكتاب وفى الصفحات العشر الأولى منه يرسم المفكر القرطبي الطريق الذى يجب أن يتبعه الباحث للوصول إلى الحقيقة ، لأن الحقيقة فى نظر ابن رشد وفى هذا الكتاب بالذات لا تُطلب ألا باستعمال منهج معين يوضع لهذا الغرض خصيصاً ، والحقيقة التى يقصدها ابن رشد هى تلك الأحكام والقضايا العامة التى نتوصل إليها باستعمال النظر العقلى فى الموجودات لاستخراج المجهول من المعلوم . المعرفة بالحكمة والشريعة لا يكونان الا بالنظر العقلى لانهما علمان يتصلان بموضوعات مفارقة مستقلة عن الحس ، ولان المعرفة بهذين العلمين تتعدى المحسوس الظاهرى إلى المعقول الباطنى . ولما كانت هذه هى الصفة الفعلية لهذين العلمين وجب النظر فيهما باستعمال البرهان العقلى .

يبدو هناك سببان رئيسيان يدعوان إلى استعمال البرهان العقلى للنظر فى هذين العلمين حتى تتسنى لنا المعرفة باحكامهما على أساس يقينى . السبب الأول هو الضرورة الدينية والسبب الثانى هو الضرورة العلمية . بخصوص الضرورة الأولى يقول ابن رشد « فوجب أن نجعل نظرنا فى الموجودات بالقياس العقلى وَبَيِّن أن هذا النحو من النظر الذى دعا إليه الشرع وحث عليه هو أتم أنواع النظر بالقياس وهو المسمى برهان[٢] » فالشرع قد دعى إلى استعمال النظر العقلى فى معرفة الموجودات وهذا بيِّن فى آيات كثيرة من كتاب الله العزيز

(١) محمود قاسم : نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الاكوينى (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٥) .

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال (نشر محمود على صبيح ، المكتبة المحمودية ميدان الأزهر القاهرة ١٣١٧ هـ. ص ٢) .

مثل قوله جل جلاله « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » وقوله « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت » وقوله « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » هذه الآيات تدل على أن هناك دعوة دينية الى النظر العقلى فى الموجودات .

وإلى جانب دعوة الشرع إلى النظر العقلى هناك ضرورة علمية تستلزم وضع منهج معين لدراسة الحكمة والشريعة . لان النظر إلى الموجودات لا يرقى إلى المستوى العلمى الرصين إلا باستعمال البرهان العقلى .

ومن هنا يتبين أن ضرورة المنهج للدراسة لا تقل عن ضرورة الآلة للعامل أو الصانع فالعامل لا يستطيع أن يعمل إذا لم تتوفر لديه الآلات أو الأدوات المختلفة التى يستعملها فى الأغراض الصناعية . والباحث فى أمور الحكمة والشريعة لا يستطيع هو الآخر أن يتقدم فى بحثه ما لم يكن متفهما للبرهان العقلى . ولذا وجب على الباحث أن يعرف أنواع البراهين وشروطها ولماذا يخالف القياس البرهانى القياس الجدلى والقياس الخطابى والقياس المغالطى . التمييز بين هذه البراهين لا يمكن الا إذا تقدم الباحث فعرف قبـل ذلك « ما هو القياس المطلق وكم أنواعه وما منها قياس وما منها ليس بقياس ، وذلك لا يمكن أيضاً (إلا إذا تقدم) فصرف قبـل ذلك أجزاء القياس التى منها تقدمت أعنى المقدمات وأنواعها فقد يجب على المؤمن بالشرع المتمثل أمره بالنظر فى الموجودات أن يتقدم قبل النظر فيعرف هذه الأشياء التى تنزل عن النظر منزل الآلات من العمل[1] » .

إلى جانب الدعوة الى استعمال المنهج العقلى ينبه إلى الخواص التى يجب أن تتوفر حتى يكون القياس قياساً منتجاً . لأن هذه كلها أمور يجب معرفتها قبل البدء فى البحث العلمى . وهذا الأمر لا يتأتى إلا إذا تمت الاستعانة

---

(١) نفس المرجع ص ٣

بمجهودات الآخرين من أهل العلم المتبحرين فى هذا الفن . وهذا لا يكون إلا بالرجوع إلى كتاباتهم وأخذ منها ما يتلاءم مع العقل وما يناسب الغرض الذى يهدف البرهان إلى تحقيقه .

الدعوة هنا موجهة إلى وضع برهان عقلى على أسس علمية يستعين الباحثُ العلمىَ فى وضعه بمجهودات من سبقوه من العلماء والفلاسفة لأن المجهود الفردى فى هذه الحالة لا يجدى وكأنما صاحبه أراد أن يبدأ من جديد . واستعمال وسائلَ وطرقٍ أخرى دون تقييمها وتقديرها وأخذ منها ما يناسب الباحث هو الآخر لا يجدى لأن الباحث فى هذه الحالة يكون بمثابة المقلد الذى يقبل كل شىء على علته دون أن يمحص ويدرس الذى يتقبله ليستخرج النافع من الضار ، فيأخذ المفيد ويترك الفاسد .

ولعل هذه دعوة صريحة إلى نزعة التجديد فى الدراسات الخاصة للموجودات المتعددة والابتعاد عن التقليد الأعمى لمنطق ارسطو ومحاولة تطبيقه حرفياً فى أمور الحكمة والشريعة وبقدر ما هى دعوة صريحة إلى التجديد هى دعوة أخرى إلى التحرر من التقليد الأعمى للأمور الدينية وفتح المجال أمام العقل الواعى لكى يفهم الحكمة والشريعة عن وعى وتفهم لا عن تقليد وتحجر .

كلا هذين الأمرين على ما يبدو لى كانا غير مقبولين عند ابن رشد . فلا التقليد الأعمى للمتقدمين من غير أهل الملة إلى حد اماتة الشخصية الفردية لذلك الباحث تجدى . ولا التقوقع الفكرى والتحجر العقلى والتمسك الحرفى بالنص يجدى فى حل المسائل الكثيرة عن أمور الحكمة والشريعة . بخصوص التقليد الأعمى يقول ابن رشد « وإذا كان الأمر هكذا وكان كل ما يحتاج إليه من النظر فى أمر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء اتم فحص فقد ينبغى أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كله صواباً قبلناه منهم ، وإن كان فيه ما ليس بالصواب نبهنا عليه فإذا فرغنا من

هذا الجنس من النظر حصلت عندنا الآلات التى بها نقدر على الاعتبار فى الموجودات»[١] فهو ينبه إلى الاستعانة بمجهود الاخرين لتكوين الآلات التى تستعمل فى الفحص عن الموجودات معتقداً أن العلم للجميع وهو ملك للانسانية كلها وليس وقفاً على أمة دون أخرى . ولما كانت هذه هى صفة العلم وجب الاستعانة بمجهودات المتقدمين فى حدود معينة فقط بأخذ ما يتناسب مع طبيعة البحث لتكوين الأدوات المختلفة التى تستعمل فى الدراسة .

وأما بخصوص التقوقع الفكرى والتحجر العقلى فان ابن رشد يلوم أولائك الذين وقفوا أمام النظر العقلى وذلك لجهلهم بهذا النوع من المبحث المعرفى مبيناً أسباب فشلهم وعدم جدواهم فى تقليل قيمة النظر العقلى للموجودات . وبهذا الخصوص يقول ابن رشد «فقد صد الناس عن الباب الذى دعا إليه الشرع منه الناس إلى معرفة الله وهو باب النظر المؤدى إلى معرفته حق المعرفة وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى وليس يلزم من أنه ان غوى غاو بالنظر فيها وزل زال أما عن قبل نقص فطرته وأما عن قبل سوء ترتيب نظره فيها أو من قبل غلبة شهواته عليه أو ان لم يجد معلماً يرشده إلى فهم ما فيها أو من قبل اجتماع هذه الأسباب فيه أو أكثرها»[٢] .

يتساءل ابن رشد هل لهذه الأسباب أو غيرها تمنع النظر العقلى للموجودات وتقفل باب الاجتهاد . ان هذه الأمور كلها أسباب عرضية فقط ولا شيء منها يمس العقل أو البحث النظرى السليم . فهل لجهل بعض الناس بكتب الحكمة لاسباب ذاتية ترجع اما لفطرتهم أو إلى عدم ترتيب أفكارهم ، أو إلى غلبة الحس والشهوات على نفوسهم ، أو لعدم توفر المدرس الحق المتمرس فى فهم الحكمة . هل هذه أسباب وجيهة يمكن التعلل بها لابطال الحكمة والنظر

---

(١) نفس المرجع ص ٤ — ٥
(٢) نفس المرجع ص ٦

فيها . ان الأمر هنا وفى هذه الحالة لا يعدو كون من منع العطشان شرب الماء العذب حتى مات لأن قوماً شرقوا به فماتوا فان الموت عن الماء بالشرق أمر عارض وعن العطش ذاتى وضرورى[١] .

مما تقدم يتضح لنا أسلوب التجديد فى البحث العلمى الذى كان ابن رشد يدعو إليه ويسعى إلى تحقيقه . ذلك المنهج القويم الذى يدعو إلى استعمال البرهان العقلى ذلك البرهان العقلى الذى هو بمثابة حلقة اتصال بين الشريعة والحكمة فيربط بينهما برباط عقلى فكرى مجرد عن كل تأويل زائغ ، قصده الكشف عن الحقيقة الأخيرة واظهار الرأى الصالح وابطال آراء الحشوية المضللة التى كانت سداً منيعاً فى سبيل تطوير المفاهيم الدينية بما يتناسب مع الوقت[٢] .

وبقدر ما كان اهتمام ابن رشد بالمنهج كان اهتمامه بالموضوع الذى يقوم المنهج العقلى أو القياس العقلى بدراسته . وهذا الاهتمام هو الآخر يعمق روح الاتجاه العلمى فى فلسفة ابن رشد ، فهو بدون شك كان يرى أنه لا يمكن أن يتخذ أى موضوع يدرس الصبغة العلمية ما لم يتحقق فيه شرطان هما :

١) منهج سليم يستعمل كأداة أو وسيلة يستعان بها فى فهم ما يدرس .

٢) وموضوع محدد المعالم . هذان الشرطان على ما يبدو لى أنهما شرطان ضروريان عند ابن رشد وذلك من خلال دراستى لكتابه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال .

ولما كنا قد أوضحنا المنهج الذى كان يدعو إليه ابن رشد فى دراسة الحكمة والشريعة ، لا بد لنا أن نشير إلى موضوع الدراسة فى حد ذاته . وموضوع الدراسة هنا هى الشريعة الإسلامية ، وغرض الدراسة هو الوصول إلى تأويلات سليمة فى احكام الشريعة تتفق مع البرهان العقلى ، لذلك عند تطبيق البرهان

---

(١) نفس المرجع ص ٦

(٢) أرنست رينان ، ابن رشد والرشدية ، ترجمة عادل زعيتر (دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٧) ص ١٧٨

العقلى على أحكام الشريعة فان أدى هذا التطبيق إلى الوصول إلى معرفة ما بوجود ما ، فى هذه الحالة يكون هناك احتمالات : اما أن تكون الشريعة قد سكتت على هذا النوع من الموجودات . فاستنبط عن طريق القياس العقلى كما يستنبط الفقيه الاحكام التى سكتت عنها الشريعة بالقياس الشرعى .

واما ان تكون الشريعة قد نطقت به ، فى هذه الحالة لا يعد وكون ما توصلنا إليه عن طريق البرهان اما متفقاً مع ظاهر الشرع أو مخالفاً ، فان كان مطابقاً فلا قول هنا لتطابق البرهان والشريعة . وان كان ما أدى إليه البرهان مخالفاً لما نطقت به الشريعة هنا وجب التأويل . ومعنى التأويل هو اخراج الدلالة اللفظية عن الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بلسان العرب فى التجوز من تسمية الشىء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التى عودت فى تعريف أصناف الكلام .

وان كان الفقيه يفعل هذا التأويل فى كثير من الاحكام الشرعية الا أن ذلك النوع من القياس الذى يستعمله الفقيه فى التأويل هو قياس ظنى وهذا بخلاف القياس العقلى الذى يعطى صاحب العلم بالبرهان معرفة يقينيه وابن رشد هنا وفى هذه المسألة بالذات يرى أن باطن الشريعة لا يختلف مع العقل ولذا وجب فهمه باستعمال البرهان العقلى لذلك إذا توصل صاحب البرهان إلى معرفة ما بأمور الشريعة فان هذه المعرفة هى معرفة يقينية ، أما إذا توصل إلى معرفة بباطن الشريعة ولكن تلك المعرفة كانت تختلف مع ظاهر الشريعة ، هنا يجب الابقاء على تلك المعرفة اليقينية المستقاة عن طريق البرهان وتأويل الظاهر حتى يتفق مع البرهان ، فالبرهان وحده هو الذى يزيل التناقض بين الظاهر والباطن فى أمور الشريعة ، وهو الميزان الوحيد الذى يقرر الحقيقة فى أمور الحكمة والشريعة .

ولما كانت هذه هى خاصية البرهان العقلى يمكننا القول ان ابن رشد هنا قد تنبه إلى مسألة مهمة هى التفرقة بين المعرفة النظرية والمعرفة الظنية ، ولما

كانت المعرفة النظرية هى تلك المعرفة العلمية المدعومة بالحجج البرهانية ، فان الحائز على هذا النوع من المعرفة تكون معرفته مشتملة على ناحيتين هما معرفة نظرية تتعلق بمـا هية الشريعة ومعرفة أخرى تتعلق بتأويل أحكام الشريعة حتى تتمشى مع البرهان العقلى . لذلك فان الحائز على البرهان العقلى تكون له القدرة على المعرفة الحقة والقدرة على التأويل الصادق لأنه فى هذه الحالة يعرف أن كذا وكذا هى أحكام صادقة ويعرف أيضاً كيف يؤول تلك الأحكام حتى لا تختلف مع النظر العقلى[١] .

أما من قد جهل المعرفة بالبرهان العقلى فانه وان قد وصل إلى تأويلات فانها ستكون تأويلات ظنية لا ترقى إلى مستوى المعرفة اليقينية .

ولما كانت جميع الأحكام الشرعية التى تتعلق بالظاهر هى عرضة للتأويل وذلك فى حالة عدم اتفاقها مع البرهان العقلى ، فإذا قال قائل ان فى الشرع أشياء قد أجمع المسلمون على حملها على ظواهرها وأشياء على تأويلها وأشياء اختلفوا فيها ، فهل يجوز أن يؤدى البرهان العقلى إلى تأويل ما اجمعوا على ظاهره أو ظاهر ما اجمعوا على تأويله ، بمعنى هل جميع الأحكام الشرعية وحتى التى أجمع العلماء على حملها على ظواهرها هى عرضة للتأويل البرهانى .

رد ابن رشد يتلخص فى أنه إذا كان اجماع العلماء قد تحقق لنا بصورة يقينية فانه لا يجوز تأويل ما أجمعوا على ظاهره ، وإذا لم يتحقق بصورة يقينية فانه لابد من التأويل ، ولكى يتأكد لنا صدق ما اجمعوا على تأويل ظاهره لابد أن نخضع كلامهم لمقاييس معينة لنتأكد من صحته فإذا توفرت فيه هذه الصفات يكون اجماعهم صادقاً ، هذه المقاييس هى :

١ — تحديد الزمان الذى وقع فيه اجماع العلماء .

---

(١) نفس المرجع ص ١١

٢ — ان يكون عدد العلماء الذين وقع منهم الاجماع محصوراً ، كما ينبغى أن تكون شخصياتهم معروفة .

٣ — ان ينقل إلينا ما قاله كل واحد منهم فى كل مسألة نقلا صادقاً لا تحريف فيه .

٤ — وان يكون هؤلاء العلماء قد أجمعوا على أن العلم ليس فيه ظاهر ولا باطن وعلى أن العلم بكل مسألة يجب أن لا يمنع عن العامة ، ولما كانت هذه كلها صعبة المنال ظهر لنا ضرورة تأويل ظاهر الشريعة حتى يتمشى مع البرهان العقلى لان الاجماع بين العلماء لا يكون يقينيا فى الاحكام النظرية بقدر ما هو فى الأحكام العملية ، ولان العلم فى الصدر الأول فيه ظاهر وباطن وانه يجب أن يعلم بالباطن أهل العلم فقط[١] .

ومن هنا وجب التأويل ان كان الاجماع عن طريق غير يقينى كما تبين ، وابن رشد وان كان يدعو إلى التأويل فانه يقصره فى طبقة معينة وهى طبقة أهل البرهان ، وهو فى نفس الوقت يضع قانوناً للتأويل يتكون من خمس نقط لا يتسع المجال لذكرها ، وزيادة عن ذلك نراه يوصى بأن لا تثبت التأويلات إلا فى كتب البراهين ، لانها عند ما تثبت فى كتب البراهين لا يصل إليها إلا من كان من أهل البرهان .

أما إذا أثبتت فى غير كتب البراهين واستعملت فيها الخطابة والطرق الشعرية والجدلية وترك لمن هو ليس من أهل البرهان بالنظر فيها فان هذا الأمر كله خطر على الحكمة والشريعة .

أخيراً مما تقدم يتضح لنـــا أسلوب التجديد عند ابن رشد فى فهم الحكمة والشريعة ، فهو يربط بينهما باعتبارهما اختان توأمان موضوعهما يهدف إلى تحقيق غاية واحدة وهى سعادة الانسان فى الدنيا والآخرة ، غير أن منهج الفلاسفة

---

(١) نفس المرجع ص ٩

فى الحكمة كان محدداً اما فى الشريعة كانت هناك عدة طرق فى فهمها وكل تلك الطرق كان ينقصها الترتيب العلمى المنظم ولما كانت تلك الطرق القديمة قد جلبت العداوة بين الناس وقسمتهم إلى فرق متعددة مما أدى إلى تشتيت المسلمين إلى أحزاب وأشياع ، وجب علاج ذلك التصدع عن طريق وضع منهج محدد المعالم يستعان به فى فهم أمور الشريعة على أساس عقلى يقينى ، لذلك فان ثورة ابن رشد هى ثورة منهج جديد يريد أن يرسى قواعده على أسس علمية راسخة على منهج قديم قد بلت معالمه وتباينت وسائله فادى إلى وجود تفسيرات متضاربة .

لذلك فاننا لا نكون مغالين إذا قلنا ان ابن رشد يكون قد سبق إلى حد ما كثيراً من الفلاسفة المحدثين فى التنبيه إلى أهمية المنهج وفى كيفية تطبيقه على الدراسات التأملية ، مثل ما فعل ديكارت عند ما حاول تطبيق منهجه الخاص على تأملاته فى الفلسفة الأولى ، وكما فعل سبينوز عندما نوه بأهمية المنهج وكيفية تطبيقه على الموجودات المختلفة ، وان كانت ثورة الفلاسفة المحدثين على منطق ارسطو وخاصة نظرية القياس التى كانوا يروا أنها لا تعدو كونها تحصيل حاصل ، فان ثورة ابن رشد على الفقهاء ومدعى الحكمة تشبه ثورة الفلاسفة المحدثين على المنهج القديم ، فكلا الثورتين تهدفان إلى بعث روح التجديد فى المناهج ، غير أن الخلاف بين المحدثين وابن رشد هو أن المحدثين وخاصة ديكارت يطلبون الاستغناء تماماً عن منطق ارسطو بينما ابن رشد كان يدعو إلى الاستعانة بالمنطق القديم فى بناء المنهج الحديث بأخذ ما يتلاءم مع طبيعة البحث .

بقى شىء واحد نقوله أن غرض ابن رشد هنا فى الدعوة إلى استعمال المنهج العقلى فى تفهم أمور الحكمة والشريعة هو الاصلاح والتجديد لا الابطال

L. J. Beck. the Method of of Des Desoartes (Oxford.) the clarendon orens 1952, page 287.

والتشكيك . فهو لا يهدف إلى ابطال الحكمة والشريعة أو التشكيك فيهما بل أنه كان ينوى أن يزيل ما لحقهما من أمراض وسوء تأويل على يد المتكلمين ، وقد عبر ابن رشد عن حالته النفسية لما أصاب الشريعة فى ذلك الوقت بقوله . . « فان النفس مما تخلل هذه الشريعة من الاهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة فى غاية الحزن والتألم وبخاصة ما عرض لها من ذلك من قبل من ينسب نفسه إلى الحكمة فان الأذيه من الصديق هى أشد أذية من العدو »[١] .

لذلك لم يقف ابن رشد موقف المتفرج أو المقلد الأعمى بل أخذ على نفسه عهداً بتنقية الشريعة من الشوائب التى لحقت بها ، ومن المسالك المضلة التى وقعت بها ، فتصد لأولئك المقلدين يبطل فتواهم المربكة ليزيل تلك الغشاوة التى خلقتها أقوالهم على نفوس المسلمين لينير أمام الناس الطريق المظلم ويعطيهم المقود الصادق لمعرفة الله والموجودات حق المعرفة . وقد أوضح ابن رشد هذا الأمر بقوله : « وقد رفع الله كثيراً من هذه الشرور والجهالات والمسالك المضلات بهذا الأمر الغالب ، وطرق به إلى كثير من الخيرات وبخاصة على الصنف الذين سلكوا مسلك النظر ورغبوا فى معرفة الحق وذلك أنه دعا الجمهور من معرفة الله تعالى إلى طريق وسط ارتفع عن حضيض المقلدين . وانحط عن تشغيب المتكلمين . ونبه الخواص على وجوب النظر التام فى أصل الشريعة »[٢] .

محمد محمد بالروين

---

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال ص ٢٦

(٢) نفس المرجع ص ٢٧

وَصْفُ الأَنْدَلُسْ

لمحمّد بن علىّ بن الشّبّاط المصرى التّوزرىّ

قطعة فى وصف الأندلس وصقلية
من كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط[*]

ذكر فتح بلاد الأندلس[١]

اعلم أنه لا بد من تقديم وصفها بعد ذكر حدّها وسبب تسميتها بالأندلس . أما حدُّها فقال صاحب[٢] كتاب نزهة النفوس هى على شكل مثلث ذى أركان ، قد أحاط البحر بهـا إلاّ يسيراً ، وهى آخذة فى الطول من البحر الغربى ، [حيث] مدينة اشكونية[٣] [إلى] ترّكونه[٤] وبرشلونه من شرق الأندلس وهناك باب الأندلس المفضى إلى الأرض الكبيرة[٥] ، ومسافة ما بين البحرين

(*) هذا هو الجزء الثانى من مقال د. العبادى الذى عنوانه « تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نصان جديدان » وقد نشرنا النص الأول فى مجلد ١٣ من هذه الصحيفة .

(١) سبق أن ذكرنا فى المقدمة أن ابن الشباط قد علق على هذا النص وشرح مفرداته بعد الانتهاء من سرده . ولهذا نقتصر هنا فى تعليقاتنا على شرح المفردات التى لم ترد فى شروح المؤلف راجين من القارىء أن يرجع إلى تعليقات المؤلف المثبتة فى آخر هذا النص .

(٢) راجع مقدمة هذا الكتاب ص ١٥ .

(٣) كذا فى الأصل وأحياناً تكتب اكشونيه ، وفى المصادر المسيحية Ossonoba ، وهى مدينة مندرسة ، ويقدر علماء الآثار أن مكانهـا الآن بين مدينة فارو Faro الحالية وآثار مدينة Estoi على الساحل الغربى للبرتغال .

(٤) هى حالياً Tarragona

(٥) المقصود بها فرنسا وكانت تسمى فى العصر الوسيط بنفس الاسم Tere Majur وقد وردت تلك التسمية فى أنشودة رولان الفرنسية المشهورة ، (راجع المقدمة ص ٢٠) .

هناك نحو اليومين وهى آخذة فى عرض الإقليمين الخامس والسادس ومن البحر الشامى فى الجنوب إلى البحر المحيط فى الشمال .

وذكر صاحب كتاب[١] المعرب عن محاسن أهل المغرب أنها من أَرْبونة[٢] ألى أُشْبونة[٣] ، قال هذا طولها من شرق إلى غرب ، وهو قَطْع ستين يوما للفارس المجد ، وفى العرض من الشمال إلى الجنوب أربعون يوماً من غليسية[٤] إلى المرية[٥] ، لا يتزوَّد أحد فيها ماء حيث سلك ، ولأيَّة قصد ، لكثرة أنهارها ، وعيونها وآبارها . وربما لَقِىَ المسافر [١٥١ ا] فيها فى اليوم الواحد أربع مداين ، ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى ، بطاح خُضر وقصور بيض ، وأغصان نِعَم يفرخ الإحسان فيها ويبيض ، وظلال تُغْنى عن التَّفَىُّء بالخيام ، وسيأتى عند ذكر وصفها ما قاله غير هذين فى حدِّها .

وأما سبب تسميتها ، فذكر ابن أبى الفياض[٦] أنه قرأ فيما ترجم الناس من تواريخ الأمم ، وما نسبوا عِلْمه إلى الخراين (كذا) ، أن أول مَن دخل جزيرة الأندلس وملكها بعد قصة الطوفان من أيام نوح عليه السلام قوم يقال لهم الأنْدَلُس[٧] ، ملكوها مدة من الدهر وبهم سميت الأندلس ، وذكر أنهم كانوا مجوساً .

---

(١) راجع المقدمة ص ١٤ (٢) Narbonne فى أقصى جنوب شرق فرنسا .

(٣) Lisboa عاصمة البرتغال حاليـاً وتقع على ساحل المحيط الأطلسى عند مصب نهر التاجو ، ويكتب اسمها بالعربية أشبونه ولشبونه . ومنهـا كان خروج الفتية المغررين أو المغربين فى المحيط ، ونزولهم فى جزر الخالدات التى تسمى حالياً كناريْاس Canarias . وقد أورد قصتهم الشريف الإدريسى ثم رواها من بعده بعض المؤرخين أمثال (الحميرى : الروض المعطار ص ١٦ والترجمة الفرنسية ص ٢٢).
وانظر : حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس (مدريد ١٩٦٧) ٢٧٥ — ٢٧٩

(٤) Galicia فى شمال غرب اسبانيا .

(٥) Almería فى جنوب شرق اسبانيا .

(٦) راجع المقدمة ص ١٤

(٧) يقصد بذلك قبائـل الوندال أو الوندالوس الجرمانية التى عبرت جبال البرتات Pirineos وهاجمت شبه جزيرة إيبيريا واستقرت فى سهولهـا الجنوبية فى أوائل القرن الخامس الميلادى ==

وأما وصفها : فقال البكرى(١) رحمه الله : الأندلس شامية فى طيبها وهوائها ، يمانية فى اعتدالها واستوائها ، هندية فى عطرها وذكائها ، أهوازيّة فى عِظَمِ جباياتها ، صينية فى جواهر معادنها ، عدنية فى منافع سواحلها . فيها آثار عظيمة لليونانيين(٢) وقال صاحب اختصار(٣) اقتباس الأنوار ، الأندلس فى آخر الإقليم الرابع إلى الغرب ، هذا قول الرازى أحمد بن محمد بن موسى ابن لقيط الكاتب(٤) . وقال القاضى أبو القاسم صاعد(٥) بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد بن عثمان بن وثيق الثعلبى(٦) فى تأليفه فى طبقات الأمم ، أن معظم الأندلس فى الإقليم الخامس وطائفة منها فى الإقليم الرابع كإشبيليَه ، ومَالقَه ، وقُرطُبَة ، وغَرناطه ، والمَرية ، ومُرسية . الأندلس بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة المياه ، غزيرة الأنهار ، قليلة الهوام ذوات السموم ، معتدلة الهواء ، كثيرة الفواكه تكاد تدوم كل الأزمنة ، لأن الساحل [و] نواحيه يتبادر ، وما بعد عن الساحل واتصل بالثغر وجهاته لبرد الهواء هناك

= (٤٠٩ م) . ومنذ ذلك الوقت صارت تلك المنطقة الجنوبية تعرف باسم واندالوسيا ، على أن هؤلاء الوندال لم يستقروا طويلا فى اسبانيا ، إذ اضطروا أمام ضغط قبائل القوط الجرمانية Visigodos إلى الهجرة إلى المغرب بقيادة ملكهم جنسريك والاستيلاء على الجزائر وتونس سنة ٤٣٩ م . ولقد انتهى حكم الوندال فى المغرب سنة ٥٣٣ م على يد القائد البيزنطى بلزاريوس Belizarios على عهد الامبراطور جستنيان . على أن المهم هنا أن العرب حينما استولوا على اسبانيا سنة ٧١١ م ، عربوا اسم أندالوسيا إلى أندلس وأطلقوه على جميع البلاد التى خضعت للحكم الاسلامى فى شبه جزيرة إيبيريا . أما لفظ اسبانيا فقد كان المراد به شبه جزيرة إيبيريا كلها بما فى ذلك الأراضى الاسلامية والمسيحية على السواء . وما زال لفظ أندالوسيا يطلق اليوم على المنطقة الجنوبية الاسبانية .

(١) راجع مقدمة هذا الكتاب ص ١٥

(٢) لم يرد هذا النص فى نسخة البكرى التى لدينا ، وقد أورد الحميرى هذا الوصف دون أن ينسبه إلى البكرى . راجع (الروض المعطار ص ٣ ، نشر ليفى بروفنسال) .

(٣) راجع المقدمة ص ١٢

(٤) راجع المقدمة ص ١٧

(٥) هو قاضى طليطلة المعروف بصاعد الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٢ هـ وكتابه منشور ومعروف باسم طبقات الأمم . (مطبعة السعادة بالقاهرة) .

(٦) فى مقدمة الكتاب المنشور وردت : التغلبى .

يتأخر ، فالخيرات فيها دائمة ، والفواكه غير منقطعة . ولها المدن الكثيرة العظيمة ، والمعاقل الحصينة المنيعة ، وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزئبق والزنجفور واللازورد والشب والتوتيا والزاج والطفل . ويوجد فيهـا الكهربا والمَها[١] ، وفى بحرها البَسَد[٢] ، ويخرج منه فى جهة الغرب العَنْبَر[٣] . قال القاضى أبو القاسم صاعد[٤] : أما حدود الأندلس فإن حدّها الجنوبى منها ، الخليج الرومى ما يقابل طنجة فى موضع يعرف بالزقاق[٥] سِعَتُه إثنا عشر ميلا ، ثم ينتهى إلى مدينة صور من مدائن الشام . وحداها الشمالى والغربى البحر[٦] الأعظم أُقيانُس[٧] المعروف عندنا ببحر الظُّلمة ، وحدها الشرقى الجبل الذى فيه هيكل الزهرة[٨] الواصل بين البحرين بحر الروم والبحر الأعظم ، ومسافة ما بين البحرين فى هذا الجبل ثلاث مراحل[٩] ، وهو الحد الأصغر من حدود الأندلس . وحدّاها الأكبران الجنوبى والشمالى ، ومسافة كل واحد منهما نحو من ثلاثين مرحلة ، ومسافة حدها الغربى نحو من عشرين مرحلة ، ووسط الأندلس مدينة طليطلة العتيقة التى كانت قاعدة القوط . قال والجبل الذى فيه هيكل الزهرة الذى هو الحد الشرقى من [١٥١ ب] الأندلس

---

(١) المها جمع مهاة ومن معانيهـا الشمس والبقرة الوحشية والبلوره ، ولعل المعنى الأخير هو المقصود هنا فى المتن .

(٢) البسد : المرجان .

(٣) العنبر طيب ، وهو مادة صلبة لا طعم لها ولا رائحة إلا إذا سحقت أو أحرقت فإنه حينئذ ينبعث منها رائحـة ذكية . وقيل العنبر روث بعض الحيتان البحرية أو نبات ينبت فى البحر أو نبع عين فى البحر .

(٤) راجع (صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٩٨) .

(٥) يقصد مضيق جبل طارق .

(٦) البحر ساقطة فى كتاب طبقات الأمم المنشور .

(٧) Océano ومعناها المحيط والمقصود هنا المحيط الأطلسى أو الأطلنطى وكان العرب يسمونه ببحر الظلمة أو الظلمات .

(٨) يقصد جبال البرت أو البرتات Pirineos التى تفصل اسبانيا عن فرنسا .

(٩) جمع مرحلة والمقصود بها المسافة التى كان يقطعها المسافر فى يوم .

هو الحاجز ما بين الأندلس وبين بلاد افرنسة من الأرض الكبيرة التى هي بلاد افرنجة العظمى . والأندلس آخر المعمور فى المغرب لأنها المنتهية إلى بحر أقيانُس الأعظم الذى لا عمارة وراءه . ذكر أن أول من احتل الأندلس واختطَّها بنو طوبال بن يافت بن نوح وهم قبيلة الأصبهانيين الذين يُعرفون بالاشبانيين ، سكنوا الأندلس فى أول الزمان ، ويذكر أن عدة ملوكهم مائة وخمسون ملكا .

وأما فتحها ، فقال فى اختصار اقتباس الأنوار ، أول من غزاها أبو زرعة طريف مولى موسى بن نصير وذلك فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين من تاريخ الهجرة . وفى سنة اثنين وتسعين جاز إليها طارق بن زياد مولى موسى ابن نصير ، فلقى ملكها رُذْريق فهزمه طارق وفتح فيها فتوحات كثيرة .

وفى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين جاز إليها موسى بن نصير البكرى عاملا لأمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله على افريقية وما وراءها من ثغور المغرب . واستعمل موسى مولاه طارق بن زياد بن عبد الله على طنجة وبلاد البربر ، وقد قيل إن طارقا كان مولى لصدف[1] وهو من البربر من قبيل نَفْزَة . وكان ملك الأندلس يومئذ رُذْريق ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، غير أنه كان شجاعاً قد بَعُدَ صوته وطال ذكره فى النصرانية .

قال الفقيه أبو مروان عبد الملك بن أبى القاسم بن محمد بن الكردبوس التوزرى رحمه الله فى كتاب الاكتفاء[2] : وكانت دار مملكته طليطلة وكان فيها بيت عليه اقفال فكل ملك منهم يلِى الملك يزيد قفلا على ذلك البيت ولم يفتحه قطّ ملك منهم ، ولا علم ما فيه حتى انتهت الاقفال إلى عشرين . فلما رآى رذريق هذا قال لابد أن افتح هذا الباب حتى أعرف ما فيه فقال

---

(١) راجع تعليق ابن الشباط على قبيلة الصدف في شروحه التى كتبها فى آخر هذا النص .

(٢) راجع المقدمة والنص الأول ص ٣٦

له اقامِطَتُه وأَقِسَّتُه لا تفعل ولا تحدث ما لم يحدثه من تقدَّمك من الملوك ، فقال لابد لى من فتحه والوقوف على ما فيه . ففتحه فلم يجد فيه شيئاً غير رَقّ[1] كبير فيه صورة رجال عليهم العمائم وتحتهم صُورَ خيول مُسَوَّمة ، وفى أيديهم السيوف والرايات على القنى بين أيديهم ، وفيه مكتوب بالعجمية هذه صورة العرب ، فإذا فُتحت اقفالُ هذا البيت ، ودُخل البيت ، فَتَحت العرب هذه الجزيرة وتملكوا أكثرها ، فندم على فتحه وأغلقه ، وهيهات إلا أن يكون ما يريد الله وما سبق فى عِلمه عز وجل . هذا ما ذكره الفقيه أبو مروان رحمه الله ، ونحوه ذكره غيره أيضاً .

وذكر ابن أبى الفياض أنه لم يجد فى البيت شيئاً غير تابوت عليه نسج العنكبوت ، وفى العنكبوت شقة مربعة طولها كعرضها نظيفة رقيقة لطيفة فيها تصاوير رجال فرسان مُعَمَّمين مُتقلِّدين سيوفاً ، وممسكين قِسِيّاً ، لهم رايات مرفوعة تحتها آثار مكتوبة يصف بها أن العرب يدخلون جزيرة الأندلس ، فيأخذونها ويملكونها ، وفيها سطور : إذا رأيت أقفال هذا البيت مكسورة ، ورأيت هذه الشقة منسدرة ، ورأيت هذه الصورة مسهورة (كذا) ، فملْكُ أهلها ظاهر ، وأمرهم قاهر . فلما قرأ الروم تلك الآثار واطلعوا على تلك الصور ، أيقنوا بالهلاك ويئسوا من [١٥٢ ا] الجزيرة ، وعلموا أنهم خارجون عنها ، وغير باقين فيها .

وذكر صاحب كتاب المعرب على محاسن أهل المغرب ، أنه كان بقصر الملك داماس تحت الأرض ، فيه صور من المرمر تشتمل العباء والشمال متعممة بالعمائم ، وقبل دخول الجزيرة ، حفروا موضعاً لأمر ما ، فوجدوا الصور ، [وكان] بطليطلة فيلسوف من الروم وكان عالمـاً بتواريخهم وسيرهم ، فسألوه

---

(١) الرق ، بفتح الراء ، جلد رقيق يكتب فيه .

عنها ، فقال : ظهور هذه الصور يدل على ظهور قوم لباسهم هذا الزى ، ولابد لهم من الحلول بمحالها[١] .

قال ابن أبى الفياض : وكانت بجهة جبل طارق عجوز من الروم مُسنَّة تدعى علماً من علم الأعاجم ، وتقول إن الذى يأخذ الأندلس شيخ ذو طلعة كذا وكذا ، فبعث فيها طارق ، فلما وصلت إليه حكت له ذلك ، وأعلمت من صفاته أن هذا الشيخ الذى يأخذها فى كتفه اليسرى شامة ، فانكشف لها طارق ، وعرض عليها شامة فى كتفه اليسرى كما ذكرت قبل ، وأيقنت بالفتح فمرت وأنذرت به أهلها وأهل بلدها .

قال فى مختصر تاريخ الطبرى رحمه الله ، وكان له — يعنى لذريق — على مجاز الأندلس بمدينة يقال لها خضراء[٢] مما يلى طنجة ، علج يعرف [ب] يليان[٣] ، وكان معاديا للذريق كارهاً له ، فلقى يليان طارق بن زياد بطنجة ،

---

(١) راجع وصف هذا البيت المعروف ببيت الحكمة فى (المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٣٠)

(٢) لا شك أن المقصود هنا بالخضراء هو الجزيرة الخضراء Algeciras التى تقابل طنجة على الضفة المقابلة للمضيق . وعلى هذا الأساس يفهم من المتن ، أن يوليان كان حاكما أيضاً على إقليم الجزيرة إلى جانب حكمه لمنطقة طنجة . وقد وردت هذه الرواية أيضاً فى بعض المراجع الأخرى مثل كتـاب فتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكيم . على أن بعض المؤرخين المحدثين عارضوا هذه الرواية وقالوا بأنها لو صحت لكان من السهل على طارق أن ينزل مع حليفه يوليان فى ميناء الجزيرة رأساً بدلا من ارتكاب المصاعب والنزول فى تلك المنطقة الوعرة من صخور جبل طـارق . كذلك أشاروا إلى المفاوضات التى دارت قبل ذلك بين يوليان وعقبة بن نافع حول إمكانية الهجوم على الجزيرة ، فلو كانت هذه انساحة من ممتلكات يوليان ، لما دارت بينهما مثل هذه المفاوضات .

راجع على سبيل المثال (Saavedra: Op. cit. p. 52)

(٣) أغلب الظن أن أصل هذا الاسم هو Julian وقد نقله الكتاب العرب بصور مختلفة : ففى ابن الأثير : يوليان ، وفى أخبار مجموعة : يليـان ، وفى فتح الأندلس : وليات ، وفى ابن خلدون : يليان ، وفى البكرى وابن الفرضى والضبى : إليان والبان . كذلك اختلف المؤرخون حول جنسية هذا الحاكم ، فالبعض يراه قوطياً اسبانياً والبعض الآخر يراه بيزنطياً وفريق ثالث يرى أنه بربرى مغربى .

راجع : (Osvaldo A. Machado: *Los nombres del llamado Conde don Julián;* Cuadernos de Historia de España, III, 1945, p. 106-116 & R. Dozy: *Le Comte Julien;* Recherches sur l'Histoire et la Litterature de l'Espagne, t. I, p. 62-63 (3 ed. 1881).

راجع عن هذه الحوادث والشخصيات : فجر الأندلس للدكتور حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥٩) .

ووعده بأن يدخله وجنوده الأندلس ، فرغب طارق فى ذلك ، فسارع إليه وندب الناس إلى الجهاد معه ، فاجتمع إليه نحو من اثنى عشر ألف مقاتل من البربر ، ليس فيهم من العرب إلا نفر يسير ، وهيأ له يليان المراكب ، فأجاز طارقاً ورجاله فوجاً فوجاً ، ثم جاز بعدهم حتى توافوا فى الجزيرة فى جبل من جبال الأندلس حريز منيع سمى بجبل طارق إلى اليوم ، وكان احتلال الجيش بهذا الجبل يوم السبت فى شعبان سنة اثنين وتسعين ، فلما بلغ لذريق حلول طارق الأندلس ، حشد أهل مملكته وخرج من قصر قرطبة إلى ناحية الجزيرة على سرير الملك بين بغلين يحملانه وعلى لذريق تاجه وقفازاته وجميع الحلة التى كانت الملوك تلبسها قبله ، والحشود تتوافى حتى نزل وادى لكة[1] من كورة شذونة ، وقدم على ميمنته وميسرته ابنى[2] ملك الأندلس قبله ، وكانا من بيت المملكة ، فتراودا[3] على الانهزام بالميمنة والميسرة عند التقاء لذريق بجيش المسلمين ، وقالا إن هؤلاء الداخلين إلينا ليس شأنهم استيطان بلدنا ، وإنما يريدون إصابة غنايم يرجعون بها إلى بلادهم ، ولعل الذى غلبنا على ملك أبينا إذا صلى الحرب بنفسه أن يهلك ويرجع إلينا ملكنا . ثم زحف طارق بجميع أصحابه حتى نزل قريباً من عسكر لذريق فتلاقوا يوم الأحد لانسلاخ

---

(١) لكة Lakko ورد وصفها فى الروض المعطار (ص ١٦٩ والترجمة الفرنسية ص ٢٠٤) على أنها كانت مدينة قديمة بالأندلس من كورة شذونة Sidonia فى جنوب غرب اسبانيا ولعلها المدينة المسماة الآن Bolonia على ساحل البحر بين بلدة طريف Tarifa ونهر البرباط Rio Barbate . أما وادى لكة فلعله وادى البرباط السالف الذكر أو لعله النهر المعروف الآن باسم Guadalete وقد كتبته بعض المصادر المسيحية Guadaleque كما كان ينطقه العرب قديماً . راجع (حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ٧١).

(٢) أورد اسمها صاحب أخبار مجموعة ص ٨ حيث يقول : ولى ششبرت Sisberto ميمنته ، وأبه Oppa أو Oppas ميسرته وهما أبناء الملك غيطيشه Witiza الذى كان ملكاً قبل رذريق ، وهما رأس من أدار عليه الانهزام .

راجع كذلك (Saavedra: Op. cit. p. 31-33) الذى يرجح أنهما أخواه وليسا من أبنائه . انظر كذلك : (حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ٧٤) .

(٣) فى الأصل ، فتوارا ولعل صحتها فتراودا أو فتواعدا .

شهر رمضان[١] ، فاقتتل المسلمون والمشركون ثمانية أيام قتالا شديداً ، وصبر الفريقان جميعاً صبراً عظيما ، ثم أنزل الله عز وجل نصره على المسلمين ، فانهزم أبناء الملك بأهل الميمنة وأهل الميسرة من عسكر لذريق ، فقتل العجم قتلا ذريعاً ، وقتل أبناء الملك ولم يغن عنهما كيدهما ، وأفلت لذريق إلى موضع يقال له السواقى[٢] ، فيقال أنه قتل وهو لا يعرف وقيل [١٥٢ ب] أيضاً أنه أراد الاستتار بسمار الوادى فغرق فيه وهلك ، ووُجد فى ذلك المكان خُفٌّ منظوم بالدر والياقوت قد سقط من رجله ، وأصاب المسلمون من السبى مالا عهد لهم بمثله . وكان يعرف أشراف العجم فى القتلى بخواتيم الذهب توجد فى أصابعهم ، ومن دونهم بخواتيم الفضة ، والعبيد وأمثالهم بخواتيم الصفر[٣] . وكانت الوقيعة على المشركين يوم الأحد لسبع خلون من شوال ، وليومين مضيا من تشرين الأول . وجمع طارق الغنائم ، فأخذ منها الخمس ، وقسّم غيرها على تسعة آلاف سوى العبيد ، ثم تقدم طارق حتى نزل بأهل مدينة شذونة .

وصف مدينة شذونه[٤] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : كورة شذونه متصلة بكورة مَوْرور ، منحرفة إلى القبلة ، وهى من قرطبة فى الغرب مائلة إلى القبلة قليلا ، وهى كورة شريفة جامعة لخير البر وبركة البحر . وبها كانت الهزيمة على رذريق ،

(١) فى الروض المعطار ص ١٦٩ يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان لسنة ٩٢ من الهجرة واتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعده .

(٢) وردت هذه الكلمة فى كتاب فتح الأندلس لمؤلف مجهول : على شكل « السوانى » فى نسخة و « السواق » فى نسخة أخرى . وقد نشر هذا الكتاب مع ترجمة إسبانية ، المستشرق الاسبانى خواكين جونثالث (الجزائر سنة ١٨٨٦) . راجع (مقدمة هذا الكتاب ص ٢١) .

(٣) هذا الوصف ورد فى الروض المعطار (ص ١٦٩ — ١٧٠) على اعتبار حدوثه فى وادى لكه.

(٤) راجع ما قيل حول شذونة فى آخر مقدمة هذا الكتاب .

وفيها نهر برباط كانت الأندلس قد قحطت سبعة أعوام ، كانت الأعوام الستة تمطر فى بعض الأحيان وينزل المطر فيخص بعض المواقع ، وكان العام السابع عاما تمادى قحطه فلم يمطر ، فلجأ عامة أهل الأندلس واحتلوا واديها نهر برباط سنة ست وثلاثين ومائة ، فسميت تلك السنة سنة برباط(١) .

كان منها جماعة من العلماء منهم عتاب بن هارون بن عتاب بن بشر الغافقى(٢) ، [يكنى أبا أيوب] ، روى عن أبيه وغيره ، وسمع بمكة من أبى بكر محمد بن أحمد بن موسى الانماطى ، وأبى حفص الجمحى ، وأبى محمد الطوسى ، وأبى الحسن الخزاعى ، وروى بمصر عن أبى بكر بن الحداد التنيسى(٣)

---

(١) أشار ابن عذارى إلى هذه المحنة بقوله : « ونهر برباط Rio Barbate هو النهر الذى بشذونه ، ولجأ إليه أهل الأندلس فى بعض سنى المحل وهى المعروفة بسنى برباط ، فحمل الناس وأصابهم خصبه » . كذلك يقول فى موضع آخر : « ثم اتبع الله الأندلس بالوباء والموت والمجاعة فى السنة الثانية (١٣٢ هـ) حتى كاد الخلق أن ينقرض منهـا » . وقوله : « وفى سنة ١٣١ هـ أمحلت الأندلس وعم المحل وتمادى إلى سنة ١٣٦هـ» . راجع (ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٣٧ — ٣٨ ، ١١٨).

هذا ويشير المؤرخون إلى أنه نتيجة لهـذا القحط والجفاف ، هاجر عدد كبير من بربر الأندلس إلى طنجة والعرائش وغيرها من بلاد العدوة المغربية . راجع (كتاب أخبار مجموعة ص ٦٢ ، الروض المعطار ص ١٠٠) راجع (فجر الأندلس ، ٢٤٥ — ٢٤٧) وكذلك :

Lévi-Provençal: *L'Espagne musulmane* aux Xe siecle p. 14 & Pascual de Gayangos: *Memoria sobre la autenticidad de la Crónica denominada del moro Rasis,* p. 58 nota 2.

(٢) راجع ترجمة عتاب بن هارون فى (الضبي : بغية الملتمس رقم ١٢٦٣) كذلك ترجم له ابن الفرضى ودرس عليه ، وفى ذلك يقول : ورحلت إليه إلى شذونه وقرأت عليه كثيراً . انظر (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٨٨٦) .

(٣) التنيسى : كذا فى الأصل والشرح وكذلك فى (ابن الفرضى : تاريخ علمـاء الأندلس رقم ٨٨٦) أما الضبى فقد أورده هكذا : التنسى (بغية الملتمس رقم ١٢٦٣) وواضح أن القراءة الأولى نسبة إلى جزيرة تنيس وهى مدينة مصرية قديمة بجوار دمياط كانت لهـا شهرة كبيرة فى عالم التجارة والصناعة راجع (ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤١٩) . أما القراءة الثانية فنسبة إلى مدينة تنس Tenes وهى مرسى صغيرة غربى مدينة الجزائر وينسب إليها علماء مشهورون . راجع (ابن الخطيب : أعمال الأعـلام (الجزء الثالث الخاص بالمغرب نشر أحمد مختار العبادى وابراهيم الكتانى) ص ١٥٦ حاشية ٣) . وأغلب الظن أن القراءة الأولى التى فى المتن وهى تنيس المصرية هى الصحيحة على أساس أن العالم المشار إليه مصرى .

وغيره ، كان حافظاً للرأى على مذهب مالك وأصحابه ، حسن النظر فيه ، وكان يقال إنه مجاب الدعوة . ولد فى شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وتوفى رحمه الله ليلة السبت لأربع بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

فتحها : قال فحاصرهم حصاراً طويلا ثم احتال حتى أوقد النار فى زروع كانت لهم داخل المدينة ، وحول البيوت ، فالتهبت الزروع وذهب كثير من أهل المدينة فى النار ، وأتى على سائرهم القتل ، ثم تقدم إلى كورة مورور .

وصف مَوْرُور[١] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : كورة مورور متصلة بأحواز كورة قرمونة منحرفة إلى جهة القبلة ، وهى من قرطبة بين المغرب[٢] والقبلة ، ينسب إليها جماعة ، منهم أبو الحسن على بن درام بن خلف بن جعفر الحضرمى الموروري ، سمع بمكة من بكير الحداد ، والخزاعى وغيرهما من شيوخ مكة ومصر . وكان رجلا عاقلا صالحاً فقيهاً [١٥٣ ا] كثير الخير والمعروف . توفى لست بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، ذكر ذلك ابن الفرضى .

فتحها : قال فافتتحها وعطف إلى مدينة قرمونة يقتل ويغنم ، وقد قذف الله عز وجل الرعب فى قلوب الأعاجم ، فلا يلتفت أحد منهم إلى شىء سوى الهرب والفرار .

---

(١) هى الآن بلدة صغيرة فى جنوب غرب قرمونه وتسمى Morón de la Frontera وتدخل فى نطاق محافظة اشبيلية . راجع مادة Morón فى دائرة المعارف الإسلامية (النسخة الفرنسية ج ٣ ص ٦٤٧ وما بها من مراجع) .

(٢) وردت كذلك فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٨) أما ياقوت (معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٣) فيذكرها : الغرب .

وصف قَرْمُونَة [1] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : قرمونة مدينة بالأندلس ، شرق من اشبيلية وغرب من قرطبة ، وهى مدينة قديمـة ينسب إليها جماعة منهم : خطّاب بنُ مَسْلَمَة [2] بن محمد بن سعيد الأيادى القرمونى ، يكنى أبا المغيرة ، سكن قرطبة ، سمع من محمد بن عمر بن لبابة ، وأسلم بن عبد العزيز ، وقاسم ابن أصبغ ، وأحمد بن مالك وغيرهم . وذكر أنه رحل إلى المشرق ، فحج سنة اثنين وثلاثين ، وذكر سماعه من جماعة ، منهم : ابن الأعرابى ، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن النحاس ، وعبد الله بن جعفر الورد ، ومحمد بن أيوب الصموت وغيرهم . قال وكان حافظاً للرأى ، بصيراً بالنحو والغريب ، نبيلا زاهداً فاضلا مجاب الدعوة ، سمع منه الناس كثيراً . ولد سنة أربع وتسعين ومايتين وتوفى رحمه الله يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل . قال ثم تقدم طارق إلى اشبيلية .

وصف إشبِيلِيَه [3] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : اشبيلية من أعظم مدن الأندلس ولها كورة جليلة ، وهى مطلة على النهر الهابط إليها من قرطبة ، ويدخل إليه المدّ

---

(١) بالإسبانية Carmona وهى الآن مركز إدارى فى مقاطعة اشبيلية راجع وصفها فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٥٨ (والترجمة ص ١٩٠) وكذلك مادة Carmona فى دائرة المعارف الاسلامية النسخة الفرنسية جـ ١ ص ٨٤٩) .

(٢) خطـاب بن مسلمة بن محمد بن سعيد بن بترى بن اسماعيل بن سليمان بن منتقم بن اسماعيل ابن عبد الله الأيارى . راجع ترجمته فى (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٠٢) .

(٣) راجع وصف اشبيلية فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٨ والترجمة ص ٢٤) .

والجزر ، وهو واد عظيم تدخل فيه السفن الكبار ، ومن اشبيلية إلى الحلق[١] [حيث] مصب الوادى فى البحر ، ستين ميلا فهى لذلك برية بحرية ، ولها النظر الواسع والفوائد الجمة ، والغلات الكثيرة وغربيها الشَّرَف[٢] ، أشرف بقعة وأكرم تربة ، وهو عظيم المساحة ، جليل فى كثرة فوائده .

واشبيلية سميت[٣] باشبان بن طيطش من نسل طوبال ، كان أحد الأملاك الإشبانيين[٤] وخُصّ بملكِ أكثر الدنيا ، وأن بدأ ظهوره كان من اشبيلية ، وعظم أمره ، وبعد اسمه ، وتمكن من كل ناحية سلطانه . فلما ملك نواحى الأندلس ، وطاعت له أقاصيها ، خرج فى السفن من اشبيلية إلى إيلياء[٥] فغنمها وهدمها وقتل مائة ألف من اليهود ، وسبعمائة ألف ، وفرق فى الآفاق مائة ألف ، ونقل رخامها إلى اشبيلية ، وماردة ، وباجة ، وأنه صاحب المائدة[٦] وصاحب الحجر الذى ألقى بماردة ، وصاحب قليلة الجوهر التى كانت بماردة أيضاً ، ذكر ذلك أحمد بن محمد الرازى[٧] . ورأيت لبعض المؤرخين أن مدينة اشبيلية تسمى اشمالى[٨] معناه المدينة المنبسطة .

---

(١) الحلق تعطى معنى ممر ضيق بين جبلين أو خليج أو مصب نهر . راجع :
(Dozy: *Supplément aux dictionnaires Arabes,* I, p. 316).

(٢) هو جبل الشرف Ajarafe ، وقد اشتهر بكثرة ما به من أشجار الزيتون حتى قيل إنه لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف واشتباك غصونه . كذلك اشتهر بصناعة عصير الزيت المترتبة على هذا الانتاج . راجع (الروض المعطار ص ١٠١) .

(٣) هذه القطعة التالية وردت فى البكرى (المسالك والممالك نسخة الزاوية الناصرية بالمغرب ورقة ٢٢٠ — ٢٢١) ولعله نقلها عن الرازى .

(٤) فى البكرى : أحد الاشبيليين .

(٥) المقصود بإيلياء بيت المقدس .

(٦) فى البكرى المائدة التى ألفيت بطليطلة .

(٧) اسم الرازى ساقط فى رواية البكرى .

(٨) لعلها اشبالى وهى تحريف للتسمية الفينيقية القديمة Hispalis ومعناها الأرض المنبسطة . راجع (العذرى : المسالك إلى جميع الممالك ، نشر عبد العزيز الاهوانى ص ٩٥ حاشية ٢) .

نسب إليها جماعة من الرواة وحملة العلم ، وذكر منهم : أبا عمر أحمد بن عبد الملك[١] بن هشام واثنى عليه كثيراً . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

فتحها : قال فصالحها أهلهـا على اعطاء الجزية وشرط عليهم اخراب [١٥٣ ب] غربى القصر ، ثم تقدم إلى استجه فمر بعين وشرب منها فهي تعرف بالنسبة إليه ، ونزل بوَجَلَةِ[٢] استجة .

وصف اسْتِجَّة[٣] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : وكورة استجة من كور الأندلس بين الغرب والقبلة من قرطبة . ومدينة استجة قديمة أولية ، كريمة الأرض منفسحة

---

(١) أورد ابن الشباط ترجمة مختصرة لأبى عمر الاشبيلى فى تعليقاته فى نهاية هذا النص .

(٢) ولجة ، بفتح الواو واللام والجيم ، والجمع ولجات ، شرحها دوزى فى معجمه على أنها تعريب للكلمة الاسبانية ورته Huerta ومعناها البساتين والجنـان التى حول المدينة . غير أن دوزى فى نفس الوقت أعطـانا تفسيراً آخر أقرب إلى الصحة نقله عن العالم المرنسى بوسيير Beaussier ، وهى الأرض الواقعة بين منعطفات الأنهار (recodo del rio) بحيث تصبح كالجزيرة محاطة بالمياه من معظم نواحيها .

راجع : Dozy: *Supplement aux Dictionnaires arabes*, tome II, p. 839.

ولعل هذه الصفة الأخيرة للولجة كانت سبباً استراتيجياً جعل الجيوش الاسلامية تختار هذه الولجات لاقامة معسكراتها فيها كما هو واضح فى المتن من نزول طـارق بجيوشه فى ولجة استجه . ولقد أطلق المسلمون اسم ولجه على مواضع كثيرة من بلادهم شرقاً وغرباً . ومثال ذلك قول ياقوت (معجم البلدان ج ٨ ص ٤٣٣) : الولجة بأرض كسكر (واسط فيا بعد) موضع مما يلى البر واقع فيه خالد بن الوليد جيش الفرس فهزمهم فى صفر سنة ١٢ هـ ، وقال القعقاع بن عمرو :

ولم أر قوماً مثل قوم رأيتهم　　على ولجـات البر أحمى وأنجبا

والولجة ناحية بالمغرب من أعمال تاهرت ، والولجة موضع بأرض العراق عن يسار القاصد إلى مكة من القادسية ، وكان بين الولجة والقادسية فيض من فيوض مياه الفرات . كذلك أطلقت كلمة ولجة فى الأندلس على أماكن نهرية عديدة بالقرب من مرسية واشبيلية وغرناطة واستجه . . . الخ وقد جمعها وشرحها أستاذنا إلياس تيريس سادابا فى بحثه عن بلنسية الذى ألقاه فى الدورة الرابعة للجلسات العلمية الأندلسية فى بلنسية سنة ١٩٦٥

(٣) استجه Écija واسمهـا القديم Astiggi ، وتقع على نهر شنيل Genil ، وهى الآن مركز إدارى فى محافظة اشبيلية . راجع (الروض المعطار ص ١٤ والترجمة الفرنسية ص ٢٠) .

البطحاء ، ابتنيت على نهر سنجل[1] وهو النهر المنبعث من ذوب الثلج ويصب فى نهر قرطبة .

ينسب إليها جماعة من العلماء منهم : سعيد بن[2] نصر بن عمر بن خلفون من أهل استجة ، يكنى أبا عثمان ، سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ[3] ، وابن أبى دليم وغيرهما ، وسمع بمكة من أبى الأعرابى ، وببغداد من أبى على اسماعيل بن محمد الصفار ، ومن أبى على بن الصوّاف وغيرهما ، توفى ببغداد[4] . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

فتحها : قال فحاصرها شهوراً ثم أسر صاحبها وصار فى قبضته فصالحه على الجزية وأطلق سبيله ؛ ثم أقبل طارق إلى قرطبة .

وصف مدينة قرطبة[5] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : قرطبة قاعدة الأندلس ، وأم المداين ، ومستقر الخلافة ، ودار الإمارة . كان فيها الخلفاء من بنى أمية ، وآثارهم بها ظاهرة ، وأبنيتهم فيها وفيما جاورها بَيِّنَة ، وفيها الجامع المشهور أمره ، شائع ذكره ، من أجَلِّ مصانع الدنيا كبر مساحة ، وإحكام صناعة ، وجمال هيئة . تهمم فيه الخلفاء من بنى أمية فزادوا فيه زيادة حتى بلغ الغاية فى الإتقان ، واستولى على أمد الاحسان ، فصار يحار فيه الطّرف ، ويعجز عن حسنه الوصف .

---

(١) يقصد نهر شنيل Genil .

(٢) راجع ترجمته فى (الضبى بغية الملتمس رقم ٨٢٢) .

(٣) فى الروض المعطار ص ٥٩ : قاسم بن أصبغ البيانى .

(٤) يقول الضبى (نفس المرجع السابق والرقم) مات ببخارى يوم الأربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٥٠ هـ . . . وقيل إنه مات ببغداد .

(٥) قرطبة Córdoba راجع وصفها فى (البكرى : المسالك والممالك ورقة ٢١٩ ، الحميرى : الروض المعطار ص ١٥٣ (والترجمة الفرنسية ص ١٨٢) ؛ *Ency. of Islam art Cordoue* par Seybold Lévi-Provençal: *Espagne Musulmane*, au X^e siecle p. 195.

وقرطبة على نهر كبير فوهته بجبل شَقُورة[١] ، ويمر على قرطبة ، وتنصب فيه تحت قرطبة أودية ، ثم يمر إلى اشبيلية . وعليه قنطرة عظيمة حصينة من أجل البنيان قدراً وأعظمه خطراً ، وهى من الجامع فى قبليه وبالغرب منه ، فانتظم بها الشكل إلى الشكل ، وجاءت كالفرع لذلك الأصل .

ولما كانت قرطبة على الصفة التى ذكرناها محل الإمارة ، ومستقر الخلافة ، كثر بها العلم والعلماء ، واستقر بها النبلاء والفضلاء ، وصارت دار الهجرة للعلم ، ومكان رحلة لأولى الفَهم ، وكان من بها من الخلفاء رضى الله عنهم يقيمون همم العلماء ، ويكبرون من يولونه خطة القضاء ، ويختارون للخطة أهليها ، ويوفونهم حقوقهم فيها ، فكان للقضاء بها المنزلة العالية والرتبة السامية ، مع كون الخلفاء مقادين لأحكامهم ، واقفين لها نقضهم وابرامهم ، مع ما خص به أهل قرطبة من علو الهمة واجتماع الكلمة ، وتآلفهم على الحقائق ، واتباعهم لأحسن الطرائق ، فصارت لهم بذلك النجدة والعِزّة ، وحازوا أعلا المنازل [و] الرفعة . وذكر من قضاتها محمد بن سعيد بن بشير[٢] بن شراحيل المعافرى ، وذكر من سيرته وحسن طريقته أمراً عجيباً . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

---

(١) جبل شقورة Sierra de Segura سلسلة من الجبال الضخمة المرتفعة المغطاة بالغابات والمراعى وبعض النباتات والورود . ويشير الكتاب العرب إلى أنه فى قلب هذه المنطقة الجبلية كانت توجد مدينة حصينة تسمى شقورة أيضاً وهي حالياً Segura de la Sierra فى ولاية جيان . وكانت قاعدة لامارة بعض حكام المسلمين أمثال ابراهيم بن همشك فى أواخر أيام المرابطين . ومن المنحدرات والسفوح الشرقية لهذه الجبال ينبع نهر شقوره Rio Segura (أو النهر الأبيض) الذى يروى مدينة مرسية وأوريوله Orihuela شرق اسبانيا ويصب فى البحر الأبيض المتوسط .

والجدير بالذكر أنه من نفس جبال شقورة السالفة الذكر ينبع أيضاً نهر الوادى الكبير الذى يمر بقرطبة واشبيلية كما هو مذكور فى المتن .

حول وصف جبال ونهر ومدينة شقوره راجع (العذرى ص ١٣٠ ، والحميرى : الروض المعطار ص ١٠٥ والترجمة الفرنسية ص ١٢٨) ، ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨٣) . راجع كذلك :
Ency. of Islam art. Shaqura by Lévi-Provençal & Madoz: *Diccionario Geográfico de España,* tomo 15 p. 578-579.

(٢) هذا القاضى محمد بن شراحيل المعافرى ، أصله من عرب مصر الذين استقروا فى مدينة باجه Beja بالأندلس فى ولاية أبى الخطار بن ضرار الكلبي . انتقل فى حداثته من بلده باجه إلى العاصمة =

فتحها : قال فلما صار قريباً منها [١٥٤ ا] بعث خيلا فكمنت فى غَيْطة أرز كانت بِشَقُنْدَه[1] ، فمر بهم راعٍ فأخذوه وسألوه عن المدينة وأهليها ، فدلهّم على ثلمةٍ فى سورها القبلى بموضع صورة الأسد ، عليها شجرة تين ، فارتقى المسلمون منها ودخلوا المدينة ، وكبروا بأجمعهم تكبيرة واحدة ، فلما سمع أهل المدينة تكبيرهم ، خرجوا على باب اشبيلية ، وكان بموضع العطارين[2]

= قرطبة لطلب العلم عند شيوخ أهلها ثم خرج حاجاً فلقى مالك بن أنس وجالسه وسمعه ثم رحل إلى مصر ودرس بها مدة ثم قفل راجعاً إلى الأندلس حيث استقر بضيعته فى مدينة باجه إلى أن ولاه أمير الأندلس الحكم الربضى قضاء الجماعة والصلاة بقرطبة . وكانت سيرته وصلابته فى الحق مضرباً للامثال . ويؤثر عنه أنه كان إذا اختلف عليه العلماء واشكل عليه الأمر كتب إلى عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله ابن وهب بمصر فيجيبانه فى مسائله . ولقد ولى بعض أبنائه من بعده قضاء الجماعة بقرطبة ، نذكر منهم سعيد بن محمد بن بشير المعافرى ومسرور بن محمد بن بشير المعافرى . راجع أخبارهم وسيرهم فى (أبو عبد الله محمد بن حارث الخشنى : كتاب القضاة بقرطبة ص ٥١ — ٦٧ ، ص ٧٨ مدريد ١٩١٤

(١) شقنده : تعريب للاسم الرومانى القديم Secunda ، وكانت تقع قبالة قرطبـــة على الضفة اليسرى لنهر الوادى الكبير أى بالربض الجنوبى لقرطبة . وينسب إليهـــا الأديب المعروف أبو الوليد اسمـــاعيل بن محمد الشقندى قاضى لورقه Lorca وبياسة Baeza على عهد الموحدين ، وصاحب الرسالة المشهورة فى فضل الأندلس التى كتبها رداً على رسالة أبى يحي بن المعلم الطنجى فى فضل المغرب . وقد توفى الشقندى فى سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) ورسالته أوردها المقرى فى كتابه نفح الطيب كما ترجمها حديثاً المستشرق الاسبانى غرسية غومز . راجع : (المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ص ١٧٧ وما بعدها) وكذلك :

Pons Boigues: *Op. cit.*, p. 276-280 & Ency. of Islam, art Shakunda by Lévi-Provençal.

(٢) هذا الباب كان يقع فى الجانب الغربى لمدينة قرطبة ، ومن عنده كان يبدأ الطريق المؤدى إلى اشبيلية غرباً ، ولهذا سمى بباب اشبيلية كما سمى أيضاً بباب العطارين ، إذ عنده كانت تباع العطور وأدوات الزينة ، ولهذا كان — كما تقول القصص — مجتمعاً للنساء ، وللشاعر الأندلسى الرمادى قصة حب مثيرة بدأت فصولها فى هذا المكان . راجع : A. Palacios: *Crestomatía de Arabe Literal*, p. 24.

هذا ويروى ابن بشكوال ، أنه عند باب العطارين ، كان يوجد حى الرقاقين ومسجد النخيلة . راجع (الصلة جـ ٢ ص ٥٧٣) .

ولقد كانت قرطبة محاطة من جميع نواحيها بأبواب عديدة نذكر منها : فى الجانب الشرقى ، باب الحديد أو باب سرقسطه ، وباب ابن عبد الجبـــار أو باب طليطلة وفى الجنوب ، باب القنطرة أو باب الوادى أو باب الجزيرة ، ويقع عند نهاية الشارع الرئيسى المسمى بالمحجة العظمى . وفى الشمال ، باب عامر نسبة إلى عامر بن عمرو القرشى العبدرى . . . الخ . راجع : Lévi-Provençal: *L'Espagne Musulmane* au Xeme siècle p. 205-207. ووصف جديد لقرطبة الإسلامية لمؤلف مجهول ، بتحقيق د. حسين مؤنس مجلد ١٣ من هذه الصحيفة ص ١٦١ — ١٨١

اليوم ، ولجؤا إلى كنيسة عظيمة حصينة كانت لهم بغربى المدينة وتحصنوا فيها ، وتغلّقوا داخلها . وملك المسلمون مدينة قرطبة بما فيها ، وغنموا جميع ما فى داخلها ، وحصروا المشركين المتعلقين فى الكنيسة ، وأدخلوا النار إليها فأحرقوا أكثر من كان فيها ، وقتلوا من خرج عنها ، وأتى طارق بالعلج صاحب المدينة فأمر بضرب عنقه .

وذكر ابن أبى الفياض أنهم لما تحصنوا فى الكنيسة ، وكان بها ساقية تجرى إليها ، بعث طارق نحو الساقية رجلا أسود ليأتيه بخبر الساقية . قال ولم يكن دخل الأندلس من السودان غيره ، ونهض الأسود ، واطلع عليه من [فى] الكنيسة ، فأخذه الروم أسيراً وتعجبوا منه واختلفوا فى لونه ، فقال بعضهم إنه خِلْقة ، وقال بعضهم إنه مصبوغ ، فَضَمَّه الأحداث إلى الساقية ، وحَكَّه الأعلاج بالحبال ، فلم يزدهم حكَّه إلا صفاء للونه ونقاء لخلقته ، فأيقنوا أنه خلقة ، فألقوه فى الحديد ؛ فلما كان الليل قطع الحديد وقتل من وكل به من الأعلاج ، وفر إلى العسكر وأخبر بأمر الساقية فقُطعت . وأُخذ كل من كان فى الكنيسة وسميت كنيسة الأسرى .

ذكر دخول موسى بن نصير رحمه الله الاندلس

وفى سنة ثلاث وتسعين ، شخص موسى بن نصير إلى الأندلس ، وذلك أنه لما سمع بما فتح الله عز وجل على يد طارق ، أحب أن يكون شريكاً فى ذلك له . قال فى مختصر تاريخ الطبرى رحمه الله : فاستخلف ابنه عبد الله على افريقية ، وأقبل إلى الأندلس ومعه إبناه عبد العزيز وعبد الأعلى[1] ، وهو فى

(١) ورد اسم عبد الأعلى بن موسى فى (ابن عسكر : تاريخ مالقة ، مخطوط مغربى يقوم بنشره صديق المستشرق الإسبانى خواكين بالبيه ، وقد أضاف ابن عسكر إلى أن عبد الأعلى هذا هو =

عشرة آلاف فيهم وجوه الناس من قريش والعرب . فحلّ بساحل الجزيرة فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، فطلب دليلا من العجم وقال له دل بى إلى مداين لم يفتحها طارق ولم يدخلها ، وأثيبك على ذلك وأحسن إليك . فأخذ به إلى بلاد منها لبلة وباجة .

وصف لَبْلَة[١] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : كُورة لبلة فى غربى الأندلس ، ومدينة لبلة هى المعروفة بالحمراء ، أوّلية قديمة ، فيها آثار الأول ، وفيها ثلاث عيون . من أهل لبلة جابر بن[٢] مغيث يكنى أبا مالك ، كان عالماً بالعربية والشعر وضروب الآداب ، وكان مشهوراً بالفضل ، استجلبه قاسم [١٥٤ ب] ابن عبد العزيز لتأديب ولده ، فكان سبب سكناه بقرطبة . توفى سنة تسع وتسعين ومائتين ، ذكره أبو بكر الزبيدى .

قال البكرى : وكورة لبلة جامعة لفوائد الكور ، كثيرة الزيتون والشجر وضروب الثمار ، يكون بها القرمز الفاضل ، ويجود بها العصفر ، ولها خاصية فى الأدم الأحمر الصبغ الجيد الدباغ ، المضاهى للأدم[٣] الطائفى . وهى سهلية جبلية برية بحرية .

= الذى فتح مالقة فى عهد والده . كذلك ورد اسم عبد الأعلى فى (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٨٣) . أما ابن القوطية فقد أورده على شكل عبد العلى أو عبد العـــلا بن موسى . راجع (تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٤٠ ، ١٦٢) . هذا ويشير ابن قتيبة إلى ابن آخر لموسى دخل الأندلس قبل أبيه والتحق بطارق وهو مروان ابن موسى . رجع : (الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧٦) .

(١) لبلة Niebla وكان اسمهـــا فى القديم Ilipla ، وتقع فى جنوب غرب اسبانيـــا فى مقاطعة أَوْنَبَه أو أُونَبَه Huelva . راجع وصفها فى (الحميرى الروض المعطار ص ١٦٨ الترجمة الفرنسية ص ٢٠٣) راجع كذلك : العذرى ص ١١٠ — ١١١ *Ency. of Islam art.* Huelva by Lévi-Provençal.

(٢) راجع ترجمته فى (الضبى : بغية الملتمس رقم ٦٢٢) حيث يرد اسمه جابر بن غيث .

(٣) راجع كتاب العذرى (ترصيع الأخبار ص ١١١) والأدم الطائفى نسبة إلى الطائف بالقرب من مكة وقد اشتهرت هى الأخرى بدبغ الجـــلود حتى قيل إن رائحتها النفاذة كانت تصرع الطيور إذا مرت بها . انظر ياقوت معجم البلدان ج ٦ ص ١١) .

وصف باجَة[(١)] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : باجة بافريقية ، وباجه بالأندلس ، وقد تقدم ما قاله فى باجة افريقية . وقال فى باجة الأندلس : وقال الرازى فى باجة الأندلس ، غرب من قرطبة وهى من أقدم مداين الأندلس : وأرض باجة أرض زرع وضرع ، فمن باجة الأندلس جماعة من العلماء منهم الفقيه القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجى[(٢)] ، شارح الموطأ ، فقيه أديب متكلم على مذاهب الأشعرية ، شاعر ، ولد صبيحة يوم الثلاثاء فى النصف من ذى القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ، ورحل سنة ست وعشرين أو نحوها ، فأقام مع أبى ذَرّ بالحجاز ثلاثة أعوام ، ولقى ببغداد جِلّة من الفقهاء كأبى الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى رئيس الشافعية ، وأبى اسحاق ابراهيم بن على الشيرازى ، والقاضى أبى عبد الله بن الحسن بن على الصيمرى إمام الحنفية . فأقام بالموصل عاما كاملا مع أبى جعفر السمنانى يدرس عليه الأصول . قال وقد أدركته ولم أسمع منه لصغر سنى ولقلة العناية بى ، وتوفى ليلة الخميس بين العشاءين لسبع عشرة ليلة خلت من رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة .

قال فأداخها وفتحها ثم خرج إلى البلاط ثم خرج على الفج المنسوب إليه وهو المعروف بفجٍّ موسى . قال فانقطع إليه أهل ذلك الموضع ، فأقرهم على حالهم وسُمُّوا موالى موسى . ثم تقدم إلى مَارِدَة فنزل عليها وقيل إنها كانت قاعدة لملوك الأندلس ثم تنقلوا عنها إلى طليطلة .

---

(١) باجه : Beja بلدة فى جنوب البرتغال فى منتصف الطريق بين يابرة Evora والفارو Faro . وتسمى هذه المدينة بباجة الأندلس وباجة الزيت تميزاً لها عن باجة افريقية أو تونس التى تسمى أيضاً بباجة القمح . راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ٦) و (الترجمة الفرنسية ص ٤٥ حاشية ٢) .

(٢) هذا الفقيه المشهور أبو الوليد الباجى ولد فى بطليوس سنة ٤٠٣ (١٠١٢م) وتوفى فى المرية سنة ٤٧٤ (١٠٨١م) راجع ترجمته فى (الضبى : بغية الملتمس رقم ٧٧٧ ، ابن بشكوال : الصلة رقم ٤٤٩ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٢٣) كذلك (Pons Boigues, Op. cit. p. 155)

وصف مدينة مَارِدَة[1] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : ماردة بين الغرب والجوف[2] من مدينة قرطبة ، ومسيرة ما بين مدينة قرطبة ومارده للراكب القاصد خمسة أيام ، وللمشاة عشرة أيام . ومارده من إحدى القواعد التى تخيرها ملوك العجم للقرار ، ابتدأها أول القياصرة ، وأكملها ثانى القياصرة ، وترددت فيها الملوك ، فتجددت بها الآثار بالبنيان المتقن والتزيين والرخام المعجب ، واظهار القدرة بالماء المستجلب المحجوز عليه بالبنية التى تعرف بالبريقة[3] ، بنية عجز الصانعون قبلها عن صنعتهـا ، وكفت الأيدى عن حكايتها بعدها ، باقية الرسم على الدهر ، عالية الاسم ، بعيدة الذكر . وجد فى مكان من سورها لوح رخام شديد الصفاء ، كثير الماء ، فيه مكتوب بالأعجمى براءة لأهل إيليا من عمل خمسة عشر ذراعا فى السور[4] ، ووجد فيها قليلة [١٥٥ ا] الجوهر التى نصب[5] سليمان بن عبد الملك فى مسجد دمشق . وكانت ممـا أُلْقِى فى بيت المقدس عند غارة بخت نصر عليها . وكان

---

(١) بالاسبانية Mérida وهى الآن مركز إدارى فى مديرية بطليوس Badajoz فى جنوب غرب اسبانيا ، واسمهـا القديم اللاتينى Emerita وتفسيره كما يقول صاحب الروض مسكن الأشراف . وهى مدينة حصينة كانت قاعدة لحكام الرومان الذين أقاموا فيها منشآت ضخمة لا زالت آثارها باقية إلى اليوم كالقنطرة والملعب وخزان المياه الوارد ذكره فى المتن . راجع وصفها فى (الحميرى : الروض المعطـار ص ١٧٥ والترجمة ص ٢١٠) راجع كذلك : *Ency. of Islam* art Mérida par Lévi-Provençal

(٢) اصطلح أهل المغرب والأندلس على اطلاق كلمة جوف على شمال البلاد والقبلة على جنوبها .

(٣) البريقة : يرى ابن الشباط فى شروحه التالية أنها سميت بذلك لبريقها ، ومن المحتمل أن تكون تعريباً للكلمة الاسبانية ذات الأصل العربى Alberca (البركة) ومعناها خزان أو مستودع صناعى لخزن المياه وتوزيعها فى قنوات إلى الجهات المجاورة .

(٤) ورد فى البكرى (ورقة ٢٢٣) وكان قد أحدق بالمدينـة سور عرضه إثنا عشر ذراعاً وارتفاعه ثمانية عشر ذراعاً وعلى بابها كتابة ترجمتهـا براوة لأهل إيليا (بيت المقدس) من عمل فى سورها خمسة عشر ذراعاً .

(٥) كذا رسمها ولعلها نصبها .

ممن حضر فى حشوده بزيان ملك الأندلس ، فوقعت فى سهمانه ، ذكر ذلك كله أحمد بن محمد الرازى . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل[١] .

فتحها : قال فلازمها وحاصر أهلها حتى صالحوه على الجزية . قال وكان طارق قد قدم طليطلة فافتتحها وغنمها .

وصف طُلَيطُلة[٢] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : طليطلة بين المشرق والجوف من قرطبة ، بينها وبين قرطبة للفارس القاصد سبعة أيام ، وللحلات العساكر أربعة عشر مرحلة . كانت قاعدة ملوك القوطيين وموضع قرارهم ، وفيها الفيت مائدة سليمان بن داوود عليه السلام . وهى مدينة عظيمة ، أشد المدن حصانة ، وأثبتها منعة ، وأبقاها مع الضيق والمحاصرة . ينسب إليها جماعة من أهل العلم منهم سعيد[٣] بن أبى هند ، يكنى أبا عثمان ، أصله من طليطلة ، وقيل فى اسمه عبد الوهاب . رحل فلقى مالك بن أنس رحمه الله ، وسمع منه ، وكان مالك يسميه الحكيم حكيم الأندلس . توفى سنة[٤] مائتين . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

---

(١) يصف البكرى حصون ماردة بقوله (ورقة ٢٢٣) : ولماردة حصون وأقاليم ، من ذلك حصن مدلين وحصن مورش وحصن أم جعفر وحصن الجزيرة وحصن الجناح وحصن الصخرة المعروفة بصخرة أبى حسان وحصن لقرشان وحصن سنت انروج فى غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتة لا نسر ولا غيره ، إلى غيرها من الحصون .

(٢) يقول البكرى (المسالك والممالك نسخة الزاوية الناصرية بالمغرب لوحة ٢٢٣) واسم طليطلة باللاتينى : تولاطو ومعناه : « فرح ساكنها » يريدون لحصانتها ومناعتها . راجع وصفها أيضاً فى (الحميرى : الروض المعطار ص ١٣٠ — ١٣٥ نشر ليفى بروفنسال) .

(٣) راجع ترجمته فى (الضبى : بغية الملتمس رقم ٨٢٤ ص ٣٠١ ، ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٦٧ ص ١٣٦ ج ١) .

(٤) يروى ابن الفرضى وكذلك الضبى (فى نفس الموضعين) أن الحكيم سعيد ابن أبى هند توفى فى صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن معاويه المعروف بالداخل . ومن المعروف أن هذا الأمير حكم الأندلس فى الفترة ١٣٨ — ١٧٢ هـ = ٧٥٦ — ٧٨٨ م . وهذا يعنى وجود فارق كبير حول تحديد سنة وفاة هذا العالم بين هذه الرواية ورواية ابن الشباط التى فى المتن .

قال وأصاب فيها مائدة منظومة بالدرر والياقوت والزبرجد وهى التى يزعم الناس أنها مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام ، ولم تكن كذلك ، غير أن الحبشة[1] من العجم كانوا إذا حضرتهم الوفاة أوصوا للكنايس بمال تصنع منه كراسى توضع عليها مصاحف الإنجيل فى الأعياد ، فكانت تلك المائدة مما يتفوق فيه الملوك . واعلم أن هذا القول من عريب[2] غريب ، لم يذكره فيما علمت غيره وإنما ذكروا كلهم أنها مائدة سليمان بن داوود صلوات الله على نبينا وعليهما وعلى سائر الأنبياء وسلامه . وكذلك ذكر الفقيه أبو مروان عبد الملك ابن الكردبوس رحمه الله فى كتابه ، والكاتب أبو اسحاق وغيرهما . واختلفوا فى صفتها ، فقال الفقيه أبو مروان ، كانت قطعة واحدة من زمردة خضراء ، خرط منها أرجلها وحواشيها . وقال غيره : وكانت من ذهب مكللة بالدرّ والياقوت . وقال الكاتب أبو اسحاق : كانت مائدة مكللة بالدر والياقوت والجوهر . قال وقيل لرجل من أصحاب موسى يقال له أبو حميد : كيف كانت المائدة ؟ قال كانت من ذهب تشوبه فضة تتلون حمرة وصفرة وكانت مطوقة بثلاثة أطواق ، طوق ياقوت ، وطوق زبرجد ، وطوق لؤلؤ وزمرد . وسيأتى من صفتها أيضاً ما قاله غيرهما إن شاء الله تعالى .

قال فلما اتصل بموسى بن نصير بما ازداد طارق من الفتح ، مضى من ماردة نحو طليطلة ، فلما قرب منها ، خرج إليه طارق وتلقاه ، فتعتب عليه موسى وقال له : ما دعاك إلى الإيغال والتقحم فى البلاد بغير أمرى ، وإنما كنت بعثتك غازيا ثم تنصرف[3] (كذا) فاعتذر إليه طارق ، وقال له إنما أنا

---

(١) فى الروض المعطار نشر بروفنسال (ص ١٣١) : أهل الحسبة .

(٢) يقصد المؤرخ القرطبى عريب بن سعد ، وهو تعليل جميل يدل على دراية عريب وفطنته ، وقد نقل هذا النص فيما بعد صاحب الروض المعطار (ص ١٣١ — ١٣٢) دون أن ينسبه إلى قائله . وهذه حسنة من حسنات ابن الشباط الذى نسب الروايات إلى أصحابها وعرفنا بقائليها .

(٣) وردت على شكل تنصرف أو تتصرف .

قائد من قوادك ، وما أصبت وافتتحت فهو منسوب إليك ، ومعدود فى مقاماتك ، ثم أعلمه بما أصاب وما صار عنده [١٥٥ ب] من الخُمس وترضّاه واستطلبه ، فرضى عنه وأمره بالتمادى فى البلاد والمضى إلى الثغر ، فكان لا يمر بموضع إلا غنمه . وأقبل موسى إلى قرطبة ، فمضى بها سنة أربع وتسعين قال وروى أن موسى لما دخل الأندلس سنة ثلاث وتسعين ، ضحّى بطليطلة ثم تقدم إلى سرقسطة .

وصف سَرَقُسْطَة [1] :

قال فى اختصار اقتباس الأنوار : سرقسطة فى ثغر شرق الأندلس ، وهى المدينة البيضاء ، أعظم مداين ثغر الأندلس . سورها كله مبنى بالرخام معقود فى داخله بالرصاص ، ويحيط به جانب [2] . فهى غزيرة الخيرات ، كثيرة البركات ، فواكهها وأطعمتها من الكثرة والجودة بحيث قد شاع فى جميع الأقطار . وبها الملح الذراينى [3] .

ينسب إليها جماعة من العلماء ، منهم قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان بن يحيى العوفى السرقسطى أبو محمد [4] . رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النساءى ، وأحمد بن عمرو البزار . وسمع بمكة من عبد الله بن على الجارود ومحمد بن على الجوهرى وغيرهما . وعنى بجمع الحديث هو وأبوه ، فأدخلا الأندلس علماً كثيراً . ويقال إنهما أول

---

(١) راجع ما سبق أن قلناه حول هذه المدينة فى صفحة ١١٢ حاشية ٢

(٢) يقصد هنا الحى أو الربض Quartier راجع كلمة جانب فى :
Dozy: *Supplement aux Dictionnaires Arabes,* I, p. 221.

(٣) راجع تفسير كلمة الذرآنى فى شروح ابن الشباط التالية وفى المقدمة أيضاً .

(٤) راجع ترجمة هذا العالم فى (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ١٠٦٠ ، الضبى : بغية الملتمس رقم ١٣٠٠ ، ياقوت : إرشاد الأريب إلى معرفـــة الأديب ج ٦ ص ١٥٤ (نشر مرجوليوث ، لندن ١٩٠٧ — ١٩٢٩

من أدخل كتاب العَيْن إلى الأندلس . وألف قاسم فى شرح الحديث كتابا سماه كتاب الدلائل بلغ فيه الغاية من الإتقان ، فمات قبل إكماله ، فأكمله أبوه ثابت[١] بعده . وكان قاسم عالماً بالحديث واللغة متقدماً فى معرفة الحديث والنحو والشعر . وكان مع ذلك ورعا ، ناسكا ، زاهداً . وكان يقال إنه مجاب الدعوة . توفى بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة . قلت : وقد رأيت لغيره أن صاحب سرقسطة عرض عليه قضاء بلده فامتنع ، فعزم عليه فى ذلك ، فقال له : انظرنى عشرة أيام . فأجابه ، فمات فى تلك الأيام . فيقال إنه دعا الله عز وجل فى ذلك . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

قال وانصرف (أى موسى) قافلا ، فضحى بقرطبة سنة أربع وتسعين . ولما اتصل بالوليد [بن] عبد الملك رحمه الله ، تَلَوُّم موسى بن نصير بأرض الأندلس ، وتَقَحُّمه بالمسلمين فى أرض العدو من غير مؤامرة ولا مشاورة ، بعث مغيثا مولاه إليه ، وأمره أن يُعَنِّفَه ويقفله إلى افريقية . فقدم مغيث على موسى ، ودخل معه قرطبة ، ووهبه موسى الموضع الذى تنسب إليه اليوم ، وهو بلاط مغيث بجميع أرضه وزيتونه . وغزا مغيث مع موسى بالجيش إلى جلّيقية .

واستبطأ الوليد رحمه الله قدوم موسى ، فبعث رسولا يعرف بأبى نصر ، فتوكل بموسى واندفع به من مدينة لُكّ[٢] بجليقية ، وخرج من الفَجِّ المعروف بفج موسى ، ووفاه طارق بالطريق ، ومضيا جميعاً معهما مغيث وأبو نصر ، ومن أراد أن يرجع من الناس إلى المشرق ، واستخلف موسى بن نصير على الأندلس

---

(١) راجع ترجمة هذا الأب ثابت بن حزم فى (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٣٠٦ ، الضبى : بغية الملتمس رقم ٦٠٣) .

(٢) لك بضم اللام وتسديد الكاف وفى الروض المعطار لكه ، وفى مكان آخر (ص ٢٨) « لقش قاعدة الجليقيين » ، ولعل المقصود بها Lugo ، وهى مدينة وولاية فى شمال غرب اسبانيا فى منطقة جليقية ، واسمها القديم Locus Augusti

انظر (الحميرى : الروض المعطار ص ٣٥ حاشية ٢ من الترجمة الفرنسية) انظر كذلك :
Madoz: *Diccionario Geográfico de España*, tomo, 11. p. 631.

ابنه عبد العزيز . وشخص موسى راجعاً إلى افريقية . وكان قدوم موسى بن نصير على الوليد [١٥٦ ا] بن عبد الملك سنة ست وتسعين . وحمل طارق بما حمل من الغنائم والأموال والمائدة . واعلم أن هذا ما رأيت إيراده مما فى مختصر تاريخ الطبرى مع ما أضفت إليه من غيره .

وقد وقع فى كتاب الإمامة والسياسة لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، ذكر فتح الأندلس ، بزيادة مخالفة لبعض ما تقدم(١) ، فرأيت إيراد ذلك فى هذا المكان لتكمل به الفائدة إن شاء الله عز وجل ، فأقول :

قال فى الإمامة والسياسة(٢) : ذكروا أن موسى وجه طارقاً مولاه إلى طنجة وما هنالك ، فافتتح مدائن البربر وقلاعها . ثم كتب إلى موسى : إننى أصبت ست سفاين . فكتب إليه موسى : أتممها سبعا ، ثم سر بها إلى شاطئ البحر فاستعد(٣) لشحنها ، واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين ، فإذا كان يوم أحد وعشرين من شهر أذار(٤) بالسريانى ، فاشحن على بركة الله عز وجل ونصره فى ذلك اليوم . وإن(٥) لم يكن عندك من يعرف شهور السريانيين(٦) ، فشهور العجم فإنها موافقة لشهور السريانيين(٧) ، وهو شهر يقال له بالعجمية مارس(٨) ، فإذا أجريت فسر حتى يلقاك جبـــل أجرد(٩) أحمر ، تخرج منه

(١) راجع ما كتبه دوزى حول هذا الكتاب تحت عنوان : « أحاديث الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة ، فى :

R. Dozy: *Recherches sur l'Hist. et la Litterature de l'Espagne pendant le moyen age*, p. 21-39 t. I.

(٢) وردت هذه القطعة فى كتاب الإمامة والسياسة جـ ٢ ص ٧٤ وما بعدها .

(٣) واستعد فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٤) أدار فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٥) فإن فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٦) السريان فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٧) السريان فى الامامة والسياسة ص ٧٤

(٨) فإذا كان يوم أحد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما أمرتك إن شاء الله . هذه العبارة ساقطة فى المتن .

(٩) هذه الكلمة ساقطة فى كتاب الامامة والسياسة .

عين شرقية إلى جانبها صنم فيه تمثال ثور[١] فاكسر ذلك التمثال ، وانظر فيمن معك إلى رجل أشقر طوال[٢] بعينيه قَبَل[٣] ، وبيده شلل ، فاعقد له على مقدمتك ثم أقم مكانك حتى تغشا[٤] إن شاء الله .

فلما انتهى الكتاب إلى طارق ، كتب إلى موسى : إنى منته إلى ما أمرنى به[٥] الأمير ووصف ، غير أنى لم أجد صفة الرجل الذى أمرتنى به إلا فى نفسى . فسار طارق فى رجب سنة ثلاث وتسعين . وقد كان لذريق ملك الأندلس قد غزا عدوا له[٦] ، واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير ، فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين ، كتب إلى لذريق أنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندرى أمن السماء سقطوا[٧] ، أم من الأرض ارتفعوا[٨] ، فلما بلغ ذلك لذريق ، أقبل راجعاً إلى طارق فى سبعين ألف عنان .

[وما ينفع الجيش الكثير التفافه على غير منصور وغير معان[٩]]

قال ومعه العجل تحمل الأموال وهو على سرير مكلل باللؤلؤ والياقوت

---

(١) فى كتاب الامامة والسياسة ضور .

(٢) طويل .

(٣) أى مثل الحول .

(٤) يغشاك .

(٥) فى كتاب الإمامة والسياسة ص ٧٤ : إلى ما أمر الأمير .

(٦) فى الامامة والسياسة ص ٧٥ : قد غزا عدواً يقال له البشكيس . وهو يقصد بذلك البشكنس Los Vascos فى شمال اسبانيا وهذا يتفق مع ما ورد فى المصادر الإسبانية من أن هؤلاء البشكنس قد قاموا بثورة مما اضطر الملك لذريق إلى الإسراع شمالا لاخمادها . ويذهب المؤرخ الإسبانى Savedra سافدرا إلى أن هذه الثورة كانت مدبرة ومفتعلة بتدبير من أبناء الملك المخلوع غيطشه كى يمهدوا الأمر لنزول القوات الإسلامية فى الأراضى الإسبانية .

(٧) نزلوا .

(٨) نبعوا .

(٩) هذا البيت ساقط فى كتاب الامامة والسياسة وقد نص ابن الشباط فيما بعد أنه للمتنبى وأنه قد حشره فى النص لمناسبته للمقام .

والزبرجد[١] ، ولما بلغ طارقاً دنوه منهم ، قام فى أصحابه خطيباً[٢] : فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم فى الشهادة وبسط من آمالهم ثم قال : أيها الناس إلى أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو من[٣] أمامكم ، وليس ثم والله إلا الصدق والصبر فإنهما لا يغلبان وهما جندان منصوران لا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة . أيها الناس ما فعلت من شىء فافعلوا مثله ، إن حملت فاحملوا ، وإن وقفت فقفوا ، وكونوا كهيئة رجل واحد فى القتال ، ألا وإنى عامد إلى طاغيتهم[٤] لا أتهيبه حتى أخالطه أو أقتل دونه ، فإن قتلت ، فلا تهنوا ولا تنازعوا[٥] ، فتفشلوا[٦] وتذهب ريحكم ، وتولوا الدبر عدوكم[٧] فتبددوا بين قتيل وأسير ، وإياكم إياكم أن ترضوا بالدنية ، ولا تعطوا بأيديكم ، وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والرحمة[٨] من الذلة [١٥٦ ب] والمهنة ، وما قد أجل لكم من ثواب الشهادة ، فإنكم إن تفعلوا والله[٩] معيذكم ، تبوءون بالخسران المبين ، وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ؛ وها أناذا حامل حتى أغشاه ، فاحملوا لحملتى[١٠] . ثم حمل[١١] وحملوا ، فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل[١٢] الطاغية

---

(١) فى الامامة والسياسة جـ ٢ ص ٧٥ : ... ومعه العجل تحمل الأموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه الحبال ولا يشك فى أسرهم .

(٢) خطيباً : ساقطة فى كتاب الامامة .

(٣) من : ساقطة فى ابن قتيبه .

(٤) بحيث لا أتهيبه .

(٥) ولا تحزنوا .

(٦) فتقتلوا .

(٧) لعدوكم .

(٨) والراحة .

(٩) والله معكم ومعيدكم .

(١٠) بحملتى .

(١١) فحمل .

(١٢) ثم إن الطاغية قتل .

وانهزم قومه[١] ، واحتز طارق رأس لذريق[٢] وبعث به إلى موسى مع ابنه ، فبعثه موسى[٣] إلى الوليد ووفد معه رجالا من أهل افريقية ، ففرض له الوليد فى أهل الشرف ، وأجاز كل من كان معه ، ورده إلى أبيه[٤] . وأصاب المسلمون مما كان مع لذريق ما لا يدرى ما هو ، ولا تحصى[٥] له قيمة . ثم كتب طارق إلى موسى : ان الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية ، فالغوث الغوث ! فلما أتاه الكتاب نادى فى الناس وعسكر ، وذلك فى صفر سنة ثلاث وتسعين .

وكان أحب الخروج إليه أن يخرج يوم الخميس أول النهار ، فاستخلف ابنه عبد الله على افريقية وطنجة والسوس ، وكتب[٦] إلى مروان يأمره باللحاق بطارق ، فلحقه والجموع قد أتت إليه من كل مكان ، فسار حتى افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها .

ثم إن موسى سار لا يرفع له شىء إلا هذه يفتتح المداين يميناً وشمالا حتى انتهى إلى مدينة الملوك طليطلة ، فوجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ، ووجد فيه أربعة وعشرين تاجا وهى تيجان الملوك الذين ولوا الأندلس[٧] ، كلما هلك ملك منهم ، وضع تاجه فى ذلك البيت ، وكتب عليه اسم ذلك الملك ومدة عمره

---

(١) وانهزم جميع العدو .

(٢) لوذريق وكذلك فى بقية النص .

(٣) وبعثه موسى مع ابنه (مروان) وجهز معه رجالا . . .

(٤) إلى أبيه موسى .

(٥) ولا قيمته .

(٦) وكتب ساعة قدم عليه كتاب طـارق إلى مروان يأمره بالمسير ، فسار مروان بمن معه حتى أجاز إلى طـارق قبل دخول أبيه موسى . وخرج موسى بن نصير والناس معه حتى أتى المجاز ، فأجاز بمن زحف معه فى جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه ، فوجد الجموع قد شردت إليه من كل مكان فسار حتى افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها ، فغل الناس يومئذ علولا لم يسمع بمثله . ولم يسلم من الغلول يومئذ إلا أبو عبد الرحمن الجبلى .

(٧) هذه العبارة زيادة عن كتاب الامامة والسياسة .

وولايته[١] . ووجد أيضاً فى ذلك البيت مائدة[٢] سليمان بن داوود عليه السلام ، فعمد موسى إلى تلك التيجان والمائدة[٣] والآنية التى وجدها فغطاها[٤] بالأغشية ، وجعل عليها الأمناء ، وليس منها شىء تدرى قيمته . وأما الذهب والفضة[٥] فلم يكن يحصيه شىء .

قال وذكروا أن هرم بن عياض حدثهم عن رجل من أهل العلم أنه كان مع موسى بالأندلس حتى فتح البيت التى كانت فيها المائدة التى ذكر أنها كانت لسليمان بن داوود عليهما السلام ، فقال كان بيتاً عليه أربعة وعشرون قفلا ، كلما ولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء بفعل من كان قبله حتى ولى لذريق القوطى ، فقال لا أموت بغم هذا البيت ولأفتحنه حتى أعلم ما فيه .

فاجتمعت إليه النصرانية والأساقفة والشمامسة ، فقالوا ما تريد بفتح هذا البيت ؟ فقال والله لا أموت ولأعلمن[٦] ما فيه . فقالوا أصلحك الله ، إنه لا خير لك فى مخالفة السلف الصالح ، وترك الاقتداء بالأولية[٧] ، فاقتد بهم[٨] وضع عليه قفلك[٩] كما صنع غيرك ، ولا تحملنك[١٠] الغره على ما لم تحملهم عليهم فإنهم أولى بالصواب منا ومنك . فقال[١١] لا بد من فتحه . فقالوا له : انظر ما ظننت أن فيه من المال والجوهر وما خطر على قلبك ، فإنا ندفعه إليك ،

---

(١) وكتب على التاج اسم صاحبه وأين كم هو ويوم مات ويوم ولى .
(٢) مائدة عليها اسم سليمان ... ومائدة من جزع .
(٣) والموائد .
(٤) فقطع عليها الأغشية .
(٥) والمتاع .
(٦) فى الامامة والسياسة ج ٢ ص ٧٨ : والله لا أموت بغمه ولا علمت ما فيه .
(٧) بالأولياء .
(٨) ممن كان قبلك .
(٩) قفلا .
(١٠) ولا يحملك الحرص على ما يحملهم عليه .
(١١) فأبى إلا فتحه .

ولا تحدث علينا فيه حدثا لم يحدثه من كان قبلك من ملوكنا ، فإنهم كانوا أهل معرفة ، واعلم[١] بما صنعوا . فأبى إلا فتحه ففتحه ، فوجد فيه صور[٢] العرب ، ووجد فيه كتاباً ، إذا فتح هذا البيت ، دخل هؤلاء الذين هيئتهم[٣] هكذا هذه البلاد [١٥٧ ا] فملكوها . فكان دخول المسلمين[٤] فى عامهم ذلك عليه .

ذكر ما أفاء الله عز وجل عليهم

غزوةُ الافرنج

قال : وذكروا أن موسى خرج من طليطلة فى الجموع غازيا يفتتح المدائن حتى دانت له الأندلس . وجاءه وجوه جليقية فطلبوا إليه الصلح فصالحهم [وغزا البشكنس ، فدخل فى بلادهم حتى أتى قوماً كالبهائم ، ثم مال إلى أفرنجة حتى انتهى إلى سرقسطة فافتتحها وافتتح ما[٥]] دونها من البلاد إلى الأندلس ، فأصاب فيها مالا يدرى ما هو . ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة ، وبين سرقسطة وقرطبة مسيرة شهر أو أربعين ليلة . فذكروا أن عبد الله بن المغيرة ابن أبى بردة قال : كنت فيمن[٦] غزا مع موسى الأندلس حتى بلغنا سرقسطة ، وكانت من أقصى ما بلغنا مع موسى إلا يسيراً من ورائها ، فأتينا مدينة على بحر ولها أربعة أبواب . قال فبينا نحن نحاصرها[٧] ، إذ أقبل صاحب

---

(١) وعلم .
(٢) تصاوير .
(٣) هيثاتهم .
(٤) المسلمين من العرب إليه فى ذلك العام .
(٥) الزيادة عن كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٨٠
(٦) ممن .
(٧) محاضروها .

شرطة موسى [عياش بن أخيل] [١] فقال إنا قد فرقنا الجيش [أرباعا] على نواحى أبواب المدينة وقد بقى الباب الأقصى ، وعليه رتبة . فقال له موسى : دع ذلك الباب الأقصى ، فاننا سننظر فيه إن شاء الله عز وجل . ثم إن موسى التفت إلىّ فقال : كم معك من الزاد فقلت ما بقى معنا إلا تليس [١٥٧ ب] قال فأنت لم يبق معك إلا تليس وأنت من أيسر [٢] الجيش ، فكيف بغيرك [٣] ! اللهم اخرجهم من ذلك الباب . قال المغيرة فاصبحنا من تلك الناحية [٤] وقد خرجوا من ذلك الباب أو أكثرهم [٥] ، فدخلها موسى ووجه ابنه مروان فى طلبهم ، فأدركهم ، فشرع [٦] القتل فيهم ، وأصابوا مما كان معهم ومما فى المدينة شيئاً عظيما . وذكروا أن جعفر بن الأشتر قال قال : كنت فيمن غزا الأندلس مع موسى ، فحاصرنا حصناً من حصونها عظيما ، بضعاً وعشرين ليلة لا [٧] نقدر عليه ، فلما طال ذلك على موسى ، نادى موسى فى الناس [٨] أن أصبحوا على تعبئة ، فظننا أنه قد بلغه [٩] أن مادة من العدو قد دنت منه [١٠] وأنه يريد التحول عنهم .

فأصبحنا على تعبئة ، فقام فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنى متقدم أمام الصفوف ، فإذا رأيتمونى قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا . فقال الناس ، سبحان الله أتراه قد [١١] فقد عقله ، أو عزب عنه ،

---

(١) الزيادة عن ابن قتيبة .
(٢) أمراء .
(٣) غيرك .
(٤) الليلة .
(٥) ساقطة .
(٦) فأسرع .
(٧) ثم لم نقدر عليه .
(٨) فينا .
(٩) أن ساقطة .
(١٠) منا .
(١١) أترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه (الامامة ج ٢ ص ٨١) .

يأمرنا نكبر(١) على الحجارة وما لا سبيل إليه . قال فتقدم بين الصفوف بحيث يراه الناس ، ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فأطال ونحن وقوف(٢) ننتظر تكبيره . ثم إن موسى كبر وكبر الناس بتكبيره(٣) وحمل وحمل الناس ، فانهدمت ناحية الحصن التي تلينا ، فدخل الناس [منها] فما راعني إلا خيل المسلمين تجول(٤) فيها ، وفتحها الله علينا ، فأصبنا من السبي ومن الجوهر ما لا يحصى . وقال عبد الرحمن بن سالم(٥) : كنت فيمن غزا مع موسى غزواته كلها ، فلم يرد له لواء(٦) قط ولا هزم له جمع قط حتى مات رحمه الله . قال وقال ابن صخر : لما قدم موسى الأندلس ، قال له أسقف من أساقفتها : انا لنجدك في كتب الحدثان عن دانيال ، يصفك(٧) بأنك صياد بشبكتين ، رجل لك في البر ، ورجل لك في البحر ، فتضرب بها هنا(٨) فتصيد ، وتضرب بها هنا فتصيد ، فسر بذلك موسى واعجبه(٩) .

قال وقال عبد الحميد بن حميد عن أبيه ، أن موسى لما أوغل(١٠) في بلاد العدو ، وجاوز سرقسطة ، اشتد ذلك على الناس ، وقالوا أين تذهب بنا ؟

---

(١) نحمل .
(٢) ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستعددنا .
(٣) بتكبيره : ساقطة .
(٤) تمرع .
(٥) سلام .
(٦) فلم ترد له راية قط .
(٧) بصفتك صياداً .
(٨) تضرب بهما هاهنا وهاهنا فتصيد .
(٩) وحدثتني مولاة لعبد الله بن موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح أن موسى حاصر حصنها الذي كانت من أهله ، وكان تلقاءه حصن آخر . قالت : فأقام لنا محاصراً حيناً ومعه أهله وولده ، وكان لا يغزو إلا بهم لما يرجو في ذلك من الثواب ؛ قالت ثم إن أهل الحصن خرجوا إلى موسى فقاتلوه قتالا شديداً ، ففتح الله عليه ، قالت فلما رأى ذلك أهل الحصن الآخر ، نزلوا على حكمه ، ففتحهما موسى في يوم واحد . فلما كان في اليوم الثاني ، أتى حصناً ثالثاً ، فالتقى الناس فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً حتى حال المسلمون حوله ، قال فأمر موسى بسرادقة فكشطه عن نسائه وبناته حتى برزن . قال : فلقد كسرت بين يديه من أغماد السيوف ما لا يحصى وحمى المسلمون واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له (ابن قتيبة ج ٢ ص ٨١) .
(١٠) وغل .

حسبنا ما بأيدينا . وكان موسى حين دخل افريقية ، وذكر عقبة بن نافع قال : لقد كان غرر بنفسه حين أوغل[١] والعدو عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه ، وما كان معه رجل رشيد[٢] ، فسمعه حنش الصنعانى[٣] ، فلما بلغ موسى حيثما بلغ[٤] ، أخذ حنش[٥] بعنانه فقال : أيها الأمير ، سمعتك تذكر عقبة وتقول ، لقد غرر بنفسه وبمن مَعه وما[٦] كان معه رجل رشيد ، وأنا رشيد[٧] اليوم ، أين تذهب ؟ أتريد أن تخرج من الدنيا أو تطلب[٨] أعظم مما فتح الله عز وجل عليك[٩] ، إنى سمعت من الناس ما لم تسمع ، فانهم قد ملوا[١٠] وأحبوا الدعة ، فضحك موسى وقال : أرشدك الله ، وكثر فى المسلمين مثلك . ثم انصرف قافلا إلى الأندلس . وقال يومئذ : أما والله لو انقادوا[١١] ، لقدتهم حتى أوقفهم على رومية ويفتحها الله على يدى إن شاء الله .

ذكر ما افاء الله عز وجل عليهم [١٥٧ ا]

قال وذكروا عن الليث بن سعد أن موسى لما دخل الأندلس ، ضربوا الأوتاد لخيولهم فى جدر[١٢] كنيسة من كنائسهم ، فثبتت[١٣] الأوتاد فلم تلج ،

(١) وغل .
(٢) أما كان معه رجل رشيد ؟
(٣) فسمعه حبيش الشيبانى والمتن أصح .
(٤) ذلك المبلغ .
(٥) قام حبيش فأخذ بعنانه .
(٦) أما كان معه . .
(٧) وأنا رشيدك اليوم .
(٨) أو تلتمس أكثر وأعظم .
(٩) ودوخ لك .
(١٠) وقد ملؤا أيديهم وأحبوا الدعة .
(١١) أما والله لو انقادوا إلى ، لقدتهم إلى روميه ثم يفتحها الله على يدى إن شاء الله (ص ٨٢) .
(١٢) جدار كنيسة من كنائسها .
(١٣) فتلفت الأوتاد .

فنظروا فإذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام . قال وذكروا أن رجلا ممن كان مع موسى فى بعض غزواته بالأندلس ، رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ، فلما اثقلتهما انزلها وحملا عليها الفأس وقطعاها نصفين ، فأخذ نصفها وترك نصفها[١] .

قال ، وقد رأيت الناس يمرون يميناً وشمالا ما يلتفون إليها استغناء عنها بما فى[٢] أيديهم مما هو أرفع منها . قال ، وأقبل رجل إلى موسى ، فقال ابعث معى أدلكم على كنز فبعث معه فقال انزعوا هاهنا ، فنزعوا ، فانثال[٣] عليهم من الزبرجد والياقوت شيء لم يروا مثله قط . فلما رأوه ، بهتوا ، وقالوا لا يصدقنا موسى فابعثوا إليه ، فجاء حتى نظر إليه . قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب ، المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، فكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها فيأتيان بفاس ويقطعان منها ما أمكنهما حمله .

وحدثنى ابن أبى ليلى[٤] الخشنى عن حميد عن أبيه قال لقد كانت الدابة تطلع فى بعض غزوات موسى فينظر فى حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة .

وكتب موسى حين افتتح الأندلس إلى أمير المؤمنين : انها ليست كالفتح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر .

[١١٥٩] : هذا ما رأيت إيراده مما ثبت فى كتاب الإمامة والسياسة سوى ما اختصرت منه وهو آخر الفصل الثاني بحمد الله عز وجل . وهنا انتهى بحمد الله عز وجل شرح ما أشار إليه الفقيه أبو محمد رحمه الله من فتوح البلاد

---

(١) فأخذا نصفاً وتركا الآخر .
(٢) بما هو أنفس منها وأرفع .
(٣) فسال .
(٤) يرى دوزى أن ابن أبى ليلى قاضى الكوفه توفى فى سنة ٧٦٥ م. أى قبل ولادة ابن قتيبة (٢١٣ هـ.) ٨٢٨ م. أى بنحو ٦٣ سنة ! ! ولهذا فهو يرى أن هذا الاسم قد اقحم بواسطة بعض النساخ . Dozy: *Recherches*. I p. 23 y nota 2

فى هذه الأبيات وبه يتبين قوله صلى الله عليه وسلم تسليما : « زُويت[١] لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » . فانظر كيف انتهى المسلمون بحمد الله عز وجل فى ناحية المشرق إلى بلاد الصين وهى عند مطلع الشمس ، وانتهوا فى المغرب إلى السوس الأقصى إلى البحر المحيط ، فسبحان الواحد الحق الذى قوله الحق ووعده الصدق ، وصلى الله على سيدنا محمد الصادق المصدق الذى لا ينطق عن الهوى وعلى آله وأصحابه ما طلع نجم وهوى ، وسلم تسليما كثيراً .

شرح وتحقيق

أُشْكُونْية : كذا وقع بتقديم الشين على الكاف ، وفى تاريخ ابن مزين اكشونية بتقديم الكاف ويقع مهلا من الضبط ، والظاهر انه بضم الهمزة وسكون النون ، ويدل على ذلك أنه وقع فى تاريخ ابن مزين فى موضع آخر اكْشُنْبَة ، دون واو .

وتَرّكونة : بفتح التاء المثناة وفتح الراء المهمله وتشديدها وضم الكاف وسكون الواو أخت الياء وأخره نون وتاء تأنيث . كذا وقع بالتاء والجارى على ألسنة أهل عصرنا هذا فيما علمت فى هذا الاسم طركونة بالطاء المهملة .

وَبَرْشَلُونة : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وضم اللام وسكون الواو أخت الياء ، وبالنون وهاء تأنيث . وبعضهم يقول فى هذا الاسم برشنونة بنونين ، وينطق بالشين غير خالصة بل بين الشين والجيم .

(١) زويت لى الأرض أى طويت الأرض .

وأُرْبُونَة : بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الباء أخت الواو وبعدها واو ساكنة وتاء تأنيث .

وأُشْبُونَة : بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة وضم الباء المنقوطة بواحدة بعدها واو ساكنة ونون وهاء تأنيث . قال البكرى(١) رحمه الله : ومدينة أشبونة بغربىّ باجة وهى مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه فى سورها . وسورها رائق البنيان بديع الشأن ، وبابها الغربى قد عقدت عليه حنايا على عمد من رخام متقنة على حجارة رخام . ولها باب غربى أيضاً يعرف بباب الخَوْخَة(٢) [١٥٩ ب] مشرف على مرج فسيح يشقه جدولا ماء يصبان فى البحر . ولها باب قبلى يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مَدِّهِ وترتفع فى سوره ثلاثة اقدام .

وباب شرقى أيضاً يعرف بباب الحمة . والحَمَّةُ على مقربة منه ومن البحر بماءين(٣) : ماء حار وماء بارد . فإذا مدَّ البحر واراهما . وباب شرقى أيضاً يعرف بباب المضيق(٤) .

وغَلِّيسِية : بفتح العين المعجمة وكسر اللام وتشديدها وبعدها ياء أخت الواو ساكنة وسين مهملة مكسورة وياء أخت الواو وهاء تأنيث .

والتفيؤ بالهمزه ، من الفيء وهو ما بعد الزوال من الضل . وإنما سمى الضِلُّ فَيْئاً لرجوعه من جانب إلى جانب . قال صاحب الصحاح قال ابن السكيت : الضل ما نسخته الشمش ، والفيء ما نسخ الشمس . وحكى أبو

---

(١) نقل الحميرى هذا النص دون أن يشير إلى البكرى .

(٢) لعله يعنى بالخوخة الباب الصغير Portillón راجع (الحميرى : الروض المعطار ص ٢٢ من الترجمة الفرنسية) .

(٣) فى الروض المعطار ص ١٦ : ديماس .

(٤) فى الروض المعطار ص ١٦ : بباب المقبرة .

عبيد عن رويه ، كلما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو ظل وفئ ، ومالم يكن عليه الشمس فهو ظل ، والجمع أفياء وفيوء .

وابن أبى الفياض هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن أبى الفياض ، له تأليف فى أخبار الأندلس سماه بكتاب العبرة[١] .

وقوله قوم يقال لهم الأنْدَلُش بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال المهملة وضم اللام وبالشين المعجمة . كذا وقع فى نسخة من كتاب بن أبى الفياض رحمه الله ، وكذا ذكر البكرى رحمه الله عن الرازى . فقال أحمد بن محمد بن موسى الرازى : أول من سكن الأندلس بعد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها ، قوم يعرفون بالأندلش معجمة بالشين ثم سُمِّيَ البلد ثم عُرِّب .

وذكائها : الأصل فى الذكاء الذى هو سطوع الرائحة[٢] .

وقوله لليونانيين هم من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ، وهى أمة عظيمة مشهورة الآثار والأخبار .

وإِشْبِيلِيَة : بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وكسر الباء المنقوطة بواحدة وكسر اللام وتخفيف الياء أخت الواو .

ومَالَقَه : بفتح اللام وَبالقاف .

وقُرْطُبَه : بضم القاف وسكون الراء المهملة وضم الطاء وبالباء المنقوطة بواحدة .

وغَرْنَاطَه : بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وتخفيفها وبعدها ياء أخت الواو .

---

(١) راجع المقدمة .

(٢) يقال مسك ذكى أى ساطع الرائحة ، ويقال رجل ذكى أى سريع المفطنة كذلك يقال ذكت الحرب أو النار أو الشمس أى اشتدت .

أما زكى (بالزاى) فمعناها الطاهر من الذنوب ، النامى على الخير . فى سورة مريم : « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً » .

ومُرْسِيَة : بضم الميم وسكون الراء المهملة وكسر السين وبعدها ياء أخت الواو مخففة .

والزِئبِق : بكسر الزاى المعجمة وبالهمز وكسر الباء المنقوطة بواحدة وفتحها أيضاً ، وهو معروف . قال صاحب الصحاح : والزئبق فارسى معرب وقد اعرب بالهمز ومنهم من يقوله بكسر البـاء فيلحقه بالديبر والضيبل ، وغيرهم مزابق ، والعامة تقول مزبق .

والضيبل الذى ذكره بالضاد المعجمة ومعناه الداهية .

والتُوتِيا : بضم التاء الأولى وكسر الثانية وبالمد ، وقد يقال بالقصر .

والبَسَد : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وفتح السين المهملة وهو المرجان .

واقنابس : بالقاف والنون والباء المنقوطة بواحدة من أسفل وبالسين .

[١٦٠ ا] وطُلَيْطُله : بضم الطاء المهملة وفتح اللام وسكون اليـاء المنقوطة باثنين من أسفل وضم الطاء المهملة بعدها .

والعتيقة : القديمـــة .

والقُوط : بضم القاف وسكون الواو بالطاء المهملة ، وهى أمة معروفة كانت مملكتهـا الأندلس وآخر ملوكهم لذريق المتقدم الذكر .

وأفْرَنْسَة : بفتح الهمزة وسكون الفـاء أخت القاف وفتح الراء المهملة ، وهو صنف من النصارى .

وأفْرَنْجَة : بفتح الهمزة على وزن افرنسة ، وكأن افرنجه معرب من أفرنسه والله أعلم .

وطوبال : وقع فى اختصار اقتباس الأنوار المتقدم الذكر ، بالطاء المهملة ،

وهو مهمل من الضبط ، ووقع فى كتاب البكرى طيبال بالياء والله أعلم لأن العرب كما تقدم تتلعب بهذه الأسماء الأعجمية تلعباً ، والقياس على وزان العرب يقتضى الضم لأن فى كلام العرب الطوبال وهى النعجة والفتح لأن فى لغتهم أيضاً التوارب .

وقوله الإصبهانيين : كذا وقع بالهاء وكأنهم منسوبون إلى اصبهان وقد تقدم أن إصْبهان بكسر الهمزة وفتح الباء .

وبالإشْبانيين بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وبعدها باء منقوطة بواحدة وهم منسوبون إلى اشبان ملك من ملوكهم وقد تقدم ذكره . قال ابن أبى الفياض ويقال إن اشبان هذا كان اسمه اصبهان وذكر أنه دَارٌ بإصبهان فَسُمِّى بها والله أعلم ، وأرى أنها دار بإصبهان مصحف من ولد والله أعلم .

وقوله ويذكر أن عدة ملوكهم مائة وخمسون ملكا ، قال البكرى خمسة وعشرون ملكا والله أعلم بالصحيح من ذلك .

وذكروا أن أول من سكن بالأندلش بالشين المعجمة وكانوا على دين المجوسية فعمروها مائة عام وبضعة عشر عاما ، ولما أراد الله عز وجل اهلاكهم ، حبس عنهم القطر حتى غارت عيون الأندلس ويبست وبادت ثمارها ، فهلك أكثرهم وفر منهم من قدر على الفرار ، فبقيت الأندلس خالية مائة عام . ثم دخلها الأفارقة ، قوم أجلاهم صاحب افريقية تخففا الامحال[1] الذى توالى على بلاده ، فأصابوا الأندلس قد اخصبت وكانوا على الديانة فأقاموا لأنفسهم ملكا ، ونزل ملكهم طالقة[2] فانتهى ملكهم ثلاثمائة سنة إلى أن غزاهم اشبان ، وحصر

(١) أمحل البلد : أجدب فهو ماحل . وأمحـــل القوم : أجدبوا وأصابهم المحل ، وأمحل الله الأرض جعلها محله .

(٢) هى المدينة الرومانية Italica التى ما زالت آثارها باقية إلى اليوم بجوار اشبيلية .

ملكهم بطالقة حتى فتحها وغلب على مملكتهم فهدم طالقة ونقل رخامها إلى اشبيلية واتخذها دار ملكه وبه سميت .

واتصلت مملكة الإشبانيين إلى أن ملك منهم جماعة تقدم ذكر الاختلاف فى عددهم . ثم دخل عليهم قوم وذلك زمن المسيح عليه السلام فملكوا الأندلس وأفرنجه معها واتخذوا مدينة ماردة دار مملكتهم .

واتصلت مملكتهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ويقال إن ذا القرنين كان منهم . ثم دخل عليهم أمة القوط ، فغلبوا على الأندلس واقتطعوها عن صاحب رومة وانفردوا سلطانهم ، واتخذوا طليطلة دار مملكتهم ، ودخل ملكهم [١٦٠ ب] دين النصرانية بدعاء الحواريين . وكان أعدل ملوكهم وأحسنهم سيرة . فاتصلت مملكة القوطيين إلى أن دخل عليهم المسلمون والحمد لله وحده . وعدة ملوك القوط تسعة وقيل غير ذلك والله أعلم .

وقوله أول من غزاها أبو زرعة طريف ، ذكر البكرى أنه من موالى موسى من البربر . وحكى عن الرازى أنه قال هو أبو زرعة طريف بن مالك المعافرى . وذكر البكرى وابن أبى الفياض أن بعث موسى مولاه طريفا إنما كان بعد أن أتاه يليان بأفريقيه وحضه على غزو الأندلس وسهل عليه أمرها ، فخاف أن تكون مكيدة فقال له اذهب أنت وقاتلهم أولا ، ففعل ونزل بساحة الجزيرة الخضراء وقتل فيها وسبا وغنم وأقام بها أياماً يشن الغارات .

وشاع الخبر فى المسلمين فأنسوا بيليان ، وعند ذلك بعث طريفا بعد أن خاطب الوليد واستأذنه فى ذلك . فعبر طريف فى أربعمائة رجل ونزل الجزيرة المعروفة بجزيرة طريف وإليه تنسب ثم أغار على الجزيرة الخضراء ونواحيها وأصاب سبيا لم ير موسى وأصحابه مثله حسنا . وأصاب مالا عظيما وأمتعة ، وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة إحدى وتسعين .

فلما رأى الناس ذلك تسارعوا إلى الدخول وبعث موسى طارق بن زياد ابن عبد الله فى سبعة آلاف من البربر والموالى ليس فيهم عرب إلا قليل . فاحتل بالجبل المعروف بجبل طارق وإليه ينسب وذلك يوم السبت فى شعبان من سنة اثنين وتسعين .

وذكر ابن أبى الفياض أنه نزل الجبل المعروف إليه فى يوم النصف من شعبان من سنة اثنين وتسعين .

ورُذْرِيق : بضم الراء المهملة وسكون الذال المعجمة وكسر الراء المهملة . ويقال فيه لذريق باللام أيضاً ، وقال ابن أبى الفياض ، وذكر محمد بن القوطية فى تاريخه أن اسم رذريق لذريق .

وطارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، ذكر البكرى رحمه الله أن طارق ابن زياد هذا مولى موسى بن نصير فارسى همذانى ، قال وقد قيل أنه من الصدف وليس بمولى لموسى ، ولى بالأندلس وله بقية ينكرون ولاء موسى إنكاراً شديداً . قال وقال الرازى ، طارق بن زياد بربرى من نفزة ويقال إنهم من موالى الصدف[1] .

قلت وقوله فى المتن مولى لصَدِف ، كذا وقع بلام واحدة ، والأحسن أن يقال للصَدِف بلامين أحدهما للخفض والثانية للتصريف . والصدِف بفتح الصاد وكسر الدال قبيلة فى كهلان . ويقال فيها الصَدَف أيضاً بفتحهما ، والنسبة إليها فى الوجهين صدفى بفتح الدال ، كما يقال فى النسبة إلى النمر نمرى .

ونَفْزة : بفتح النون وسكون الفاء أخت القاف وبالزاى المعجمة .

---

(١) يتفق هذا مع ما ورد فى كتاب صاحب اخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها (مدريد ١٨٦٧) ص ٦ حيث يقول : فدعا موسى مولى له كان على مقدماته يقال له طارق بن زياد وكان فارسا همدانيا ، ويقال إنه ليس بمولاه وانه من موالى صدف .

وقوله : اقامطته جمع أقماط ، وأقماط جمع قُمط بضم القاف وهو الرئيس والقائد من قواد النصارى . والأقسة جمع قَس أو قسيس على غير قياس .

وقوله تصاور رجال كذا وقع بغير ياء وكأنه جمع تصورة . والأوْلَى أن يقال تصاوير بالياء جمع تصوير ، والأصل فى التصوير المصدر ثم تسمى الصور .

وقوله داماس ، كذا وقع بالألف والصواب والله أعلم ديماس . وكذا جاء فى الصحيح فى صفة المسيح صلوات الله على نبينا وعليه وسلامه : كأنما خرج من ديماس وهو الحمام ، ويحتمل أن يكون الداماس عبارة عنه ولغة فيه أو يكون عبارة عن القبو الطويل وهو الذى تقول له العامة الداموس .

والمرمر : الرخام ، والعباء جمع عباء ، والشِّمال بكسر الشين المعجمة جمع شِملة .

[١٦١ ا] وقوله بمدينة يقال لها خضراء ، كذا وقع بغير تعريف وهو جائز كما تقول العباسى وعباسى ، وذكر غيره أنها الجزيرة الخضراء .

ويُلْيان : بضم الياء أخت الواو وسكون اللام ، وبعدها ياء أيضاً وألف ونون . ويقال فيه أيضاً اليان بالهمزة .

وقوله على سرير الملك ، قال غيره وكان مكللا بالدر والياقوت وقفازاته هو جمع قفاز وجاء بالألف والتاء لأن الأسماء التى لم يسمع فيها بجمع تكسير يجوز جمعها بالألف والتاء ومنه قولهم وسرادقات وحمامات وقول الأصوليين أشكالات . وقوله وادى لُكَّة بضم اللام وتشديد الكاف .

وشُذُونه : بضم الشين المعجمة وضم الذال المعجمة أيضاً وبعدها واو ونون وهاء تأنيث .

وقوله وقتل أبناء الملك ولم يغن عنهما كيدها ، هذا خلاف ما ذكره ابن أبى الفياض فانه[1] ذكر أن ولدى الملك لما اجتمعت العساكر بعثوا إلى طارق

---

(١) أورد هذه الرواية أيضاً ابن القوطية القرطبى فى كتابه تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣ — ٦ نشر جاينجوس وترجمة ريبيرا (مدريد ١٨٦٨ — ١٩٢٦) .

ابن زياد يقولون له إن لذريق إنما كان كلباً من كلاب أيبنا ، وسألوه أن يؤمنهم وأن يمضي لهم ضياع أبيهم ، وكانت لهم ثلاثمائة آلاف[1] ضيعة ففعل . فلما أصبحو انحاشوا بمن معهم إلى طارق بن زياد ، فكان ذلك سبب الفتح . فلما وصلوا إليه قالوا له : أنت أمير نفسه أم عليك أمير ؟ قال بل عليَّ أمير وعلى الأمير أمير ، فأذن لهم باللحاق بموسى بن نصير بافريقية ، ثم صاروا إلى الوليد بن عبد الملك ، فأنفذ لهم عهوداً كانت على أعقابهم . وكان فيما عقد لهم ، ألاّ يقوموا [إلى] الداخل عليهم [ولا إلى] الخارج عنهم ، فكانوا بهذه الصفة على هذا الحال دول الأمراء بالأندلس . قال ومن نسلهم كان الكاتب أبو سعيد القومس ، جَد بنى قومس ، ومنهم كانت جدة بنى القوطية[2] .

قال وكان طارق بن زياد يرى فى منامه أنه فى لجج البحر فى حين أن النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار داخلون معه ، وكان النبى (صلعم) يقول : تقدم لشأنك[3] .

وقوله فى سِمار الوادى : السمار[4] بكسر السين المهملة تطلقه العامة على ضرب من النبت تصنع منه الحصر . وليست هذه اللفظة عربية فيما علمت ولا

---

(١) فى ابن القوطية (نفس المرجع) ثلاثة آلاف .

(٢) لا شك أنها الأميرة سارة القوطية ، لكن يلاحظ مما أورده ابن القوطية (نفس المرجع ص ٢ — ٥) أن أبا سعيد القومس هو من نسل أرطباس بن الملك القوطى غيطيشة Witiza بينما بنو القوطية كانوا من نسل سارة بنت المند بن غيطيشه . وقد كان بين سارة وعمها أرطباس خلاف حول ميراث أبيها اقتضى سفرها إلى دمشق وعرض قضيتها على الخليفة هشام بن عبد الملك . وهناك زوجها الخليفة هشام من مولاه عيسى بن مزاحم الذى هو جد ابن القوطية ومن هذا يبدو لنا أن بنى قومس وبنى القوطية فرعان منفصلان وان كانا ابناء عمومة واحدة .

(٣) فى (ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨) : فلما دخل طارق السفن مع أصحابه غلبته عينه فكان يرى فى نومه النبي (صلعم) وحوله المهاجرون والأنصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فيمر النبي عليه السلام بطارق فيقول له تقدم لشأنك ، ونظر طارق فى نومه إلى النبى وأصحابه حتى دخلوا الأندلس . فاستبشر وبشر أصحابه . . الخ .

(٤) ورد فى (Dozy: *Supl.* I p. 682) سمار نوع من الخيزران يصنع منه الحصر .

رأيت أحداً من اللغويين ذكرها ، فإن أراد السَمُر[١] الذى هو من شجر الطلح فإنما يقال فى الواحدة سمره وفى الجمع سَمُر وسمرات وأسْمُر فى أدنى العدد .

وقوله بخواتيم الذهب كذا وقع بالياء وهو جمع خاتام بالألف وهى لغة فى الخاتم .

وتشرين بالشين المعجمة وهو شهر اكتوبر وقد تقدم .

وقوله مَوْرُور بفتح الميم وسكون الواو وضم الراء المهملة وبعدها واو أخت الياء .

وقُرْطُبه : بضم القاف وسكون الراء المهملة وضم الطاء المهملة وبالباء المنقوطة بواحدة وهاء تأنيث .

والكُورة : بضم الكاف وسكون الواو وهى هنا عبارة [١٦١ ب] عن الصقع والناحية . والكورة أيضاً تطلق على المدينة لعل ذلك هو المراد هنا والأول هو الظاهر .

وبَرْبَاط : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء المهملة وبعدها باء مثل الأولى وألف وطاء مهملة .

وقوله قحطة يجوز فيه وجهان أحدهما أن يقال قَحِطت بفتح القاف وكسر الحاء ، وأن يقال قحطت بضم القاف على مالم يسم فاعله . وكذلك قحط القوم يجوز فيه الوجهان ، ويقال أقحطوا أيضاً رباعياً وكذلك قحطت الأرض .

والتنيسى : بفتح التاء ويجوز كسرها منسوب إلى تنيس مدينة معروفة .

وقَرْمُونه : بفتح القاف وسكون الراء المهملة وضم الميم وسكون الواو أخت الياء وآخره نون تأنيث .

وإشْبِيلِيَه : بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وكسر الباء المنقوطة بواحدة وسكون الياء بعدها وكسر اللام وفتح الياء وتخفيفها وآخرها هاء تأنيث .

---

(١) السمر كرجل شجر من العضاه ينقل إلى القرى فتغمى به البيوت الجمع اسمر .

والجزِر : بكسر الراء مصدر جزر البحر إذا رجع إلى خلف وهو ضد المد . وجزر الماء بالفتح يجزر بالضم والكسر إذا نَضُب .

وقوله غربيها الشرف يجوز فيه وجهان أن تنصب غربيها على الظرف وهو الأظهر ، وأن ترفعه على الابتداء .

وقوله وهو عظيم المساحة ، أعلم أن المساحة مَفعله من ساح يسيح فى الأرض والقياس يقتضى أنك إذا أطلقتها على جهة من الأرض قلت فيها مَساحة بفتح الميم ، وإذا أطلقتها على العلم بمعرفة قياس الأرض وذرعها ، قلت مِساحة بكسر الميم . والحكم فى قوله عظيم المساحة أن يقال بالفتح .

واشبان بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وبالباء المنقوطة بواحدة والألف والنون ، كذا وقع بكسر الهمزة فى النسخة التى عليها خط الفقيه الحافظ أبى محمد عبد الحق من اختصار اقتباس الأنوار .

وطِيطِس : بطاءين مهملتين بينهما ياء أخت الواو وآخره سين مهملة ، وبكسر الطاء الأولى وقع فى النسخة المذكورة والنسبة تقتضى أن تكون الطاء الثانية مكسورة .

وإيليا : بكسر الهمزة وكسر اللام وهو اسم مدينة بيت المقدس ، ذكر البكرى أن الخضر عليه السلام وقف على اشبان هذا وهو يحرث الأرض بفدن فقال له يا اشبان انك لذو شأن وسوف يحظيك زمان ويعليك سلطان ، فإذا أنت غلبت على ايليا فارفق بذرية الأنبياء ، فقال له اشبان ، أنَّا يكون هذا وأنا ضعيف حقير ، فقال قدر ذلك ما قدر فى عصاك اليابسة ما تراه ، فنظر اشبان إلى عصاه فرآها قد أورقت ، فريع لما رآى وذهب الخضر عليه السلام عنه وقد وقر ذلك الكلام فى نفسه والثقة بكونه . فترك الامتهان ، وداخل الناس ، وصحب أهل الباس وسما به جده ، وارتقى فى طلب السلطان حتى نال منه عظيما . وكان ملكه عشرين سنة . وقد ذكر هذه الحكاية ابن أبى الفياض أيضاً .

وقوله وصاحب الحجر الذى ألفى بماردة وهو والله أعلم الحجر الذى وجد عليه مكتوب براءة لأهل إيليا من عمل خمس عشرة ذراعاً فى السور وقد تقدم ذكر ذلك .

وقوله : وصاحب قليلة الجوهر قيل كانت قليلة مصبوغة كلها من الجوهر .

[١٦٢ ا] وقوله : اشمالى[1] بفتح الهمزة وبالشين المعجمة ، كذا وقع فى النسخة المذكورة ، والقياس على اسم اشبيلية يقتضى فيه كسر الهمزة والله أعلم ، لكن يمكن أن يغير هذا النقل والله أعلم .

وقوله : وذكر منهم أبا عمر ، هو أبو عمر الأشبيلى رئيس أهل الشورى بقرطبة والمقدم فيهم فى عصره ، وكان احفظ أهل زمانه ، ورعا صالحا حسن الخلق والسياسة والملاطفة وقافا مع الحق لا يلتفت فى ذلك إلى الأمراء . وأخباره مشهورة ، وفضائله مأثورة رحمه الله وغفر له .

واستجه : بكسر الهمزة ويقال بفتحها وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة وبالجيم .

وقوله : على نهر سنجل ، كذا وقع فى الأصل من الكتاب المذكور ، بالنون والجيم مهملا من الضبط ، وكتب فى الخارج شنيل ، بالنون والياء .

وقد سألت عن ذلك بعض أهل الأندلس ، فلم يعرف الأول وعرف الثانى وقال فيه شنيل ، بشين معجمة مفتوحة ونون مكسورة مشددة .

وقوله : ثم أسر صاحبها فصالحه على الجزية ، ذكر ابن أبى الفياض أنه كان علجاً شديداً شاكى السلاح ، وأن طارقا أصبح يوما على جنابة فنزل إلى الوادى ليغتسل فيه ، فوافق العلج يعنى صاحب المدينة فى النهر فى ظلام الليل فصرعه وأخذه أسيراً ، فبقى الروم باستجة لا أمير لهم فصالحوا طارقا على الجزية .

---

(١) لعلها اشبالى Hispalis وهو الاسم القديم لاشبيلية راجع (العذرى ص ٩٥) .

وقوله : فُوَّهَته بضم الفاء وتشديد الواو ، والمراد بالفوهة فم النهر ، يقال فوهة النهر وفوهة الطريق وفوهة الزقاق .

وشقورة : بضم الشين المعجمة وضم القاف وتخفيفها وبالراء المهملة .

وقوله : من أجل البنيان قدرا بسكون الدال ، وقدر الشىء مبلغه ، فأما قدر الله عز وجل ، ففيه لغتان : سكون الدال وفتحها ، والفتح أشهر قال الشاعر :

كل شىء حتى أخوك مناع وبقدر تفرق واجـــتماع

والأرز : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة والزاى المعجمة شجر من الشجر العظام معروف .

وشُقُنده : بضم الشين المعجمة وضم القاف وسكون النون وبالدال المهملة .

وقوله : بموضع صورة الأسد ، قال ابن أبى الفياض : دله على ثلمة كانت فى السور فى برج الأسد .

وقوله : وتغلقوا داخلها ، يريد والله أعلم أغلقوا أبوابها .

ولبلة : بكسر اللام وسكون الباء المنقوطة بواحدة ، وقد يقال لبله بفتح اللام والوجهان جائزان على ما أصله أو الفتح .

وقوله : فى الفقيه الحافظ القاضى أبى الوليد الباجى شاعر أنشد له صاحب القلائد (١) .

إذا كنتُ أعلم علماً يقينـاً بأن جميـع حياتى كساعـهْ
فلم لا أكون ضنيناً بهـــا وأجعلُها فى صلاحٍ وطاعـهْ

والسِمانانى : بكسر السين المهملة ، كذا وقع فى النسخة المذكورة ، وهو بسكون الميم وبنونين بينهما ألف ، قال فى اختصار اقتباس الأنوار ، سمنان

---

(١) راجع (الفتح ابن خاقان : قلائد العقيان ص ٢١٥ – ٢١٦) ولقد أورد الحميرى أيضاً (هذين البيتين فى كتابه الروض المعطار ص ٣٦) .

مدينة من عمل قومس ينسب [١٦٢ ب] إليها أبو بكر أحمد بن داوود بن إبى نصر السمنانى ، سمع محمد بن أبى السرى العسقلانى ، وأبا عبد الملك صفوان ابن صالح الدمشقى ، ذكره أبو أحمد الحكم .

وقوله فأداخها بالدال المهملة ، والصواب أن يقال داخها ، يقال : داخ البلاد يدوخها إذا قهرها واستولى عليها ودوخها . ولعله يريد أنه جعل جنده يدوخوها ولذلك قال أداخها .

وقوله : وماردة براء مكسورة مهملة ودال مهملة أيضاً ، ويحتمل أن تكون سميت بذلك لخصائصها ومنعتها .

والبريقة : أرى أنها سميت بذلك لبريقها وعلى ذلك فحكمها أن تكون بفتح الباء وكسر الراء .

وقوله : خمسة عشر ذراعاً ، كذا وقع ولعله على لغة من يذكر الذراع والأحسن أن يقال خمس عشرة ذراعا .

وبُخْتَ نَصَّر : بضم الباء وسكون الخاء المعجمة وفتح النون وتشديد الصاد المهملة ، ويجوز لك فى التاء وجهان ، تبنيها على الفتح فى الأحوال الثلاثة ، وأن تجريها بالاعراب على اعتبار تركيب الاضافة وغيره .

وبُزْيان : بضم الباء المنقوطة بواحدة وسكون الزاى المعجمة وبعدها ياء أخت الواو وألف ونون .

وقوله : منعة : يجوز فيه وجهان سكون النون وفتحها وقد تقدم .

وتاجُه : بالتاء المثناة وضم الجيم وسكون الهاء .

وقوله : غير أن الخبثة من العجم : يحتمل أن يكون جمع خبيث حمل فعيلا على جمع فاعل ، فإن فعلة بتحريك العين إنما هو جمع فاعل الصحيح كراكب وركبه .

وقوله : مما يتنوق عليه الملوك ، قال صاحب الصحيح : تنوق فى الأمر أى تأنق فيه ، وبعضهم لا يقول فيه تنوق ، والاسم منه النيقة . وفى المثل : «خرقاء ذات نيقة» ، يضرب للجاهل بالأمر وهو مع جهله يدعى المعرفة ويتأنق فى الإرادة . ذكره أبو عبيد ، وقال فى المختصر : والنيق والنيقة من التنوق ، وتنيق لغة فى تنوق .

والملح الذَرءانى[1] : بفتح الذال المعجمة وسكون الراء المهملة وفتحها معاً والهمزة والمد ، هو الشديد البياض . قال صاحب الصحاح وهو مأخوذ من الذُراة ، ولا تقل مَدرانى . قال والذُرا بالتحريك الشيب فى مقدم الرأس[2] ، رجل أذرا وامرأة ذرءا ، وذرأ شعره ، وذرأ لغتان والاسم الذراه بالضم .

والنساء : بفتح النون وبهمزة مقصورة ، وبعض الناس يقوله بالمد والظاهر أنه بالقصر ولذلك يقال النسوى بالواو أيضاً . قال فى اختصار اقتباس الأنوار : النسوى نسبة إلا نسا كورة من كور نيسابور ، كذا قال اليعقوبى ، وقال المسعودى من أرض فارس . قال عبد الغنى بن سعيد نسا موضع خراسان وهو موافق لنا . قال اليعقوبى : منهم زهير بن حرب بن شداد أبو خثيمة النسوى ويقال النساءى ، هو من شيوخ البخارى ومسلم ، وهو والد أبى بكر صاحب التاريخ . روى عن هشيم واسماعيل بن عليه ، وجرير ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن ابن مهدى ،

---

(١) فى هذا الصدد يقول الجغرافى الأندلسى المعروف أحمد بن عمر العذرى المتوفى بالمرية سنة ٤٧٨ هـ : «وفى مدينة سرقسطة معدن الملح الذرانى وهو الملح الأبيض الصافى الأملس . ولا يدخل سرقسطة حنش أصلا ولا يعيش فيها ، فمن أهلها من يقول إن فيها طلسما للحناش ، ومنهم من يقول إن أكثر مدينة سرقسطة مبنى من الرخام الذى يجلب إليها ، وهو رخام رخو ، وهو صنف من الملح الذرانى ، فهو الذى لا تقدر الحناش على دخول الموضع الذى يكون فيها ذلك الملح .

راجع (العذرى : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والمسالك إلى جميع الممالك ص ٢٢ — ٢٣ تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى مدريد ١٩٦٥) .

(٢) فى (أقرب المراذ) الذراه بياض الشيب أول ما يبدو فى الفورين يقال قد علته ذراه .

وبشر بن السرى . توفى ببغداد سنة أربع وثلاثين ومائتين ثم قال : النساءى نسبة إلى نسا والقياس النسوى وقد تقدم فى الباب قبل هذا .

وجِلِّيقِية : بكسر الجيم وكسر اللام وتشديدها وكسر [١٦٣ ا] القاف وياء أخت الواو مخففة وآخره تاء تأنيث .

ولُكّ : بضم اللام وتشديد الكاف . ولُكّ أيضاً من عمل الإسكندرية(١) .

والسُرْيانيون : بضم السين المهملة وكسر الراء وتشديدها هذا هو الجارى على الألسنة ، وقد يقال بإسكان الراء .

وإدار : بالمد وبالدال المعجمة وقد تقدم .

وقوله : بعينه قبل : هو أن تكون العين يميل نظرها إلى ناحية الأنف . وقد قَبِلت عينه بالكسر قَبَلاً بالفتح فهو أقبل وذلك أن يميل سوادها إلى ناحية الأنف .

وتدمير بضم التاء المثناة وسكون الدال المهملة وكسر الميم وبعدها ياء أخت الواو وراء مهملة . ويحتمل أن تكون مدينة تدمير وهى بلنسية من بلاد الأندلس ، سميت باسم هذا الملك .

وقوله : أمن السماء سقطوا أو من الأرض ارتفعوا ، كذا وقع بأو وذلك لوقوع الشك فى الطرفين ، فإن أم المعادلة للهمزة إنما تكون مع أحد الطرفين ،

---

(١) المقصود هنا بمدينة لك ، الأولى مدينة Lugo الحالية فى منطقة جليقية أو غاليسيا وقد سبق أن عرفنا بها أما عن مدينة لك الثانية فقد ذكرها ياقوت بقوله (معجم البلدان ج ٧ ص ٣٧٧) : لك بالضم وتشديد الكاف ، بلدة من نواحى برقه بين الاسكندرية وطرابلس الغرب ، ينسب إليها أبو الحسن مروان اللكى الشاعر . . وأبو الحسن على بن سند بن عباس اللكى مات سنة ٥٢٠ هـ وكان من الصالحين .

وهذا النص مهم من الناحية التاريخية من حيث أنه يبين مدى امتداد نفوذ الإسكندرية إلى تلك الجهات الغربية .

والشك فى تعينه . فإذا قلت : أقام زيد أو عمرو فأنت شاك فى قيامهما ، وإذا قلت أقام زيد أم عمرو ، فأنت عالم بقيام أحدهما وسألت عن تعينه .

وقوله : وما ينفع الجيش الكثير التفافه ، البيت هو من شعر أبى الطيب المتنبى من قصيدته التى أولها :

عدوك مذموم بكل لسان . . .

ولم يقع البيت فى كتاب الإمامة والسياسة ، ولم يمكن ذلك فإن عصر ابن قتيبة متقدم على عصر المتنبى ، ولكن ألحقته لأنه لائق بالمكان .

وقوله : فالغوث الغوث ! أى أغثنا ، والغوث من المصادر التى جاء فعلها بالزيادة ، فانهم قالوا أغاث ولم يقولوا غاث ، وقد تقدم الكلام عليه .

وهرم بن عياض ، لم أقف له على خبر ولعله ابن عياض بن عقبة بن نافع .

وقوله : والأساقفه هم جمع أسقف ، والشماسنه جمع شماس وهو العالم عندهم وقد تقدم .

والطنفسه وقعت القراءة فيها فى الموطأ ، قال القاضى أبو الوليد رحمه الله : الطنافس هى البسط كلها ، واحدها طنفسة كذا رويناه بالكسر . ووقع فى كتاب مقيد طنفسه بالكسر وطنفسه بالضم وقال أبو على الطنفسه بالفتح لا غير . انتهى كلام الشيخ أبى الوليد .

وفى الصحاح : الطَنفَسه والطِنفَسه واحدة الطنافس وقع بفتح الطاء وكسرها معاً وفتح الفاء . وفى المختصر : الطِنْفِسه ، النمرقة فوق الرجل ، وقع بكسر الطاء والفاء معاً .

وقوله : بقضبان الذهب ، يجوز فيه وجهان : ضم القاف وكسرها .

وتظلع : بالظاء المعجمة وفتح اللام ، يقال ظَلَعت الدابة تظلع بالفتح فيهما ظلعا بالسكون ، إذا غمزت برجلها .

والأفرنج بفتح الهمزة وفتح الراء وقد تقدم .

والمغيرة بن أبى بردة ، هو والله أعلم أبو بردة بن أبى موسى الاشعرى عبد الله بن قيس الصحابى رضى الله عنه .

وقوله : اللهم أخرجهم من ذلك الباب ، وأصبحوا قد خرجوا ، هذه كرامة من كرامات موسى أجاب الله عز وجل دعاءه .

وقوله : جعفر بن الاشتر ، يحتمل أن يكون ولد الأشتر النخعى والله أعلم .

[١٦٢ ب] وما ذكره من تكبير موسى وانهزام ناحية الحصن ، كرامة أيضاً وذلك كله بفضل الله وبركة رسول الله (صلعم) ، فإن كرامات الأولياء معجزة للنبى (صلعم) فإنهم إنما نالوها بالاقتداء به (صلعم) واقتفاء سننه ، جعلنا الله عز وجل ممن اقتفاها ، وطهر نفسه من شوائب المخالفة وحماها .

وعبد الرحمن بن سالم وابن صخر ، لا أذكر الآن أنى وقفت لهما على خبر ، وكذلك عبد الحميد بن حميد .

وعقبة بن نافع الفهرى رحمه الله مشهور الاسم والأثر والخبر ، واذكرها هنا ما قاله فيه الشيخ أبو عمر رحمه الله قال : عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرى ولد على عهد رسول الله (صلعم) ، لا تصح له صحبة ، كان ابن خالة عمرو ابن العاص ، ولاه عمرو بن العاص افريقية وهو على مصر فانتهى إلى لواته ومزاته فطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته ، فقتل وسبا وذلك فى سنة إحدى وأربعين ، وافتتح ودان وهى من حيز برقة من بلاد افريقية ، وافتتح عامة بلاد البربر ، وهو الذى اختط القيروان وذلك فى زمن معاوية فالقيران اليوم حيث اختطها عقبة . وكان معاوية بن حديج قد اختط القيروان بموضع يدعا بالقرن ، فنهض إليه عقبة فلم يعجبه فركب بالناس إلى موضع القيران اليوم ، وكان واديا كثير الأشجار غيضة مأوى للوحوش والحيات فأمر بقطع ذلك وحرقه واختط القيروان وأمر الناس بالبنيان .

وقال خليفة بن خياط ، وفى سنة خمسين وجه معاوية عقبة بن نافع إلى افريقية فاختط القيروان وأقام بها ثلاث سنين . وروى محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال لما افتتح عقبة بن نافع افريقية ، وقف على القيروان فقال يا أهل الوادى إنا حالون إن شاء الله ، فاظعنوا ، ثلاث مرات . قال فما رأيت شجرا ولا حجرا إلا تخرج من تحته حية أو دابة حتى هبطن الوادى ثم قال انزلوا بسم الله . وقتل عقبة بن نافع سنة ثلاث وستين بعد أن غزا سوس القصوى ، قتله كسيلة بن لمزم الأدرى ، وقتل معه أبا المهاجر دينارا ، وكان كسيلة نصرانيا ، ثم قتل كسيلة فى ذلك العام أو فى العام الذى يليه ، قتله زهير بن قيس البلوى . ويقولون إن عقبة كان مستجاب الدعوة .

والقيروان بفتح القاف وفتح الراء ، واجاز صاحب تثقيف اللسان ضم الراء . قال الأستاذ أبو محمد بن السيد البطليوسى رحمه الله عن أبى العلاء صاعد بن الحسين الربعى قال حدثنى على بن مهدى الفارسى قال سمعت ابن دريد يقول القيروان بفتح الراء : الجيش ، والقيروان بضم الراء : القافلة . قلت : القيروان فى اللغة معظم العسكر وهو بفتح الراء . وقال ابن قتيبة ، والقيروان أصله بالفارسية كاروان فعرب قال امرؤ القيس :

وغارة ذات قيروان كأن أسرابها الرعال

قال والقيران معظم الشىء والكاروان بالفارسية جماعة الناس والقافله .

قلت وقوله فى هذا البيت كأن اسرابها الرعال : الاسراب جمع سرب بكسر السين وهو الجماعة وأصل السرب الجماعة من النساء والظباء والقطا . والرعال جمع رعلة وهى القطعة من القطا شبههم بها فى السرعة .

وحنش الصنعانى بفتح الحاء المهملة وفتح النون وبالشين المعجمة وهو منسوب

إلى صنعاء التى بالشام[١] . قال ذلك البكرى رحمه الله ، وهذا النسب على غير قياس وقياسه الصنعاوى كما تقول فى النسب إلى حمراء حمراوى ، وهو حنش بن عبد الله بن عمر بن حنظلة قال البكرى يكنى أبا راشد ، قال ويقال حنش بن على والصواب عبد الله وهو الذى أسس المسجد الجامع بسرقسطة وقبره بسرقسطة معلوم[٢] انتهى كلام البكرى . وحنش هذا عده أبو العرب بن تميم فيمن دخل افريقية من جلة التابعين قال وهو الذى افتتح جزيرة أبى شريك وقتل أهلها . وجهه إليها أبو المهاجر . وعده البكرى فيمن دخل الأندلس ومن التابعين[٣] .

وقوله : حتى أوقفهم (على رومية) ، كذا وقع رباعيا ، والمختار حتى أقفهم ، قال صاحب الصحاح ويقال وقَفَت الدابة تقف وقوفا ووقفتها أنا وقفا ، يتعدى ولا يتعدى . ووقفته على ذنبه أى أطلعته عليه ، ووقفت الدار للمساكين وقفا . وأوقفتها بالألف لغة رديئة ، وليس فى الكلام أوقفت الآخر ، فأوقفت على الأمر الذى كنت فيه أى أقلعت ، قال الطرماح :

جامحا فى غوايتى ثم أوقفت   رضاه بالتقى وذو البر راضى

قال وحكي أبو عمرو كلمتهم ثم أوقفت أى أمسكت ، وكل شيء تمسك عنه تقول فيه أوقفت . وحكي أبو عبيد فى المصنف عن الأصمعى واليزيدى أنهما ذكرا عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال لو مررت برجل واقف فقلت له ما أوقفك ها هنا ؟ لرأيته حسناً ، وأى شيء أوقفك ها هنا أى أى شيء يصيرك إلى الوقوف .

---

(١) قال ياقوت (معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٦ – ٣٩١) صنعاء موضعان أحدهما باليمن وهى العظمى وأخرى (وهى المقصودة فى المتن) قرية بالغوطة من دمشق عند باب دمشق دون المزة مقابل مسجد خاتون خربت وهى اليوم مزرعة وبساتين . ثم أورد ياقوت بعد ذلك (ص ٣٩٢) أسماء العلماء والمحدثين الذين ينسبون إلى صنعاء دمشق ومن بينهم حنش بن عبد الله الصنعانى الذى أفرد له ترجمة وافية .

(٢) حول قبر التابعى حنش الصنعانى راجع (العذرى نفس المرجع ص ٢٢ – ٢٣ ، الحميرى : الروض ص ٩٧) .

(٣) حول ترجمة حنش الصنعانى راجع كذلك Bencheneb. *Classes des savants*, p. 57 note 2.

وعبد الرحمن بن سالم لم أقف له على خبر .

وقوله من ذهب خليطين ، كذا وقع ، والمراد والله أعلم من ذهبين خليطين ، يريد أن أحدهما شديد الحمرة والآخر دونه فلذلك قال يتلون صفرة وبياضاً .

وقوله من ذهب خليطين بالافراد فى الموصوف والتثنية فى الوصف على الإرادة بالمفرد معنى التثنية كما يراد به الجمع ويوصف بذلك كقوله : ومعا جياعا وقد تقدم .

وقوله عياض ابن عقبة هو والله أعلم ابن عقبة بن نافع ، وقد تقدم ذكره . وسليمان بن نجدة هذا لم أقف له على خبر .

ومَيُورقه : بفتح الميم وضم الياء أخت الواو وبعدها ياء ساكنة وراء مهملة وقاف وهاء تأنيث .

ومَنورقه : بفتح الميم وضم النون وسكون الراء المهملة وبعدها قاف وهاء تأنيث .

وفِلَسطين : بكسر الفاء وفتح اللام وقد تقدم .

ورَوْح بن زنباع : بفتح الراء وسكون الواو ، وأبوه زنباع ، بكسر الزاى المعجمة وسكون النون وهو مشهور الاسم والخبر .

والجَزْع : بفتح الجيم وسكون الزاى المعجمة ، وهو الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض ولذلك تشبه به العيون كما قال أمرء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجَزع الذى لم يثقب

وقوله صلى الله عليه وسلم : «زويت لى الأرض» ، أى ضمت وجمعت أطرافها وقد تقدم . [١٦٤ ا] وانزوى الشئ أى انقبض وانضم ، ومنه إن المسجد لينزوى من النخامة . قال بعضهم ولا يكون الانزواء إلا بالانحراف مع تقبض .

ذكر غزاة صقلية (١)

قال البكرى : وأغزى معاوية ابن حُدَيْج جيشاً فى البحر إلى صقلية فى مائتى مركب .

وصف صقلية : اعلم أن ما أورده من الأوصاف عن البكرى رحمه الله ، فهو من كتابه المعروف بالمسالك والممالك من نسخة متممة بتتميم الكاتب الأجل أبى الحكم بن علندة(٢) رحمه الله ، وأعارض ذلك بنسخة غير متممة ، إلا أنى اختصر من ذلك ما أرى اختصاره ، وكذلك أفعل أيضاً فيما أورده من كلام غيرهما والله المستعان .

ذكر البكرى رحمه الله أنَّ عرض جزيرة صقلية مائة وسبعة وخمسون ميلا ، وطولها مائة وسبعة وسبعون ميلا ، ودورها خمسمائة ميل . قال ويذكر(٣) أنها مثلثة الشكل ، وهى كثيرة الضَّرع والزرع والفواكه . وبلرم(٤) قاعدتها فى شمال الجزيرة على سبع ليال من المجاز . وبجزيرة صقلية البركان العظيم الذى لا يعلم فى العالم أشنع منظراً منه ، ولا أغرب خبراً . وهو فى جزيرتين شمالا من

(١) راجع : Michele Amari: *Biblioteca Arabo-Sicula*, Lepsia 1855, p. 209-213.

(٢) فى امارى : غلندة .

(٣) فى امارى : وذكر .

(٤) فى امارى : وبلرمه ، وهى Palermo عاصمة صقلية ، وتقع على ساحلهـا الشمالى ، وقد زارها كثير من الرحالة المسلمين أمثال ابن حوقل والادريسى وابن جبير ووصفوها فى كتبهم .

انظر التفاصيل فى ابن الخطيب : كتاب أعمـال الأعلام ، القسم الثالث الخاص بالمغرب وصقلية ، نشر أحمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى ، ص ١٠٣ — ١٠٤ حاشية ٢

هذه الجزيرة[١] ، فإذا هبت الريح الجوفية[٢] ، سمع له دوى عظيم هايل كالرعد القاصف .

وبجزيرة صقلية قبر جالينوس[٣] معلوم ، وكان شَخَص من مدينة رومة يريد الشام ليلقى أصحاب عيسى عليه السلام .

قال أبو الحكم : وبصقلية مياه حامضة ، وبصقلية معدن الكبريت الأصفر الذى لا يوجد بموضع مثله ، وهو بجزيرة البركان ، وله قطاعون عالمون بتناول ذلك ، قد تمرطّت شعورهم ، ونصلت أظفارهم من حرّه ويبسه . ويذكرون أنهم يجدونه[٤] فى بعض الأيام سائلا متميعاً ، فيتخذون له فى الأرض مواضع يجتمع فيها ، ثم يجدونه فى غير ذلك الأوان قد تحجَّر فيقطعونه بالمعاول[٥] .

---

(١) لعل المقصود هنا جزيرة سترومبولى Stromboli التى تقع فى البحر المتوسط شمـــالى صقلية وجزر ليبارى ، وفيها بركان يقذف على الدوام دخاناً وناراً تظهر بوضوح أثناء الليل . وكانت هذه الجزيرة تسمى فى القديم سترنجيله ، وتعرف بمنارة البحر المتوسط . هذا ويوجد فى شمال صقلية بركان اخر بنواحى مسينة ما زالت ناره هو الآخر لم تخمد إلى اليوم وهو بركان اتنا Etna أو جبل النار كما تسميه المراجع العربية .

راجع وصف هذين البركانين فى (ابن جبير : الرحلة ص ٢٩٦ ، طبعة بيروت ١٩٥٩

راجع كـــذلك : M. Amari: *Biblioteca Arabo-Sicula*, pp. 82, 86, 135. (طبعة بالأوفست قامت بها مكتبة المثنى ببغداد عن النسخة الأصلية) .

(٢) لعل المراد هنا الريح الشمالية ، راجع كلمة جوف فى :

Dozy: *Supplement aux Dictionnaires Arabes*, I, p. 235.

(٣) لعـــله يقصد الطبيب اليونانى جالينوس الحكيم Galen (١٣٠ — ٢٠٠ م) الذى اشتهر باكتشافاته فى علم التشريح ، واعتبره أطباء العرب بعد ذلك من أئمـــة الطب المرجوع إليهم فى صناعة الطب . يؤثر عنه أنه طاف ببلاد كثيرة طلباً للعلم مثل آسيا الصغرى وفلسطين ومصر وصقلية وكريت وقبرص ، واستقر فى روما فترة طويلة مداخلا للملوك والرؤساء . واختلفت المراجع حول مكان وفاته ، فالبعض يرى أنه مات بمدينة الفرما فى آخر أعمال مصر أثناء توجهه نحو الشام . راجع : (أبو الوفاء المبشر بن فاتك : مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٨٨ — ٢٩٥ ، نشر عبد الرحمن بدوى) والبعض الآخر يتفق مع المتن فى أنه مات بصقلية . راجع :

Encyclopedia Britannica, art Galen, Vol. 9 p. 972.

(٤) فى امارى : يجدوه .

(٥) فى الأصل : المعاويل .

وبجزيرة صقلية أبار ثلاثة يخرج منها فى وقت معلوم من السنة زيت النَّفط وذلك فى شهر شباط[1] وشهرين بعده . وينزل فى البئر على دَرَك ويرق على درك آخر ، يُخَمِّرُ الرجل الذى يدخل البئر رأسه ويسدّ مسام أنفه وإن تنفس فى أسفل البئر هلك من ساعته . وما أخرج منه وضع فى قصار ، فيعلوا الدهن منه وهو المستعمل . وهذه الآبار على مقربة من سَرَقوسة[2] . وبمدينة صقلية نهران يطَّردان من عين واحدة .

وفى اختصار اقتباس الأنوار : جزيرة صقلية كبيرة ، وصقلية اسم لإحدى مدنها فنسبت الجزيرة كلها إليها ، وفيها مدن كثيرة وقلاع وقصاب . وطول هذه الجزيرة مسيرة سبعة أيام ، وعرضها مسيرة خمسة أيام ، وهى فى البحر الشامى موازية لبعض بلاد افريقية . انتهى بحمد الله .

قال فسبوا وغنموا وأقاموا شهراً وانصرفوا إلى افريقية بغنائم كثيرة وأصنام منظومة بالجوهر ، واقتسموا فيهم ، وبعث معاوية بن حديج بالخمس إلى معاوية ابن أبى سفيان رحمه الله .

ذكر غزاة البحر

تقدم قول من قال إن موسى هو الذى خرق المجرى بتونس إلى دار الصناعة وأنه أمر بصناعة مائة مركب ، وهو الواقع فى كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة . قال فأقام فى ذلك بقيه سنة أربع وثمانين . ثم لما كانت سنة

---

(١) أى شهر فبراير .

(٢) سرقوسه Syracuse وهى من أكبر مدن صقلية وعاصمتها قديماً ، وتقع على ساحلها الشرقى ، وقد وصفها بعض الجغرافيين المسلمين أمثال الادريسى والمقدسى . راجع :
Amari: *Biblioteca Arabo-Sicula*, I, p. 36, 112.
راجع كذلك وصف البكرى لها فى الصحيفة التالية .

خمس وثمانين أمر الناس بالتأهب لركوب البحر ، وأعلمهم أنه راكب بنفسه ، فرغب الناس ، وتسارعوا ولم يبق شريف ممن كان معه إلا ركب ، حتى إذا لم يبق أحد ، دعا بلواء ؛ فعقده لابنه عبد الله ، وولاه عليهم ، وأمره[١] أن يرفع من ساعته . وإنما أراد موسى بما قال ، أن يركب أهل الجلد والنكاية والشرف ، فسُميت غزوة الأشراف .

قال وكانت أول[٢] غزاة غزيت فى بحر أفريقية ، فسار عبد الله فى غزاته تلك إلى صقلية ، فافتتح فيها وأصاب من المال ما لا يدرى . ثم انصرف قافلا سالمًا ، ثم عقد لغيره على مراكب افريقية ، فاصاب مدينة يقال لها سرقوسة .

وصف سَرَقوسة : قال البكرى رحمه الله وقد ذكر جزيرة[٣] سرقوسة وبينها وبين جزيرة صقلية مجاز لطيف . قال ومدينة سرقوسة [١١٩ ا] مدينة كبيرة عليها ثلاثة أسوار[٤] ، وفيها مرسى يعرف بالمِينَة[٥] الصغيرة وبينه وبين مرسى المينة الكبيرة حفير ، وعلى الحفير قنطرة إلى المدينة . والمنية الكبيرة مرسى ومشتى للسفن . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

ثم أصاب بعدها سَرْدَانية ، فافتتح مداينها ، فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والخُرثى[٦] .

وصف سَرْدَانية : قال البكرى رحمه الله ، وجزيرة سردانية كثيرة الزرع والضرع والخيرات ، وطولها مائة وثلاثون ميلا ، وعرضها مائة وعشرون ميلا .

---

(١) فى امارى : ثم أمره .

(٢) فى امارى : أولى .

(٣) إطلاق البكرى كلمة جزيرة على سرقوسه يؤيده قول الادريسى فى وصفها : «والبحر محدق بها دائر بجميع جهاتها ، والدخول إليها والخروج عنها على باب واحد وهو بشمالها . راجع : Amari: *Op. cit.* I, p. 36.

(٤) فى الأصل : أسواق ولعل قراءة أمارى أصح وهى التى أوردها فى المتن .

(٥) فى الأصل : المنيه ولعل قراءة أمارى أصح وتعنى الميناء .

(٦) الخرثى : سقط المتاع والخرثاء ، المرأة الضخمة .

قال ولجزيرة سردانية أربع مدن ، ثم قال : وجزيرة سردانية كثيرة الأنهار والخيرات ، ويذكر أن من فيها من النصارى ناقلة من بلاد البربر وهم يطيلون الشعور كشعور النساء ، وسلاحهم المزاريق ، وهم كشف لا تراس لهم إلا دَرَق . وبسردانية حَمَّات شديدة الحر وليس يكون فيها شيء من الهوام ولا السباع المؤذية . انتهى الوصف بحمد الله عز وجل .

شرح وتحقيق

[١٢٥ ا] ومعاوية بن حُدَيج ، بضم الحاء وفتح الدال ، وكأنه تصغير حِدج بكسر الحاء وسكون الدال ، وهو مركب من مراكب النساء ، أو تصغير حادج ، تصغير الترخيم ، والحادج من قوله حدجه ببصره إذا ما رماه به ، ومنه قولهم حدث القوم ما حدجوه بأبصارهم أى ما رمقوك وكانوا مقبلين عليك للاستماع . ويحتمل أن يكون تصغير حدج بفتح الحاء وفتح الدال وهو الحنظل إذا اشتد وصلب والواحدة حدجة .

[١٢٥ ب] وقوله المواجل خطأ والصواب المآجل والواحد ماجل بهمزة سكنه وهو مجتمع الماء ، وقد تأجل الماء فهو متأجل وماء أجيل مجتمع . والقِصاب بكسر القاف جمع قَصَبة كرقبة ورقاب ، والمراد بالقصبة هنا والله أعلم ما كان من المبانى ضيقاً مستطيلا كالصومعة[1] .

وقد ذكر فى وصف ماجل القيروان ما يدل على أن المراد عنده بالقصبة أعلا الصومعة الذى يشرف منه على نواحيها فإنه قال فى وسطه صومعة مثمنة

---

(١) ذكر ابن الشباط فى موضع آخر (ورقة ١٤١ ، ١٤٣) والصومعة بفتح الصاد وفتح الميم قال صاحب الصحاح وأتانا بثريدة مصمعة إذا دققت وحدد رأسها . ثم يقول والصومعة هى المئذنة التى هى مفعلة من الآذان . هذا وما زال لفظ الصوامع يطلق على المآذن فى المغرب إلى الآن .

فى أعلاها قصبة [١٢٦ ا] مفتحة على أربعة أبواب ، تحمل أحد عشر رجلا لا خلل بينهم . واعلم أن الأصل فى القصبة وسط القرية ، قيل سميت بذلك لأنها مجتمع الناس كاجتماع المخ فى القصبة . فقصبة القرية وسطها وقصبة السواد مدينته ولذلك سمى موضع الملك من المدينة بالقصبة لأنه موضع مجتمع الناس من الأجناد وغيرهم والله أعلم .

[١٢٦ ب] والنَّشَف : بفتح النون وفتح الشين المعجمة ، حجر معروف تدلك به الأرجل وهو الذى يقال له الخفـاف ، ويقال فيه نشف بالسكون أيضاً والواحدة نَشْفة ، ونشفة بالفتح والسكون أيضاً وهو يطفو أى يعلو ولا يغوص فى الماء .

والبركان بضم الباء وسكون الراء ، هو موضع النار العظيمة التى بصقلية وهى من عجائب العالم ودلائل القدرة الأزلية ، فإنها نار دائمة الاتقاد لا تطفأ ولا تخبو ولا تفتر . يرمى من فيها بالحجر العظيم أو القطعة الكبيرة من الجبـل فتقذفها النار وهى نشفة . وهذه النار دلالة فى هذا العالم على نار جهنم أعاذنا الله منها برحمته وفضله وكرمه ويقال إن هذه النار من تنفس جهنم والله أعلم .

[١٢٧ ا] وصَقَلية : بفتح الصاد وفتح القاف ، كذا سمعت بعض علمائنا يقوله وكان ينشد قول ابن حمديس ، ذكرت صقلية والأسى[١] كذلك وكذا . وقع فى بعض نسخ تثقيف اللسان ، والجارى على الألسنة كسر الصاد وكسر القاف ، قال صاحب تثقيف اللسان[٢] ويقولون سقلية والصواب صقلية بالصاد ، فأما سِقلية بالسين مكسورة ، فضيعة فى غوطة دمشق . قال والأصل فيما يظهر فيهما واحد : عربت هذه فقيلت بالصاد ، وبقيت تلك على حالها . وسقلية

(١) ذكرت صقلية والأسى يهيج للنفس تذكارها
راجع القصيدة فى ديوان ابن حمديس ص ١٥٢ — ١٥٦ نشر Schiaparelli بروما ١٨٩٧ ، وفى ص ١٨٠ — ١٨٣ نشر إحسان عباس ، بيروت ١٩٥٩

(٢) تثقيف اللسان من تأليف ابن قطاع الصقلى . راجع السيوطى : طبقات اللغويين والنحاة .

بالسين اسم رومى ، تفسيره تين وزيتون . قال وإلى هذا المعنى أشار أبو على الحسن بن رشيق رحمه الله حين مدح صقلية بقوله :

أخت المدينة[1] فى اسم لا يشاركها فيه سواها من البلدان والتَمِس
وعظَّم الله معنًى لفظهـا قسماً قَلِّدْ إذا شئتَ أهلَ العلمِ أو فَقِس

واعلم أن ظاهر قوله فأما سقلية بالسين مكسورة بعد ذكر صقلية أولا ، يؤذن بأن الصاد عنده مفتوحة ، ولذلك قيَّد السين بالكسر لكن قوله بعد ذلك أن أصلها فيما يظهر واحد ، يؤذن بكسر الصاد ، إلا أن يقال إن تعريب صقلية كان بوجهين : أحدهما بابدال السين صاد ، والثانى بابدال الكسرة فتحة ، وبقيت سقلية التى لم تعرب على حالها ، والله عز وجل أعلم ، ولعل الوجهين بعد هذا جائزان فإن العرب كما تقدم تتلاعب بهذه الأسماء الأعجمية .

وقوله[2] : عُرِّبَت ، بضم العين وتشديد الراء ، أى تكلمت العرب بها وادخلتها فى لسانها . فأما أعربت بالألف فمعناه أجريت فيها أحكام الإعراب الذى هو ضد البناء ، وقد يقال أعربت أيضاً فى المعنى الأول .

وبَلَرْمة : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وفتح اللام وسكون الراء ، مدينة من مدن صقلية معروفة .

وقوله فى جزيرتين شمالا من هذه الجزيرة ، كذا وقع فى جزيرتين بالتثنية ، وهو والله أعلم غلط من الناسخ والصواب فى جزيرة بالافراد ، لأنه لو كان فى جزيرتين ، لكانا بركانين ، ولا يذكر فى ذلك إلا بركانا واحداً ، لكنه ذكر بعد ذلك أن البركان إنما كان فى جزيرة واحدة ثم حدث بعد ذلك فى جزيرة أخرى ، وهذا يدل على صحة كونه فى جزيرتين .

(١) كذا وفى امارى : العدينة ، وكذلك فى مراصد الاطلاع .
(٢) الفقرات التالية حتى نهاية النص لم ترد فى أمارى .

وقوله شمالا منصوب على الظرف أى فى ناحية الشمال .

والدَّوىّ بفتح الدال وتشديد الياء ، قال أبو المنصور رحمه الله ، الدوى صوت النحل والأذن والرعد والمطر .

وقوله كالرعد القاصف أى الشديد .

والمعْدِن بفتح الميم وكسر الدال معروف ، وهو مشتق من عَدَن بالمكان بالفتح ، يعدِن بالكسر ، عدنا ، إذا أقام به ، ومنه والله أعلم قوله عز وجل جنات عَدْن .

وقوله وهو بجزيرة البركان يؤذن أن ما تقدم من قوله جزيرتين غلط وتمرطت شعورهم أى سقطت وانتثرت .

ونصلت أظفارهم أى خرجت يعنى أن أظفارهم خرجت من أصولها يقال نصل الحافر وغيره نصولا إذا خرج من موضعه ، وكذلك الخضاب ، ولحية ناصله إذا خرج خضابها ، والأصل والله أعلم ناصل خضابها ثم نسب النصول إليها ، ويقال نصل الشعر إذا نصل خضابه والأصل فيه ما تقدم ، وقد يكون كل واحد منهما على بابه لأن من نصل عن شىء نصل عنه الآخر .

وقوله بالمعاويل ، كذا وقع بالياء ، والصواب بالمعاول ، لأن الواحد مِعْوَل بكسر الميم . قال صاحب الصحاح : والمعول الفأس العظيمة الذى ينقر بها الصخر . وأما قول الشاعر فى وصف الحمام :

فأذا دخلت سمعت فيه زَقّـةً لَغَطَ المعاول فى بيوت هداد

فان معاول وهداد حيان من الأزد .

والنفط : بفتح النون وكسرها معاً وسكون الفاء وهو معروف . قال صاحب الصحاح والكسر أفصح .

وسُباط بضم السين المهملة هو فبراير .

وقوله ينزل إليها على درك ، والدرك هنا عبارة عن الدرج الذى ينزل منه إلى أسفل ، وأصل الدرك القعر ، والنار الدركات أعاذنا الله عز وجل منها بمنه وبركة رسوله (صلعم) .

والجنة درجات ، جعلنا الله برحمته من وارثيها ، فالدرجات على هذا ما كان للارتفاع والدركات عكسها ، وعليه جاء قول الفقيه أبى الفضل النحوى رحمه الله : ونزولهم وطلوعهم ، فإلى درك وعلى درج .

وقوله يرقى على درك آخر ، كان الواجب أن يقول : يرقى على درج ، لكن لما كانت الجهتان ، والله أعلم ، ينزل منهما قال ويرقى على درك آخر فيها باعتبار النزول لا باعتبار الصعود ، وقد يكون ذلك من باب تسمية الشىء باسم ضده للمقابله على جهة المجاز ومنة قوله عز وجل : وجزاء سيئة سيئة مثلها . وقوله تعالى : لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال .

ويُخَمِّر الرجل بضم الياء وفتح الخاء وكسر الميم وتشديدها ، أى يغطى .

وسَرَقُوسه : بفتح السين وفتح الراء وضم القاف .

وسَرْدَانيه : بفتح السين وسكون الراء وكسر النون وبياء مخففة .

والحَمَّات جمع حَمَّه بتح الحاء وتشديد الميم وسميت بذلك لأن بها عيون ماء جاره .

أحمد مختار العبادى

مراجع فى تاريخ العرب الحربى

مقدمة

—

شملت الحضارة العربية جل آفاق العلوم والآداب والفنون . ولا غرض فى ذلك ، فهى حضارة رفيعة وكاملة منذ انبثق الإسلام فى قلب الجزيرة العربية ، وانبعثت آثارها فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة وفاس وغيرها . ولقد أنجبت هذه الحضارة الإسلامية الزاهرة طائفة لا عد لها من العلماء والفلاسفة والأدباء والمؤلفين فى شتى ألوان الثقافة الأصلية ، ومن بين هؤلاء من ألفوا فى علوم الحرب وفنونها ، وشاركوا فى تقدم الفن العسكرى . وكان لعلو كعب المسلمين فى هذا المجال أثر بارز فى فتوحاتهم فى البر والبحر ، فظفروا على كثير من الدول العظمى المعاصرة لهم .

أجل ! شارك المسلمون بنصيب موفور فى تقدم الفن الحربى ، وما وصل إلينا من مؤلفاتهم فى هذا المجال لدليل واضح على تفوقهم فى التفكير العسكرى . فكتبوا فى تعبئة الجيوش ، وسوقها وإدارتها ، وتسليحها وتموينها شتى المؤلفات ، وما انفك معظمها ينتظر التنقيب والبحث والتحقيق ، ودراسة مشتملاتها دراسة فياضة على ضوء العصر الحديث . فهى تمثل لوناً هاما من تراثنا المجيد لا ينبغي إهماله بأى حال من الأحوال .

من أجل ذلك ، أقدمت على تصنيف ما تيسر لى من هذا التراث فى ثبت ، لا أستطيع أن أقول عنه أنه قريب من الكمال ، فقد حاولت على قدر الإمكان أن أجعل منه مرشداً للباحث ودليلا للطالب ، ربما يفيد منه ، راجياً أن يتقدم غيرى من الباحثين ، للعمل على استكمال ما لم أعلمه ، وله الشكر والثواب لدى الجميع .

وقد قسمت محتوى هذه المراجع كما يلى :

القسم الأول	القسم الثانى
الجهاد	التاريخ الحربى العربى
الرمى	عام . الخلفاء الراشدون
الفروسية	الدولتان الأموية والعباسية
الخيل	الفاطميون
التنظيم الحربى والتكتيك	الأيوبيون
السلاح	الحروب الصليبية
الحصون	المماليك المصريون

الجهـاد

القرآن الكريم .

ابن الأثير الجزرى ، عز الدين : الجهاد ، ط. وزارة المعارف التركية . استانبول ١٩٤٣

ابن أخي خزام ، أبو عبد الله : الجهاد المقدس والفروسية وأمراض الخيل . تاريخها ١٠٦٣ هـ ، المكتبة الوطنية ، باريس رقم ٢٨٢٣

ابن الجنيد ، محمد بن أحمد : كتاب الجهاد . انظر : المكنون ج ٢ ص ٢٨٧

ابن الخطيب ، محمد بن إبراهيم الرومى : رسالة الجهاد . انظر : كشف الظنون ج ١ ص ٨٥٩

ابن شداد ، بهاء الدين (٦٣٢ هـ) : فضائل الجهاد . انظر : كشف الظنون ج ٢ ص ١٢٧٥

ابن عبد الله ، محمود بن صفى الوراق : تحفة السلاطين فى الجهاد .

ابن عساكر ، القاسم بن على (٦٠٠ هـ) : الاجتهاد فى إقامة فرض الجهاد . انظر : كشف الظنون ج ١ ص ٥٤ ، ٥٥

ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل (٧٧٤ هـ) : الاجتهاد فى طلب الجهاد . مكتبة ولى الدين باستنبول رقم ٤٦٨ ، ط. أبو الهول ، القاهرة ١٣٤٧ هـ.

ابن منحك ؟ : الاجتهاد فى الجهاد .

أبو البركات ، حافظ : إرشاد العباد إلى الغزو والجهاد .

أبو الأعلى المودودى : الجهاد فى سبيل الله ، معرب عن الأوردية . ط. السلفية بالقاهرة .

أبو جعفر الغرناطى ، أحمد بن إبراهيم : سبيل الرشاد فى فضل الجهاد .

أحمد بن زينى دحلان (ت ١٣٠٤ هـ/١٨٨٦) : إرشاد الحاضر والبعاد لما جاء فى فضل الجهاد . مخطوطة بمكتبة يهودا رقم ٢٦٢٣ بالولايات المتحدة .

أحمد بن يحيى بن مرتضي اليمنى (ت ٨٤٠ هـ/١٤٣٦) : الانتقاء للآيات المعتبرة فى الجهاد .

بدر الدين محمد ، بن ابراهيم بن جماعة : تجنيد الأجناد وجهات الجهاد . انظر : ايضاح المكنون جـ ١ ص ٢٢٩

بهاء الدين بن شداد (٦٣٢ هـ/١٢٣٤) : فضائل الجهاد . انظر : كشف الظنون جـ ٢ ص ١٢٧٥

شهاب الدين السيد محمود الألوسى : سفرة الزاد فى سفرة الجهاد .

طيبغا الأشرفى البقليشى : كتاب فى الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية[١] .

عبد الله المراغى : الجهاد ط. السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ/١٩٥٠

على بن طاهر السلمى : كتاب الجهاد المشتمل على الحث عليه والترغيب فيه (أجزاء) .

قطب الدين محمد الشافعى : وسيلة العباد فى فضيلة الجهاد .

محمد بن الحسن الصفار : كتاب الجهاد .

---

(١) تاريخ الآداب العربية لبروكلمان (GAL) ص ١٦٩

محمود شلتوت : القرآن والقتال . ط. دار الكتاب العربى ١٩٥١

محمود القاضى : رسالة فى الجهاد .

نجم الدين الأحدب الرماح : كتاب فى الغزو والجهاد وترتيب اللعب بالرمح وما يتعلق به .

يوسف بن حسين الكرباسى (ت ٩٠٦ هـ/١٥٠٠—١) : رسالة فى الجهاد .

بحوث معاصرة :

راجع مادة الجهاد فى دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) ، وما اعتمدت عليه من المصادر .

الرمى

مخطوطـــات

ابن جماعة : أولى الأسباب فى الرمى بالنشاب (النفحات)[١] .

أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع (ت ٣٠٦ هـ/٩١٨) : كتاب الرمي (النفحات) .

أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى : كتاب القسى والسهام والنبال (النفحات) .

أبو زيد سعيد بن أوس الخزرجى : القوس والترس (النفحات) .

أبو العباس بن سبط بن حرز الله (حوالى ١٠٠٠ هـ/١٥٩١) : كتاب هداية الرامى إلى طريقة المرامى .

أحمد بن عبد الله محب الدين الطبرى (ت ٦٩٤ هـ/١٢٩٥) : كتاب الواضح فى الرمى والنشاب (ريتر ص ١٣٦ و ١٤١)[٢] .

---

(١) النفحات المسكية فى صناعة الفروسية لأحمد بن محمد الحموى (ت ١١٤٢ هـ) ، حققه عبد الستار القرغولى ببغداد ، وقد رمزنا إليه بحرفى نف .

(٢) يقصد بالإسم ريتر :

Ritter, H: La parure des Cavaliers und die Literatur über die ritterlichen Kunste, Der Islam. V. 18 (1929), pp. 116-154.

إسحاق بن اسحاق يعقوب القراب : كتاب فضل الرامى فى سبيل الله (ريتر ص ١٤٣) .

بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة : أوثق الأسباب فى الرمى بالنشاب ، مكتبة طوب قابوسراى رقم ٢٤٢٥

تاج الدين أحمد بن عثمان التركانى (ت ٧٤٤ هـ/١٣٤٣) : أحكام السبق والرمى (النفحات) .

الحسين بن عبد الرحمن بن محمد اليونانى (ت ٦٥٠ هـ/١٢٥٢) : أرجوزة فى علم الرماية أو النهاية فى علم الرماية (ريتر ص ١٤٠ بالهامش وبروكلمان ملحق ١ ص ٩٠٥) .

أرجوزة عن الرمى بالقوس .

حسين بن محمد بن عبسون الحنفى السنجارى : هداية الرامى إلى الاغراض والمرامى ، مخطوط مؤرخ فى سنة ٨٥٠ هـ/١٤٥١ ، ألف للسلطان الملك الظاهر سيف الدين جقمق (٨٤٢—٨٥٧/١٤٣٨—١٤٥٢) (ريتر ص ١٤١ بالهامش) .

السخاوى (ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٧) : القول التام فى الرمى بالسهام (مجموعة يهودا رقم ٣٥٥١) .

السنجارى : هداية الرامى إلى الأغراض والمرامى ، مصور بالجامعة العربية نقلا عن خط المؤلف (ف ١٠٥٦) .

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن الشافعى (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥) : غرس الأنشاب فى الرمي بالنشاب ، مصور بالجامعة العربية (ف ١٠٥٦) (ريتر ص ١٤٣ وميرسييه ص ٤٤٩) .

الطبرانى (ت ٢٨١ هـ/٨٩٢) : كتاب فضل الرمى وتعليمه ، مجموعة من الأحاديث النبوية عن الرمى .

طيبغا الأشرفى البقلميشى اليونانى (ت ٧٩٧ هـ/١٣٩٤) :

ا — بغية المرام (الرامى ؟) ، مصور بالجامعة العربية عن مكتبة أحمد الثالث بتركيا (ف ٩٧٠) ؛ بغية المرام وغاية الغرام فى الرمى بالنشاب ، مخطوطة رقم ٩٣ فروسية بالتيمورية بدار الكتب المصرية .

ب — غنية المرامى ، مخطوط بكمبردج (ريتر ص ١٣٨) . أهدى المؤلف هذين الكتابين للملك السلطان الأشرف شعبان .

ج — غنية الطلاب فى معرفة الرمى بالنشاب .

على بن قاسم السعدى الحلبى : التعلم والإعلام فى رمي السهام ألفه الأمير برسباى الجركسى ، (النفحات) . انظر بروكلمان ج ٢ ص ١٧٠

محمد بن على الصغير : كتاب رمي النشاب ، مخطوط مؤرخ فى ٨٢١ هـ / ١٤١٨ (ريتر ص ١٤٢ ومرسييه ص ٤٥٤)[١] .

محمد بن على بن على بن أصبغ الهروى : كتاب البدائع والأسرار فى حقيقة الرد والانتصار ما اجتمعت عليه الرماة فى الأمصار .

محمد بن محمد بن عبد اللطيف الخضيرى : كشف النقاب عن المسابقة بالرمى بالنشاب ، غير كاملة .

نظام الدين القاضى محمد بن اسحق بن مطير الأصبهانى : القوسية (النفحات) .

مجهول المؤلف : كتاب فى علم النشاب ، مقتبس من عدة مؤلفات عربية عن الرمى .

مجهول المؤلف : كتاب فى المسابقة ، تعليق على أرجوزة طيبغا البقلميشى ، ألف للسلطان الملك الأشرف شعبان الذى حكم فى مصر من سنة ٧٦٤—٧٦٨ هـ ١٣٦٣—١٣٦٧

مجهول المؤلف : إرشاد الإخوان فى إحكام البرهان .

مجهول المؤلف : حل الأشكال فى الرمى بالنبال .

مجهول المؤلف : رسالة الرمى بالنشاب ، مجموعة قواعد قصيرة عن الرمى مؤرخة فى ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤

— ؟ : كتاب فى بيان فضل القوس والسهم وأوصافها ، مخطوط يرجع إلى حوالى ١٥٠٠ م[٢] Garrett Coll. N.° 793

---

(١) Mercier, Louis: La Parure des Cavaliers et l'Insigne des Preux; trad. of Ibn Hudhayl's Hilyat al-Fursan. Paris 1924.

(٢) Nabih, A. Faris & Robert P. Elmer: An Arabic ms. of about A. D. 1500. Princeton, 1945.

الفروسيـة

ابن جماعة ، عز الدين محمد بن أبى بكر (ت ٨١٩ هـ/١٤١٦) : الأمنية فى علم الفروسية .

ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن (٥٩٧ هـ/١٢٠٠) : الفروسية . انظر : كشف الظنون جـ ٢ ، ١٤٤٦

ابن القيم ، شمس الدين أبى عبد الله محمد الدمشقى (ت ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠) : الفروسية ط. الأنوار ، القاهرة ١٣٦١ هـ/١٩٤٢

أحمد بن محمد الحموى (ت ١١٤٢ هـ/١٧٢٩—٣٠) : النفحات المسكية فى صناعة الفروسية ، تحقيق عبد الستار القرغولى ، بغداد ١٣٦٩ هـ/١٩٥٠

الأشميطى : الفروسية . انظر كشف الظنون ٣١٤

بكتوت الرماح ، بدر الدين عبد الله خاز ندار الملك الظاهر (ت ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩) : السؤل والأمنية فى تعليم الفروسية ، مخطوطة بالمتحف البريطانى .

كتاب فى علم الفروسية وعلاج الخيل ، ضمن مجموعة رسائل رقم ٣٤ فنون حربية ، دار الكتب المصرية .

كامل الصناعة فى علم الفروسية والسجاعة ، مخطوطة ، دار الكتب المصرية .

محمد بن عيسى إسماعيل الحنفى الاقرائى (ح ٨٠٠ هـ/١٤٠٠) : نهاية السؤل والأمنيـة فى تعليم أعمال الفروسية ، اعتمد المؤلف على مخطوطة نجم الدين الأحدب ، ويعتبرة «ريتر» أهم ما كتب فى الفروسية العربية (ريتر ص ١٣٢— ١٣٥ ، ومير سيه ص ٤٥٨) ، دار الكتب المصرية ٢٦ فنون حربية تاريخها ٨٠١ هـ ، المتحف البريطانى رقم ٨٢٠

محمد بن لاجين الطرابلسى الحسامى (٧٨٠هـ/١٣٧٩) : بنود الرمح من بنود الأحداث والفروسية برسم الجهاد . كتاب مبارك يشتمل على بنود الرماح وغيرها من الفوائد والميادين . كتاب الفروسية برسم الجهاد ، مخطوطة بمكتبة برلين رقم ٥٨٨

محمد بن يعقوب بن أخي خزام أمير جياد الخليفة العباسى المعتصم بالله (٢١٨ — ٢٢٧ هـ/٨٣٣—٨٤٢) : كتاب الفروسية والبيطرة (ريتر ص ١٢٠—١٢٦ ومرسييه ص ٤٣٣—٤٣٥) ، وله موجز بدار الكتب الوطنية فى باريس رقم ٢٨٢٦ ذكره ريتر كتاب الفروسية والبيطرة فى علامات الخيل وعلاجها ، مخطوطة رقم ١٦١٠ ، دار الكتب المصرية .

ناصر الدين محمد بن الطرابلسى (ح القرن التاسع/١٥ م) : فى علم الفروسية ولعب الرمح ، مخطوطة باريس ٢٨٢٥ ، ٢٨٢٦

نجم الدين الأحدب الرماح (ت ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٤) : كتاب الفروسية برسم الجهاد ، اعتمد عليه غالبية المؤلفين الذين كتبوا فى الفروسية (ريتر ص ١٢٦ ، ١٢٧ ومير سييه ص ٤٤١) .

زكى المحاسنى : شعر الحرب فى أدب العرب . دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١

على الجندى : شعر الحرب فى العصر الجـاهلى . مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٨

على بن عبد الرحمن بن هنديل الأندلسى (القرن ١٤) : حلية الفرسان وشعار الشجعان ، حققه محمد عبد الغنى حسن ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥١

نورى حمودى القيسى : الفروسية فى الشعر الجاهلى . منشورات مكتبة النهضة ببغداد ، مطابع دار التضامن ١٩٦٤

واصف بطرس غالى : تقاليد الفروسية عند العرب ، كتبه بالفرنسية وترجمه أنور لوقا إلى العربية ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٠[١]

يلبغا الأشرفى : كتاب كامل الصناعتين فى الفروسية والشجاعة ، فى المجموعة رقم ٣٤ فنون حربية ، دار الكتب المصرية .

مجهول المؤلف : كتاب فى علم الفروسية والحرب والطعن والضرب والتبطيلات .

« « : كتاب فى علم الفروسية والنشاب والرمح وغير ذلك ، تشبه محتوياته ما جاء فى كتاب نجم الدين الأحدب الرماح .

---

(١) Wacyf Bautros Ghali: La tradition Chevaleresque des Arabes, Paris, 1919.

بحوث معاصرة :

دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) : راجع مادة الفروسية .

العرينى ، السيد الباز : نظــام الفروسية فى مصر زمن سلاطين المماليك (مخطوطة لم تطبع بعد) . وله أيضاً :

الفارس المملوكى : المجلة التاريخية المصرية ، جـ ٥ ، ص ٤٧ ، ٧٢ ، عام ١٩٥٦

الخيــل

ابراهيم بن الدكرى السباهى المفتى بغزه ، ألفها للوزير رستم باشا فى سنة ٩٥٩ / ١٥٥٢ : تحفة العبيد فى الخيل والرماية والصيد (النفحات) .

ابن أبى خزام ، جمعها ابن أبى قطيرة الذى عاش فى أيام بنى رسول أثناء حكم المظفر يوسف السعيد ٦٤٧ — ٦٩٤ هـ / ١٢٤٩ — ١٢٩٥ : رسالة فى تربية الخيل [١] .

ابن العلاء ، أحمد بن عبد الله المعرى (ت ٤٤٩ / ١٠٥٧) : خطب الخيل (النفحات) .

ابن يحيى ، محمد بن رضوان المــالكى (ت ٦٥٧ / ١٢٥٩) : الاحتفال فى استيفاء ما للخيل من الأحوال (النفحات) .

أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادى (ت ٢٤٥ / ٨٥٩) : كتــاب الخيل (النفحات) .

أبو الحسن ، محمد بن عبد الله الوراق (ت ٣٨١ / ٩٩١) : منهاج الفكر فى الخيل (النفحات) .

أبو الحسن ، نصر بن شميل النحوى (ت ٢٠٤ / ٨١٩) : خلق الخيل (النفحات) .

---

(١) هناك رسالة كتبها يعقوب بن أبى خزام البيطــار بعنوان « الفروسية وشياة الخيل » وهى فى تربية الخيل ، ألفها للمعتضد (٨٩٢ — ٩٠٢) وتعتبر أولى المصنفات العربية فى فن البيطرة .

أبو عبيدة ، معمر بن المثنى البصرى (ت ٢٠٩ / ٨٢٤) : كتاب الخيل (نف) .

أبو عمرو ، كلثوم بن عمرو العتابى : كتاب الخيل (النفحات) .

أبو الفضل عباس بن الفرج الرياشى (ت ٢٥٧ / ٨٧١) : كتاب الخيل (نف) .

أبو مالك ، عمرو بن الأعرابى البصرى : كتاب الخيل (نف) .

أبو محلم محمد بن هشام الشيبانى (ت ٢٤٥ / ٨٥٩) : كتاب الخيل (نف) .

أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلى (ت ٢٣١ / ٨٤٥) : كتاب الخيل (نف) .

أحمد بن محمد الزيدى اليمنى ، القاضى : كتاب الخيل (نف) .

السيوطى ، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١/١٥٠٥) : جر الذيل فى علم الخيل .

شرف الدين ، عبد المؤمن بن خلف الدمياطى (ت ٧٠٥/١٣٠٥—١٣٠٦) : فضل الخيل على طريقة المحدثين (نف) وهو كتاب فى علم البيطرة .

الطبرى ، على بن عبد القادر الحسينى : فوائد النيل بفضائل الخيل (نف) .

عبد الرازق بن عبد الفتاح اللاذقى : تشويقات الجياد فى الغزو والجهاد .

عمر بن رسلان بن نصر البلقينى (ت ٨٠٥/١٤٠٢) : قطر السيل فى أمر الخيل ، ملخص مخطوط شرف الدين الدمياطى «قصر الخيل» .

محمد بن اسماعيل : سرور الفؤاد بالصافنات الجياد (نف) .

محمد بن رضوان : كتاب الخيل (نف) .

محمد بن محمد بن البخشى الخلوتى (انتهى فى كتابها عام ١١٥٢/١٧٣٩) : رشحات المواد بالصافنات الجياة (نف) .

محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦/٨٢١) : كتاب خلق الفرس وتوجد وسائل أخرى بهذا العنوان .

محمد بن يعقوب الجبلى : كتاب الخيل (نف) .

محمد رشدى الرومى (ت ١٢٧٧/١٨٦٠—٦١) : حال الخيول (نف) .

محمود باشا الفريق بن الأمير عبد القادر الجزائرى : عقد الاجياد فى الصامنات الجياد (نف) .

نور الدين القرانى الشافعى : ألفه باسم الأمير ابراهيم الدفتر دار بمصر سيب السيل فى وصف الخيل[(١)]

التنظيم الحربى والتكتيك

ابراهيم بن على غانم بن محمد الأندلسى (ح القرن ١٥) : العز والمنافع للمجاهدين فى سبيل الله بآلات الحروب والمدافع .

ابن أرنبنا الزردكاش (ت حوالى ٨٦٧/١٤٦٢) : ألفه فى أثناء حكم الأشرف .

شعبان : الأنيق فى المنجنيق ، مخطوطة بمكتبة طوب قابو سراى ٣٤٦٩ ، ودار الكتب المصرية ، رقم ٧٥ فنون حربية ، ومصورة بالجامعة العربية (ف ٩٧٠) .

ابن منكلى ، محمد الأمير القز (ت ٧٧٨/١٣٧٦) : رئيس حرس السلطان الأشرف .

شعبان (٧٦٤—٧٧٨ ﻫ) : الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٧٠٥ فنون حربية ، والخزانة التيمورية ٢٣ فروسية . وله : الأدلة الرسمية فى التعبئة الحربية . مكتبة أيا صوفيا رقم ٢٨٣٩ وهى بخط المؤلف (٧٧٠ ﻫ) . وله : التدبيرات السلطانية فى سياسة الصنائع الحربية . مخطوطة المتحف البريطانى رقم ٨٢٢ مؤرخة فى ٨٩٥ ﻫ ، ودار الكتب المصرية .

---

(١) راجع أيضاً : ١ — ابن سيده : المخصص ، ط. الاسكندرية ، عام ١٩٠٤ ، ج ٦ ص ١٣٥—١٩٨ ؛ ٢ — ابن الكلبى وابن الاعرابى : أسماء الخيل والعرب وفرسانهم ، تحقيق ليفى دلا فيدا ، ليدن ١٩٢٨ ؛ ٣ — الحاصبانى باك : سراج الليل فى سروج الخيل ، بيروت ١٨٨١ ؛ ٤ — خورى نجيب : الخيل وفرسانها . بعبد ١ بلبنان ١٩١٦ ؛ ٥ — رشيد السعدى : غايات المراد فى خيل الجياد ، مطبعة البيان ، القاهرة ١٨٩٦

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٥٦/١٩٣٧

الحسن بن عبد الله محمد العباسى : آثار الأول فى تدبير الدول ، بدأ تأليفه ٧٠٨/١٣٠٨ ، مخطوطة رقم ٢٨٣ بالمتحف الحربى .

على بن أبى بكر الهروى (ت ٦١١/١٢١٤—١٥) : التذكرة الهروية فى الميل الحربية ، فى تركيا أربع مخطوطات : مخطوطة استانبول مؤرخة فى ٦٠٢/١٢٠٥ ، وأخرى فى قونية ، وثالثة فى مكتبة نور عثمانية (انظر ريتر ، ج ٢ ص ١٤٤—١٤٥) . وهناك مخطوطة فى دار الكتب المصرية (مكتبة أحمد زكى باشا فى ١٥٦ ص) . وقد عنيت السيدة جانين سورديل ثومين بتحقيق هذا الكتاب ونشره المعهد الفرنسى للدراسات العربية بدمشق ، وطبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت(١) .

عبد الرحمن بن خلدون (القرن ١٤/١٥) : المقدمة . فصل فى قيادة الأساطيل وسفائن الحرب ص ٢٣٨ طبعة القاهرة ، وفصل الحروب ومذاهب الأمم فى ترتيبها ، ص ٢٥٦—٢٦١

عثمان المهتدى (ت حوالى ٩٦٠/١٥٥٣) : هداية المهتدى فى علم الهندسة والمساحة ورمى القمبرة وحفر اللغم .

عمرو بن إبراهيم الأوسى الأنصارى (القرن ١٥) : تفريج الكروب فى تدبير الحروب ، كتب فى أثناء حكم السلطان فرج بن برقوق . مخطوطة رقم ٣٩٥٤ بمكتبة برنستون . حققه ونشر النص العربى وترجمة للانجليزية ، جورج سكانلون ، من منشورات الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٦١(٢) .

محمد بن لاجين الحسامي الطرابلسى : تحفة المجاهدين فى العمل بالميادين ، مصور بالجامعة العربية (ف ٩٠٢) . بغية القاصدين ؟ بالعمل بالميادين ويشتمل على صور كثيرة لتمرين الخيل .

---

(١) Janine Sourdel-Jhomine: Les Covseils du Sayḥ al-Haraué à une prince Ayyu-bide. Bull. d'Études Orientales. t. XVII. Années 1961-1962, pp. 205-266. Institut Français de Damas. Damascus, 1962.

(٢) Scanlon, G. J.: A Muslim Manual of War: edited and translated. The American University at Cairo, 1961.

مرضى بن على الطرسوسى (القرن ١٢ م) : تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب[1] كتب بناء على رغبة السلطان صلاح الدين الأيوبى .

موسى بن محمد اليوسفى المصرى (ت حوالى ٧٥٩ / ١٣٥٨) : كشف الكروب فى معرفة الحروب ، مخطوطة مصورة بالمتحف الحربى رقم ١٠٦ انظر : بروكلمان جـ ٢ ص ١٦٨

الهرثمى ، أبو سعيد الشعرانى (حـ ٨٤٨ م) : مختصر سياسة الحروب ، مخطوطة فى مكتبة كوبريللى باستانبول . حقق الكتاب الأستاذ عبد الرءوف عون وراجعه محمد مصطفى زيادة . المؤسسة المصرية العامة للطبع والنشر . القاهرة ١٩٦٤

مجهول المؤلف : نظم التعبئة ، ميكر وفيلم بالجامعة العربية (ف ٩٤٦) .

مجهول المؤلف : التدبيرات السلطانية فى الصناعة الحربية ، مخطوطة بالمتحف البريطانى ، منها نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٣٧ مخطوط .

مجهول (ينسب إلى أرسطو ولا يعرف ناقله إلى العربية) : تعبئة الحروب وما يحتاج إليه فى معرفة الحرب وما يحتاج إليه وقت الجهاد فى كل شأن . منه مخطوطة فى برلين ٥٥٥١ ، وأيا صوفيا ٢٨٨٣ ، ومكتبة كوبريللى باستانبول ١٣٦١ انظر المخطوطة التالية .

مجهول : كتاب سياسة الحروب ، يقال أن أرسطو كتبه لاسكندر ، مخطوطة باستانبول مؤرخة عام ١٠٠٠/١٥٩٢ (ريتر ص ١٢٤ و ص ١٤٩) .

مجهول : كتاب الميل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ؛ بركلمان ملحق ، ص ١٦٧ (ريتر ص ١٥١ — ١٥٣) .

مجهول المبارك فى معرفة لعب الدبوس والصراع على الخيل عند ملاقاة الخصم فى أوقات الحروب ، مخطوطة باستانبول مؤرخة فى ٧٧٩/١٣٧٧ (ريتر ص ١٥٢) .

مجهول : مخطوطة بدون عنوان عن آلات الحرب وأدوات القتال مؤرخة فى ٨٧١/١٤٦٧ (ريتر ص ١٥٣ بالهامش) .

---

(١) Cahen, C.: Un traite d'armurérie composé pour Saladin. Bull. d'Etudes Orientales, t. XII. 1947-1948, pp. 103-163. Damascus.

مصادر عربية حديثة

أمين الخولى : الجندية والسلم ، دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦٠

حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٣٥ ، انظر الجيش الإسلامى فى الدولة الأموية ص ٥٨٥—٥٩١

حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٣٩ ، انظر الجيش ص ٢٢٤—٢٤٥

جمال الدين عياد : نظم الحرب فى الإسلام . ط. السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٠ / ١٩٥٠

جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ١٩٠٢ ، انظر ص ١٤١—٢٠٢

س. حسينى : الإدارة العربية ، ترجمه إلى العربية ابراهيم أحمد العدوى ، وراجعه عبد العزيز عبد الحق . القاهرة ١٩٦٠ [١] .

عبد الرءوف عون : الفن الحربى فى صدر الإسلام ، ط. دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١

عبد المنعم ماجد : دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ ، انظر : ج ١ ص ١٣٨—١٨٨

عبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية فى الشؤون الدستورية والخارجية والمالية . المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٠ / ١٩٣١

عبد الله مدحت العمرى ، صبحى عبد الحميد وآخران : الجيش العربى فى صدر الدولة العباسية ، مطبعة الجيش العراقى ، بغداد ١٩٦٣

نعمان ثابت : الجندية فى الدولة العباسية ، بغداد ١٣٥٨ / ١٩٣٩

النويرى ، أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب فى فنون الأدب . دار الكتب المصرية ١٣٤٢ / ١٩٢٤ ، انظر ج ٢ ص ١٩٦—٢٢٧

(١) A. Q. Husaini: Arab Administration. Madras 1949

السلاح فى الاسلام

١ — مخطوطات ومراجع قديمة

ابن دريد ، أبو بكر محمد الحسن (٣٢١ هـ) : السلاح . انظر كشف الظنون جـ ٢ ، ١٤٢٥

ابن القطاع الصقلى ، على بن جعفر (٥١٤ هـ) : أسماء السيف وصفاته . انظر كشف الظنون جـ ٢ ، ١٤٢٩

الكندى ، أبو يوسف يعقوب الفيلسوف العربى (حـ ٨٠١—٨٧٥) : مخطوط السيوف وأجناسها ، بمكتبة ليدن بهولندة رقم ٢٨٧ ، نشره وحققه الدكتور عبد الرحمن زكى ، مجلة كلية الاداب بجامعة فؤاد الأول ، جـ ٢ ديسمبر ٩٥٢ ص ١—٣٦

مرضى بن على الطرسوسى (حـ القرن الثانى عشر) : مخطوط تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ونشر أعلام الاعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء ، بمكتبة بودليان نشره وحققه كلود كاهن فى مجلة الدراسات الشرقية ببيروت[1] .

محمد بن منصور بن سعيد (حوالى القرن الثالث عشر) : مخطوط أدب الملوك وكفاية المملوك بمكتبة الهند فى لندن رقم ٢٧٦٧[2] .

مخطوط رسالة فى شمشير (ى) شيناس بمكتبة الهند بلندن رقم ٦٤٧[3] .

مخطوط أرنبغا الزردكاش (حوالى ١٤٦٣/٨٦٧) المسمى : الأنيق فى المجانيق بدار الكتب المصرية رقم ٧٠ فنون حربية .

بكتوت الرماح : مخطوط نهاية السؤل والأمنية فى تعلم أعمال الفروسية

---

(١) Cahen, Cl.: Bull. d'études orientales, t. XII. pp. 103-163, Beyrout, 1947-48.

(٢) India Office Library, N° 2767. See also: Ethé Catalogue of Persian manuscripts of the Indian Office.

(٣) Catalogueof the Persian manuscripts of the Indian Office, Cote 647.

بالمتحف البريطاني (٣ نسخ) تحت أرقام ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ٣٦٣١ ، وبدار الكتب الأهلية بباريس رقم ٢٨٢٨ وفى أيا صوفيا ٣ نسخ تحت الأرقام ١٠٩٢ ، ٤٠٤٤ ، ٤١٩٧ ودار الكتب المصرية ١٦ فنون حربية .

الحسن بن عبد الله (القرن الرابع عشر) : آثار الأول فى ترتيب الدول . ط. بولاق ١٢٩٥ / ١٨٧٨

ابن عبد ربه الأندلسى : العقد الفريد ، جـ ١ ص ٢١٠—٢١٧ طبعة القاهرة .

النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٦ ص ٢٠٠—٢١٤ ، طبعة القاهرة .

القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ص ١٣٢—١٣٨ ، طبعة القاهرة .

كتاب فهرست الكتب التى نرغب أن نبتاعها ، والمسائل التى توضح جنس الكتب التى نرغب الحصول عليها انما نجهل أسماءها والمسائل فى علم الحرب ثم لندن ١٨٤٠ ، مخطوط بمكتبة الجامعة المصرية رقم ١٤٢٨١

٢ — مراجع حديثة

عبد الرحمن زكى : السلاح فى الإسلام ، القاهرة دار المعارف ١٩٥١ من مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ٦٩ صفحة ، ٣٨ صورة .

السيف فى العالم الإسلامى ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ١٩٥٧ ، ٣٠٠ صفحة وصور كثيرة .

على بن عبد الرحمن هذيل الأندلسى وتحقيق محمد عبد الغنى حسن : حلية الفرسان وشعار الشجعان ، دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٤٩

أمين الخولى : الجندية والسلم واقع ومثال ، دار المعرفة ١٩٦٠

٣ — بحوث ومقالات

عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الإسلامى ، الهلال ، جـ ١ مجلد ٤٩ ص ٥٧—٦٦ ديسمبر ١٩٤٠

السيف فى الشرق الأدنى ، الكتاب ، مجلد ١ ، مارس ١٩٤٦ ص ٤٤٦— ٦٥٥

السيوف وأجناسها ، رسالة يعقوب بن اسحاق الكندى ، فيلسوف العرب مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة مجلد ١٤ جـ ٢ عام ١٩٥٢ ص ١ — ٣٦

السيف فى صدر الإسلام مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد جـ ٢ عام ١٩٥٤ ص ١٥٠ — ١٥٨

أنواع السيوف الإسلامية ومميزاتها عند المؤلفين العرب ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، جـ ٤ ص ٤٧ — ٥٧ ، مدريد عام ١٩٥٦

صناعة السيوف الإسلامية فى العصور الوسطى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد ٥ عام ١٩٥٦ ص ٧٣ — ٩٢

النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الإسلامية ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، جـ ٥ ص ٢٢٧ — ٢٣٩ مدريد عام ١٩٥٧

يوسف غنام ثابت : فى سر صناعة الجوهر ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ص ٥٧٧ — ٥٨٥ عام ١٩٠٠

السيوف الشرقية القديمة وتحليتها بالجوهر ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة عدد ١٣ ص ٧٠٠ — ٧٠٦ عام ١٩٠٠

الحصون الاسلامية والصليبية

السيد محمود عبد العزيز سالم : المساجد والقصور ، رقم ١٩٠ من سلسلة كتب اقرأ ، القاهرة ١٩٥٨

عبد الرحمن زكى : قلعة مصر (الجبل) ١٥٥ ص ، المطبعة الأميرية ١٩٥٠

قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة ، ١٨٤ ص والرسوم والخرائط ، مطبعة نهضة مصر ١٩٦٠

محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، ط ١ ٣٧٥ ص مطبعة مصر ١٣٧٥ / ١٩٥٦ ط ٢ عام ١٩٦٢

بحوث ومقـالات

عبد الرحمن زكى : مبانى القلاع فى عصر محمد على باشا ، العمارة عدد ٣ — ٤ ص ٨٩ — ٩٨ مع ١٧ صورة عام ١٩٤١

العمارة العسكرية فى العصور الوسطى ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، عدد ٧ ص ١٠٦ — ١٣٣ عام ١٩٥٨

أسوار القاهرة وأبوابها من جوهر القائد إلى الناصر صلاح الدين المجلة عدد ٥١ ص ٣٢ — ٤٢ عام ١٩٦٠

القسم الثانى

التاريخ العسكرى العربى

١ — مراجع عربية عامة

إبن الأثير (ت ٦٣٠/١٢٣٢) : الكامل فى التاريخ ١٢ ج ، ليدن ١٨٦٦—١٨٧٤ والقاهرة ، ط. بولاق ١٢٩٠/١٨٧٤

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن عمر (ت ٨٠٦/١٤٠٣) : العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ٧ ج القاهرة ١٢٨٤/١٨٦٧

ابن الطقطق ، ابن طباطبا (القرن الثالث عشر) : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، حققه درنبرج ، طبعة باريس ١٨٩٥ الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف .

ابن عذارى المراكشى (القرن الثالث عشر) : البيان المغرب في أخبار المغرب ، حققه دوزى ، ليدن ١٨٤٨ — ١٨٥١

ابن العميد المعروف بالمكين (ت ٦٧٢/١٢٧٣) : تاريخ المسلمين ليدن .

ابن القتيبة (٢٧٠ أو ٢٧٦/٨٨٣) : الإمامة والسياسة ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٢٥/١٩٠٧

ابن هشام ، محمد عبد الملك (ت ٨٣٤) : سيرة النبى (صلعم) ، راجع أصولها وعلق حواشيها محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، المكتبة التجارية ١٩٣٧

البلاذرى ، أحمد بن يحيي بن جابر (ت ٨٩٢) : فتوح البلدان ، حققه صلاح الدين النجد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ — ١٩٦١ [(١)] .

---

(١) Al-Balāthuri: The Origins of the Islamic State, trans. by Philip Ḥitti, New York, 1916-1924; p. II, trans. by Francis C. Murgotten.

الحسن بن عبد الله بن محمد (حوالى القرن الثامن هـ) : آثار الأول فى ترتيب الدول القاهرة بولاق ١٢٩٥/١٨٧٨

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (+ ٣١٠/٩٢٢) تاريخ الأمم والملوك ، « طبعة دى غوية » ليدن ١٨٨١/١٨٨٣ والقاهرة ط. الحسينية .

الماوردى ، أبو الحسن على بن محمد البصرى (ت ٤٥٠/١٠٥٨) : الأحكام السلطانية ، الفصل الرابع خصه المؤلف لنظم الحرب وقواعدها ، بون سنة ١٨٥٣ والقاهرة ١٢٩٨/١٩٠٩

المسعودى (ت ٣٤٦/٩٥٧) : مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ ، جزءان ، طبعة القاهرة ١٣٤٦/١٩٢٧ ، ٨ أجزاء طبعة باربيه دى مينار ، باريس ١٨٦١/١٨٧٤

الواقدى ، أبو عبد الله محمد (ت ٢٠٧/٨٢٢) : مغازى رسول الله ، الطبعة الأولى ١٣٦٧/١٩٤٨ فتوح الشام ، القاهرة ١٣٠٢/١٨٨٤ فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان ط. المحروسة ١٣٠٩/١٨٩١

الخلفاء الراشدون والامويون والعباسيون

مراجع عربية حديثة

ابراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون ، البحر الأبيض المتوسط بحيرة اسلامية القاهرة مكتبة الأنجلو ، ١٩٥٣

أحمد ابن زينى دحلان (ت ١٨٨٦) : الفتوحات الإسلامية ، جزءان ، القاهرة . ط. السعادة ، ١٣٣٠/١٩١٢

بروكلمان ، كارل (القرن التاسع عشر) : تاريخ الشعوب الإسلامية ٥ أجزاء ، بيروت دار العالم للملايين ١٩٥٠ [1] .

(١) Brockelmann, C.: Geschichte der Islamischen Vőlker und Staaten, Munich, 1939, English translation.

جلوب ، جون باجوت وترجمة خيرى حماد : الفتوحات العربية الكبرى . الدار القومية للنشر ، ١٩٦٤

حسن ابراهيم حسن ، محمد زكى ابراهيم : السيادة العربية . النظم الإسلامية . القاهرة ١٩٣٩ تاريخ الإسلام السياسى .

سيدة الكاشف : مصر فى عهد الاخشيديين ، القاهرة ١٩٥٠

السلاوى ، أبو العباس أحمد (ت ١٨٩٧) : الاستقصاء لاخبار المغرب الأقصى ، تسعة أجزاء ، الدار البيضاء ١٩٥٤

سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى ، نقله إلى العربية رياض رأفت . ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ (١) .

شكيب أرسلان (ت ١٩٤٦) : تاريخ غزوات العرب فى أوربا وجزائر البحر المتوسط ، القاهرة ط. عيسى الباب الحلبي ١٣٥٢/١٩٣٣ أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة .

عمر فروخ : العرب والإسلام فى حوض البحر المتوسط الشرقى ١٩٥٨ العرب والإسلام فى حوض البحر المتوسط الغربى ١٩٥٩

فازيليف وترجمة محمد عبد الهادى شعيرة : العرب والروم جـ ١ دار الفكر العربى .

متز ، آدام وترجمة عبد الهادى أبى ريدة : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ١٩٤٠—١٩٤١ (٢) .

محمد عبد الفتاح ابراهيم : محمد القائد ، ط. الحلبى ١٣٦٤/١٩٤٥

محمد فرج : محمد المحارب مطبعة دار الفكر العربى ١٩٥٥—١٩٥٦ العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ، دار الفكر العربى ١٩٥٨

محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، ط. مصر ١٩٥٢

(١) Sayyed Ameer Ali: A Short History of the Saracens.

(٢) Mez, Adam: Die Renaissance des Islam. Heidelberg, 1922.

محمد حسين هيكل (ت ١٩٥٦) : حياة محمد ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٤/١٩٣٥ الصديق أبو بكر ، القاهرة ، ط. مصر ١٣٦١/١٩٤٢ الفاروق عمر ، جزءان ، مطبعة مصر ١٣٦٤/١٩٤٤

محمد الخضرى (ت ١٩٢٧) : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ، مجلدان ، القاهرة ١٣٦٦

محمد حميد الله : الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، مع خرائط وصور ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٠ هـ.

محمد فخر الدين : تاريخ الفتح الإسلامي فى عهد رسول الله وعصر الخلفاء الراشدين وبنى أمية . (٦٧٤ ص) ط. الطلبة بالحنفى ، القاهرة ١٩٣٢

محمود شيت خطاب : قادة فتح العراق والجزيرة ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٤

مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى ، سلسلة المكتبة التاريخية رقم ٨ ، القاهرة ، دار القلم ١٩٦٠

يوليوس ، فلهوزن ترجمة وتعليق محمد عبد الهادى أبى ريدة[1] تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٨

مقالات وبحوث

ابراهيم أحمد العدوى : إقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى ، المجلة التاريخية المصرية مجلد ٣ عدد ٢ ص ٥٣ — ٦٩ أكتوبر ١٩٥٠

حسن عبد الوهاب : جزيرة قوصرة العربية (بنطلارية) ، المجلة التاريخية المصرية مجلد ٢ عدد ٢ ، ص ٥٥ — ٧٣ ، أكتوبر ١٩٤٩

حسين مؤنس : غارات النورمانديين على الأندلس بين سنتى ٢٢٩ — ٢٤٥/ ٨٤٤ — ٨٥٩ المجلة التاريخية المصرية مجلد ٢ عدد ١ مايو ١٩٤٩ المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية مجلد ٤ عدد ١ ص ٤٥ — ١٧٥ مايو ١٩٥١

---

(١) Welhausen, Juluis: Das Arabische Reich und sein Sturz.

السيد البـاز العرينى : الفارس المملوكى المجلة التاريخية المصرية مجلد ٥ ص ٤٧ — ٧١ عام ١٩٥٦

عبد الرحمن زكى : يوم مشهود فى تاريخنا الإسلامى المجلة عدد ٢ ص ٦٧ — ٧٣ عام ١٩٥٧ ؛ مالطة العربية ، القاهرة ، المجلة عدد ١٤ ص ٤٢ — ٤٩ عام ١٩٥٨ ؛ جزائر البليار تحت السيادة العربية ، القاهرة ، المجلة عدد ٢٠ ص ٦٠ — ٦٦ اغسطس عام ١٩٥٨ ؛ معركة المنصورة ، المجلة ، عدد ٤٢ ص ٧ — ١٤ يونيو ١٩٦٠ ؛ غزوة الاسكندرية (٧٦٧/١٣٦٦) المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٤ عدد ٢ ص ١٢٣ — ١٤٨ مايو ١٩٥٢

طـه الهاشمى (الفريق) معركة اجنادين مجلة المجمع العلمى العراقى ج ٢ عام ١٩٥٢ ؛ خالد بن الوليد فى العراق ، ج ٣ عدد ١ — ٢ عام ١٩٥٤ ، ج ٤ عدد ١ عام ١٩٥٦

محمد عبد الهادى شعيرة : الممالك الخليفة أو ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم ، الاسكندرية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فاروق ، مجلد ٤ عام ١٩٤٨

محمد مصطفى زيادة : نهاية السلاطين المماليك فى مصر ، المجلة التاريخية المصرية مجلد ٤ عدد ١ ص ١٩٧ — ٢٢٧ مايو ١٩٥١

محمود شيث : جيش المسلمين فى عهد بنى أمية ، مجلة المجمع العلمي العراقى ج ٢ ص ٦٣٠ — ٦٥٠ عام ١٩٥٦

الفـاطميون

١ — مخطوطـات

كتاب شرح اللمعة من أخبار المعز لدين الله وتسيير عساكره إلى مصر . مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٤٠٢٢

العينى ٢ بدر الدين (ت ٨٥٥/١٤٥١) : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

القضاعى ، أبو عبد الله (ت ٤٥٤/١٠٦٢) : عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٧٧٩ تاريخ .

٢ — مراجع مطبوعة

ابن سعيد (المغربى) : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق تالكفيست طبعة هلسنجفور ١٨٩٩

جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ، وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، المجموعة الأولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨

جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، القاهرة داد الفكر العربى ١٩٥٠

حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٣٢ ، طبعة أخرى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩

حسن ابراهيم حسن بالاشتراك مع طه شرف : عبيد الله المهدى ، القاهرة ١٩٤٧ ؛ المعز لدين الله القاهرة ١٩٤٧

عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جزءان ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ٩٥٣ — ٩٥٥

على ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله القاهرة ١٣٥١/١٩٣٣

زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٧

على مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨

المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥/١٤٤١) : اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، حققه وعلق حواشيه جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربى ١٣٦٧/١٩٤٨ ؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان المطبعة الأميرية عام ، ط. النيل ، ٤ أجزاء ، عام .

ناصرى خسرو : سفر نامه ترجمها شيفر إلى الفرنسية باريس ١٨٨١ وإلى العربية يحيى الخشاب ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٥

الأيوبيـون

١ — مراجع

مؤلفات المؤرخين العرب خلال المئة سنة الأخيرة وما ساهم به المؤرخون العرب . مجلة الأبحاث ، السنة ١٢ جـ ٢ يونيو ١٩٥٩ بيروت .

٢ — مخطوطات

ابن أيبك ، أبو بكر عبد الله (ت بعد ٧٣٦/١٣٣٦) الداواداري : الدر المطلوب فى أخبار دولة بنى أيوب ، الجزء ٧ بالقسم ٤ من كنز الدرر وجامع الغرر ، صورة شمسية بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٨ مأخوذة من مخطوطة فاتح كتبخانسى باستانبول ، انظر أيضاً مخطوطة رقم ٤٦٤٣ تاريخ ؛ درر التيجان وغرر تواريخ الزمان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٠٥ تاريخ .

ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن سبط (٥٩٧/١٢٠٠ — ١٢٠١) : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس برقمي ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ وآخر بليدن وثالث بالمكتبة البودلية ٣٧٠ ومخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١

ابن دقاق ، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر (٨٠٩/١٤٠٦) : الجوهر الثمين فى سيرة الخلفاء والسلاطين مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٢٢ تاريخ .

ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧/١٤٠٤—١٤٠٥) : تاريخ الدول والملوك جـ ٧ ، ٨ مخطوطة مصورة من خزانة كتب فينا عام ، دار الكتب المصرية .

بدر الدين ، محمد بن أبى بكر بن قاضى شهاب الأسدى (٧٤/١٤٦٩) : الدرر الثمينة فى سيرة نور الدين ، مخطوطة بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٣٣٦ ب

الجزرى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد (٧٣٩/١٣٣٨ — ٣٩) : تاريخ الجزرى ، مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٥ تاريخ ، الجزء الأخير من المخطوطة فقط .

الحنبلى ، ابراهيم : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوطة مصورة عن مكتبة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ومكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٣١ تاريخ

الذهبى ، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله (٧٤٨/١٣٤٧ — ٤٨) : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٦ تاريخ

العينى ، بدر الدين محمود (٨٥٥/١٤٥١) : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ج ٢١ قسم ٣ ، ج ١ قسم ١ ، مخطوطة مصورة رقم ١٥٨٤ دار الكتب المصرية .

٣ — مصادر قديمة

إبن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على (ت ٦٣٠/١٢٣٣) : الباهر فى تاريخ الدولة الأتابكية (أتابكة الموصل) ج ٢ من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية .

إبن شداد ، يوسف ، القاضى بهاء الدين (ت ٦٣٢/١٢٣٤) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، طبعة الاداب والمؤيد القاهرة ١٣١٧/١٨٩٩ ط. محمد على صبيح ، القاهرة ١٣٤٦/١٩٢٧

إبن مماتى ، شرف الدين أبو المكارم بن أبى سعيد (ت٦٠٦/١٢٠٩ — ١٢١٠) : قوانين الدواوين ، نشره وحققه عزيز سوريال ، القاهرة ١٩٤٧

إبن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧/١٢٩٧ — ٩٨)[١] : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، نشره وحققه الدكتور جمال الدين محمد الشيال ثلاثة أجزاء ١٩٥٣ — ١٩٦٢ القاهرة .

أبو شامة ، شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن (٦٦٥/١٣٦٧) : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، جزءان ، ط. وادى النيل بمصر ١٢٨٧/١٨٧٠

(١) مخطوطة مصورة بكامبردج نسخة منه بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٠ تاريخ .

نشره مجدداً وحققه الدكتور محمد حلمى محمد أحمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٦ / ١٩٥٦ (١) .

أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ / ١٣٧٢) : البداية والنهاية فى التاريخ ، ١٤ جزءا ، القاهرة مطبعة السعادة ١٣٤٨ — ١٣٥٨ هـ.

أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (٨٤٧ / ١٤٤٣) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، مطبة دار الكتب المصرية ، ١٢ جزءاً . ج ٤ و ٥ الدولة الفاطمية ، ج ٦ الدولة الأيوبية .

العمرى ، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (٧٤٩ / ١٣٤٨) : التعريف بالمصطلح الشريف ، ط. العاصمة بمصر ١٣١٢ / ١٨٩٤

القلقشندى ، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ / ١٤١٨) : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جزءا القاهرة دار الكتب المصرية ١٩١٣ — ١٩٢٨

المقريزى تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ / ١٤٤١) : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، طبعة بولاق ، عام . نشر الأستاذ فييت جانبا من الجزء الأول من هذا الكتاب فى أربعة مجلدات فى المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩١١ — ١٩٢٤ ؛ السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشره وحققه الدكتور محمد مصطفى زيادة ، القاهرة دار الكتب المصرية جزءان فى عدة أقسام ١٩٣٤ — ١٩٥٨

النويرى ، شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٢ / ١٣٣١ — ٣٢) : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، طبع منه ١٨ جزءا ، مطبعة دار الكتب المصرية .

ابن خلكان ، أحمد بن محمد شمس الدين (ت ٦٨١ / ١٢٨١) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بولاق ١٢٧٥ / ١٨٥٨ ، ١٢٩٩ / ١٨٨١ المطبعة اليمنية ، القاهرة ١٣١٠ / ١٨٩٢ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٨

(١) له كتاب الذيل على الروضتين مخطوطة مصورة بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٣٥٥٣ فى ثلاثة أجزاء .

٤ — مراجع حديثة

أحمد بيلى : حياة صلاح الدين الأيوبى ، القاهرة ١٩٢٦
أحمد ربيع : حياة صلاح الدين الأيوبى ، القاهرة .
حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، حركة الافاقة والتجمع الإسلامى فى القرن السادس الهجرى ، القاهرة ١٩٤٨
حسين مؤنس : نور الدين محمود ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨ / ١٩٥٩
السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ، القاهرة ، مطبعة الكيلانى الصغير ١٩٦٠
عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٤٧
عبد اللطيف حمزة : صلاح الدين الأيوبى ، دار الفكر العربى ١٩٥٨
عبد المنعم ماجد : الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي ، القاهرة ١٩٥٨
على بيومى : قيام الدولة الأيوبية فى مصر ، القاهرة دار الفكر الحديث ١٩٥٢
محمد فريد أبو حديد : صلاح الدين وعصره ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢١
محمد فريد أبو حديد : صلاح الدين الأيوبى ، القاهرة ١٩٥٨
نظير حسان سعداوى : جيش مصر فى أيام صلاح الدين ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥٦
نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، القاهرة النهضة المصرية ١٩٥٧
قدرى قلعجي : صلاح الدين الأيوبى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٤٧
محمد كامل حسين : دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين ، دار الفكر العربى ١٩٥٧

الحـروب الصليبية (١)

مراجع قديمـة (٢)

ابن الأثير على بن محمد ، عز الدين (ت ٦٣٠/١٢٣٣) : الكامل فى التاريخ مطعبة بولاق ١٢٩٠/١٨٧٣ ، المطبعة الأزهرية ١٣٠٢/١٨٨٤ ، الحلبى ومصطفى محمد ١٣٣٠/١٩١٢ ادارة الطباعة المنيرية ثم المكتبة التجارية ١٣٦٨ — ١٣٧٧/ ١٩٤٨ — ١٩٥٧

ابن الساعى البغدادى الخازن ، على بن أنجب تاج الدين (ت ٦٧٤/١٢٧٥) : الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير ج ٩ ، تحقيق مصطفى جواد بغداد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ١٣٥٣/١٩٣٤

ابن العديم ، عمر بن أحمد ، كمال الدين (ت ٦٦٠/١٢٦٢) : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، مطبوعات المعهد الفرنسى بدمشق ، جزءان ١٣٧٠ — ١٣٧٣/١٩٥١ — ١٩٥٤

ابن عساكر ، على بن الحسن ، ثقة الدين (ت ٥٧١/١١٧٦) : التاريخ الكبير ، حققه ونشره الشيخ عبد القادر بدران فى خمسة أجزاء ، مطبعة روضة الشام بدمشق ١٣٢٩ — ١٣٣٣/١٩١١ — ١٩١٤ ج ٦ ، ٧ نشر أحمد عبيد بدمشق ١٣٤٩ — ٥١/١٩٣٠ — ٣٢

أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٧٤/١٣٧٣) : المختصر فى أخبار البشر ، جزءان فى مجلد ، القاهرة ، المطبعة الحسينية . البداية والنهاية ، القاهرة ، مطبعة السعادة .

أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤/١١٨٨) : الاعتبار ، طبعة ليدن ١٨٨٤ ، نشره الدكتور فيليب حتى ، جامعة برنستون ١٩٣٠

---

(١) نشرة بمراجع عن الحروب الصليبية وحملة لويس التاسع ومعركة المنصورة ، دار الكتب المصرية ١٩٦٠ A hist. of general workson the Crusades. Egytian Library, 1960.

(٢) راجع ثبت المراجع الخاصة بالعصر الأيوبى فيما سبق .

سبط بن الجوزى ، شمس الدين أبو المظفر (ت ٦٥٤/١٢٥٦) : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ج ٨ ، الهند بحيدر آباد ١٩٥٢

عماد الدين الأصفهانى (ت ٥٩٧/١٢٠١) : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ١٣٢١/١٩٠٣ والمطبعة الخيرية ١٣٢٢/١٩٠٤

يراجع مختارات مما كتبه المؤلفون العرب عن الحروب الصليبية فى مجلدات :

Recueil des Historiens des Croisades; Historiens Orientaux; tomes I, II, III, IV. 1884.

عماد الدين ، ابن جبير ، عبد اللطيف البغدادى ، ابن الأثير ، بهاء الدين ، سبط بن الجوزى ، كمال الدين الحلبى ، أبو شامه ابن المكين ، ابن خلكان ، أبو الفرج ، ابن واصل ، أبو الفداء ، النويرى الذهبى ، شهاب الدين ، ابن الفرات ، ابن خلدون ، المقريزى ، العينى ، أبو المحاسن ، السيوطى ، مجير الدين ، ابن ميسر .

المقريزى ، تقى الدين (ت ١٤٤١) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشره وحققه الدكتور محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، جزءان فى عدة أقسام ١٩٣٤ — ١٩٥٨

ابن القلانسى (ت ١١٦٠ م) : تاريخ ابن القلانسى ، المعروف باسم ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ نشر فى مجلد مع مقدمة وملاحظات باللغة الانجليزية للمستشرق الانجليزى أمدروز ، وترجم المستشرق جب مقتبساً منه عام ١٩٣٢ [١] .

مراجع حديثة

أحمد أحمد بدوى : الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، مكتبة النهضة المصرية عام .

جوزيف نسيم يوسف : لويس التاسع فى الشرق الأوسط ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ١٩٥٩

---

(١) Ibn al-Qalanisy: *The Damascus Chronicle of the Crusades;* extracted and translated from the chronicle of ibn-al-Qalanisy by H. A. R. Gibb, London, 1932.

حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ، القاهرة ١٩٥٨ ؛ مصر بين شق الرحى ، دار الفكر العربى ١٩٤٩ ؛ نور الدين والصليبيون ، دار الفكر العربى ١٩٤٨ ؛ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، دار الفكر العربى ١٩٥٨

سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى . جزءان مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ — ١٩٦٤

سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧

السيد الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية (٣١٦ ص) . دار النهضة العربية ١٩٦٢

سيد على الحريرى : الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ، القاهرة ١٣١٧ / ١٨٩٩ ، ط. ثانية ١٣٢٩ / ١٩١١ بمطبعة النيل .

عبد الرحمن زكى : معارك حاسمة فى تاريخ مصر الإسلامية ، دمياط والمنصورة ، ط. النيل ١٩٤١ ؛ معركة المنصورة ، مطبعة التحرير ١٩٦٠

عبد اللطيف حمزة : أدب الحروب الصليبية ، القاهرة دار الفكر العربى ١٩٤٩

على محمد عيسى : الحروب الصليبية لارنست باركر فى كتاب تراث الاسلام(١) ج ١ القاهرة ٨٩٣٦ ص ٨١ — ١٤٧

محمد أحمد حسين : أسامة بن منقذ ، صفحة من تاريخ الحروب الصليبية ، القاهرة ، ط. دار الكتب المصرية ١٩٤٦

محمد سعيد الكيلانى : الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى مصر والشام القاهرة ، دار الفكر العربى .

محمد العروسى المطوى : الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب ، تونس دار الكتب الشرقية ١٩٥٤

محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، فصل المسلمون والغربيون فى الحروب الصليبية ج ١ ص ٢٧٦ — ٢٩٧

---

(١) Legacy of Islam. Oxford U. Press.

محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة . المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ١٩٦١

نظير حسان سعداوى : الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى النهضة المصرية ١٩٦١

المماليك

١ — مصادر قديمة

إبن أبى الفضائل : النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، باريس ١٩١١ — ١٩٣٠

إبن إياس ، أبو البركات محمد الحنفى المصرى (ت ٩٣٠/١٤٢٤) : كتاب تاريخ مصر المشهور باسم بدائع الزهور فى وقائع الدهور فى ثلاثة أجزاء ، طبعة بولاق ١٣١١/١٨٩٦ ، مطبعة الشعب ١٩٦٠ — ١٩٦١

ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر مخطوطة فى تسعة أجزاء ، دار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٨ تاريخ .

إبن الجيعان ، شرف الدين يحيى بن المقر (٨٥٥/١٤٥١) : القول المستظرف فى سفر مولانا الملك الأشرف ، مخطوطة بمعهد الآثار الشرقية الفرنسى بالقاهرة رقم ٩١٧ ترجمته إلى الفرنسية السيدة ديفونشير ، معهد الآثار الشرقية ، القاهرة .

إبن زنبل ، أحمد الرمال (٩٦٠/١٥٥٢) : تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغورى سلطان مصر ، القاهرة ١٢٨٧/١٨٧٠ طبعة ثانية تحقيق عبد المنعم عامر ١٩٦٢

إبن شاهين : كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق رافيس طبعة باريس ١٨٩١

إبن عربشاه ، شهاب الدين أحمد الدمشقى (ت ٨٥٤/١٤٥٠) : عجائب المقدور فى أخبار تيمور ، القاهرة ١٢٨٥/١٨٦٨

أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢/١٣٣١) : المختصر فى أخبار البشر ، اشترك مؤلفه فى الوقائع الحربية التى عاصرها فى أيام المماليك وأهمها معركة مرج الصفر (١٣٠٣ م) ٤ أجزاء ، القسطنطينية ١٢٨٦/١٨٦٩ والقاهرة ١٣٢٥/١٩٠٧

الشجاعى شمس الدين : تاريخ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنيه [١].

النويرى ، محمد بن قاسم المالكى الاسكندرى (٧٦٧/١٣٦٥) : كتاب الالمام بما حدث به الأحكام المقضية فى وقعة الاسكندرية الواقع بها سنة ٧٦٧/ ١٣٦٥ مخطوط بدار الكتب المصرية ج ١ رقم ١٤٤٩ تاريخ .

علاء الدين بن عبد الظاهر (٧١٧ ﻫ) : الروض الزاهر فى غزوة الملك الناصر عن معركة مرج الصفر بين السلطان الناصر محمد بن قلاوون وإيلخان غازان (٧٠٢ ﻫ) [٢] .

بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة . الجزء التاسع ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٢٨

العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوطة مصورة فى ٢٣ جزءاً ، دار الكتب المصرية ، ١٥٨٤ تاريخ .

مصادر حديثـــة

ابراهيم على طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢ — ١٥١٧) ، القاهرة ١٩٦٠

أنور زقلمة : المماليك فى مصر ، مطبعة المجلة الجديدة ، القاهرة .

پوليان ا. ن : الإقطاعية فى مصر وسورية وفلسطين ولبنان ، مترجمة عن الانجليزية ، دار المكشوف ، لبنان ١٩٤٨

---

(١) Brockelmann II, 28, Berlin, 9833.

(٢) انظر الملحق رقم ١٦ فى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ قسم ٣ القاهرة ١٩٣٩ نقلا عن نهاية الأرب للنويرى .

الجبرتى ، عبد الرحمن (ت ١٨٢٥) : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، مطبعة بولاق ، القاهرة .

سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩

سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٦٣

على ابراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر بوجه خاص ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٤

محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٨

محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، القاهرة ١٩٣٧

د. عبد الرحمن زكى

طِبُّ الأسْنانِ عِنْدَ العَرَبْ

يحتل الطب العربى فى تاريخ الطب مكاناً ممتازاً [1] ولكننا إذا بحثنا عن طب الأسنان عند العرب فى المراجع الخاصة بذلك لم نجد إلا القليل نسبياً عنه. ومن أمثلة هذا أننا لا نجد شيئاً عن طب الأسنان عند العرب فى كتاب ج. ب. ياكوبى المسمى « تاريخ طب الأسنان من سنة ٣٧٠٠ ق. م. إلى الوقت الحاضر » (توبنجن ١٨٩٦) وكذلك نجد أن المعلومات عن ذلك الموضوع ضئيلة جداً فى كتاب سود هوف المسمى « تاريخ طب الأسنان » (الطبعة الثانية ، ليبسك ١٩٢٦) وكتاب فينشينزو جرينى المسمى « تاريخ طب الأسنان » [2] (فيلادلفيا ١٩٠٩) حتى كتاب س. إلْجود لا يتضمن عن ذلك إلا جملا قصيرة تعتمد على ما كتبه ليندسى فى كتابه « تاريخ طب الأسنان » ؛ وقد قال إلْجود فى كتابه : « ولكننى لم أجد قط عند العرب أية فكرة خاصة بالأسنان الصناعية » . وقد استعان علماء مثل و. كاباوف بالمادة التى تتضمنها الترجمات اللاتينية لكتب الطب العربى فى كتابة بحثه المسمى « عن طب الأسنان عند

---

(١) J. P. Geist, Jacobi, *Geschichte der Zahnheilkunde vom Jahre 3700 v. Chr. bis zur Gegenwart,* (Tübingen 1896).

Südhoff, *Geschichte der Zahnheilkunde,* (2. Aufl. Leipzig 1926).

Vincenzo Guerini, *A History of Dentistry* (Philadelphia 1909).

(٢) انظر مثلا :

B. Donald Campell, *Arabian Medicine and its influence on the Middle Ages,* London 1926; E. G. Browne, *Arabian Medecine,* Cambridge 1922.

وفى الفترة الأخيرة نشر سيريل إيلجود الكتاب التالى :

Cyril Elgood, *A Medical History of Persia and the Eastern Caliphate,* Cambridge 1951.

العرب » كما يتجلى فى المأثورات المتداولة فى الغرب (رسالة فى طب الأسنان ، ليبسك ١٩٢١) . وكذلك فعل ر. ر. تتمان فى بحثه المسمى « ماذا يقول الطبيب العربى الرازى فى كتابه « الحاوى » نقلا عن أطباء اليونان خاصاً بطب الأسنان » ليبسك ١٩٢٥ . وفعل شيئاً مثل ذلك س. نايل فتناول جراحة الأسنان فى بحثه المسمى « جراحة الأسنان عند أبى القاسم الزهراوى » مقارنة بجراحتها عند مغاربة تْرَارْزَا (مجلة علم أمراض الفم ، رقم ١٨ سنة ١٩١١ ص ١٦٩ — ١٨٠) وقد سبق أن نشر ج. جروس عن نفس الموضوع بحثه المسمى « فن الأسنان عند العرب : جراحة أبى القاسم الزهراوى » (مجلة طب الأسنان سلسلة ٢ رقم ٩ سنة ١٨٩٩ ص ٤٥٥ ، ٤٦٤)[1] .

ولكننا إذا أردنا أن نحصل على صورة حقيقية وواضحة عن طب الأسنان عند العرب فعلينا أن نرجع إلى الكتب الأصلية عن الطب العربى وندرسها ونحلل مادتها ونترجمها . وقد بدأ س. إلياس خليفه و ا. سامى حداد بمحاولة فى ذلك الطريق فى مقالتين عنوانهما : « مقتطفات من الطب العربى » (مجلة جمعية أطباء الأسنان الأمريكية مجلد ٢٤ سنة ١٩٣٧ ص ٩٤٤ — ٩٥٥) و « وصف عربى لتقيح الأسنان فى القرن العاشر » . نفس المجلة مجلد ٢٤ سنة ١٩٣٧ ص ١٨٤٧ — ١٩٥٢[2] .

---

(١) W. Kappauf, *Aus der Zahnheilkunde der Araber in der Überlieferung des Abendlandes,* (Zahnheilkundl. Diss. Leipzig 1921).

R. R. Tittmann, *Was berichtet der arabische Arzt Rhazes in seinem «Continens» aus griechischen Aezten über Zahnheilkunde?* (Leipzig 1925).

C. Neil, *La chirurgie dentaire d'Albucasis comparée à celle des Maures du Trarza* [Rev. de Stomatol. 18 (1911), p. 169—180].

G. Gross, *L'art dentaire chez les Arabes: la chirurgie d'Abulcasis* [Odontologie 2. ser., 9 (1899), 455—464].

(٢) S. Elias Khalifah and I. Sami Haddad, *Dental Gleanings from Arabian Medicine* [Jour. Amer Dent. Ass. 24 (1937), p. 944—955 and *Arabian Description of Dental Caries in the Tenth Century,* Ib. 24 (1937), p. 1847—1952].

وقد اعتمد برنارد وولف فاينبرجر على هذين المقالين فى كتابه المسمى «مقدمة لتاريخ طب الأسنان» فى مجلدين (سان لويس — ميسورى ١٩٤٨)[١] فى الكلام على طب الأسنان عند العرب فأورد عنه فى كتابه هذا مادة طيبة نسبياً .

وفى تاريخ الحضارة العربية كان طب الأسنان يعتبر فرعاً من الطب العام ، وكان يمارسه أطباء مؤهلون[٢] . وفى سنة ٨٥٠ م. كان على طبيب الخليفة فى بغداد وبناءً على أمره أن يقوم بعمل امتحان للأطباء ، وذلك على إثر ما وقع من أخطاء جسيمة فى العلاج على يد المُتَطَبِّبين ، ونتيجة لهذا الامتحان مُنح أكثر من ٨٦٠ طبيباً الاذن بالعمل . إلى جانب ذلك كان يمارس تلك المهنة مدّعون ومحتالون وحلاقون . ويبدو أن هؤلاء كانوا يتولون علاج الحالات البسيطة كما لا يزال الحال فى بعض الأماكن الصغيرة فى الشرق الإسلامي اليوم . وكان يندس فى وسط أطباء الأسنان عدد كبير من المحتالين الذين يخدعون الفقراء ويَغِشّونَهُمْ . ويضم الكتاب المسمى «المختار فى كشف الأسرار» لعبد الرحيم بن عمر الغوبرى[٣] الذى عاش فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فى الفصل الخامس عشر منه وصفاً لأدعياء طب الأسنان الذين كانوا يزعمون أنهم يستخرجون الدودة من السن . وقد قام ا. فيدمان بترجمة هذا الفصل إلى الألمانية ونشره فى « مجلة مراسلات أطباء الأسنان » رقم ٤٣ (سنة ١٩١٤ ص ٢٣١—٢٣٤) وكذلك ترجمه إلى الانجليزية ماكس مايرهوف ونشره فى مجلة «تاريخ الطب» رقم ١٧ (سنة ١٩٤٥ ص ٢٠٣—٢٠٤)[٤] .

---

(١) Bernhard Wolf Weinberger, *An Introduction to the History of Dentistry* (St. Louis 1948), Chapter XI, p. 195—209).

(٢) انظر : I. Sami Haddad, Jour. Amer Dent. Ass. 24 (1937) p. 944—955.

(٣) Brockelmann, *Geseb. d. arab.* Lit. I, 497 und Supplement I, 910.

(٤) E. Wiedemann, Correspondenzblatt für Zahnärzte 43 (1914), p. 231—234. Max Meyerhof, Bull. Hist. Med. 17 (1945), p. 203—204.

وقد جرت مناقشة عن الموضوع بينى وبين الأستاذ ج. رات G. Rath الأستاذ بجامعة جوتنجن حالياً وبجامعة بون سابقاً — وكان قد ألقى محاضرات فى جامعة بون عن تاريخ الطب مع الاهتمام بطب الأسنان — وقد حفزتنى هذه المناقشة على أن أدون أثناء مطالعاتى فى الكتب العربية ملاحظات عن طب الأسنان عند العرب ، وفى هذا المقال أجمع هذه القطوف وأقدمها لمؤرخى الطب .

وبهذه المناسبة أحب أن أشكر الآنسة الدكتورة ماجدا هونكيرخن Frl. Dr. Magda Hunkirchen المساعدة فى عيادة طب الأسنان بجامعة بون على ما قدمَتْه لى من آراء وكذلك الأستاذ شتويدل Prof. Steudel على ما قام به من مراجعة ما كتبت .

وقد تناولَتْ كتب الطب العربية القديمة مسائل من طب الفم والأسنان ، وأقدمُ كتاب عربى فى الطب وصل إلينا — وهو كتاب « فردوس الحكمة » فى الطب لعلى بن سهل بن رَبَّن الطبرى[1] (أُلِّف سنة ٨٥٠م) — كثيراً ما كان من مراجع الكتب التى ألفت عن تاريخ الطب[2] . ويقع هذا الكتاب فى سبعة أقسام يسمى كل منها نوعاً وكل نوع ينقسم إلى ثلاثين مقالةٍ وكل

---

(١) انظر عن ذلك المؤلف :

C. Brockelmann, *Gesch. d. Arab.* Lit. Supplement. I, 414.

وكذلك مقال ماكس مايرهوف :

على بن ربن الطبرى ، طبيب فارسى من أهل القرن التاسع الميلادى . مجلة الجمعية الشرقية الألمانية ZDMG مجلد ٨٥ (١٩٣١) ص ٣٨ — ٦٨

(٢) انظر عن ذلك :

M. Meyerhof: *'Alī aṭ-Ṭabarī's Paradise of Wisdom, one of the oldest Arabic Compendiums of Medicine* (Isis, 16, 1931 p. 6—54).

وقد ترجم الأجزاء الخاصة منه بأمراض النساء وعلم الجنين ا. زيجل ونشرها فى كتابه :

A. Siegel, *Quellen und Studien zur Gesch. der Naturwissenschaft u. der Medizin,* 8 (1941), p. 216—276.

وانظر أيضاً :

A. Siggel, *Die indischen Bücher aus dem Paradies der Weisheit über die Medizin des 'Alī ibn Sahl Rabban al-Ṭabarī* (Akad. d. Wiss. u. Lit. Meinz, Abh. d. Geistes u. Sozialwiss. Klasse, 1950, Nr. 4).

مقالةٍ تنقسم إلى أبواب ، وسأورد فيما يلى من ذلك الكتاب الموادَّ الخاصةَ بتشريح الأسنان وأمراضها وعلاج هذه الأمراض بعد أن سبق أن ترجمتُها إلى الألمانية للمرة الأولى وذلك لكى يعرفها الناس ويأخذوا فكرة عن طب الأسنان كما كان فى ذلك الحين واعتمادى هنا على النص كما نشره م. ز. صدِّيقى بعنوان « فردوس الحكمــة لعلى بن ربن الطبرى » (برلين — شارلوتنبورج ١٩٢٨) وذلك مقارناً بمخطوط برلين رقم ٦٢٥٧[1] .

أولا — مقتطفات من كتب الطب العربية

١ — فردوس الحكمة فى الطب : جاء فى القسم الثانى للمقالة الأولى الباب ١٢ (طبعة صِدّيقى ص ٤٧) .

الباب الثانى عشر
فى الجلد والشعر والظفر والأسنان

إن من شأن الطبيعة إخراج فضول الأغذية عن الاعضاء الرئيسية إلى ظاهر البدن ، وإن لبسَ كل شىء من حيوان أو شجر أو ثمرٍ — قشراً وجلداً — يقيه ويستره ، فما كان من تلك الفضول التى تخرجها الطبيعة يابساً وكان مخرجه من منافذ الجلد صار شعراً ، وما كان من تلك الفضول التى تخرجها الطبيعة يابساً وكان مجراه إلى اللثات والاصابع صار أسناناً وأظفاراً ، وإنما صَلُبت الاسنان وتفرقت ليُبس مادتها وصلابة منابتها ، وأما الجلد فانه فضلة تجمد على ظاهر

---

(١) لا يدخل فى الحساب هنا مخطوط برلين الجميــل القديم رقم ٣٣٠٣ لأنه لا يضم إلا الجزء الثانى من الكتاب وهو ما يقابل فى النسخة المطبوعة من ص ٣١٧ إلى ص ٦٢٠ ، وقد دونت فى بطاقاتى أن هناك مخطوطاً آخر فى اسطنبول فى مكتبة أيا صوفيا رقم ٤٨٥٧ من ص ١ ب إلى ص ٥٣ ب ومقاس الصفحة ١١ × ١٦,٥ سم. فى كل صفحة ١٧ سطراً .

البدن مثل القشرة التى تجمد على وجه اللبن وسائر الأجسام المطبوخة إذا بردت ، وقالوا إن فى منبت كل شعرةٍ مخرجاً للعرق والبخارات ، وان انسدت تلك المخارج من بردٍ أو يبسٍ انسدت مخارج العرق والبخارات فاحتبست فى البدن وأضرت به ، فاما الأسنان فانها تسقط فى السنة السابعة لرقة مادتها حتى إذا صلبت اللثات وقويت الرطوبات التى تأتيها خرجت الأسنان حينئذ أقوى مما كانت ولم تسقط بعدها ، فأما الأضراس فان منها ما ينبت بعد عشرين سنة « وأكثر وأقل » لأن مادتها أيبس وأقل فمكانها أصلب ، وصارت الثنايا محددةً لقطع الأغذية وصارت الأضراس عريضة لطحن الأغذية « فهذا ما أردنا بيانه » .

وتتصل بهذا فقرةٌ أخرى يبدو للوهلة الأولى أنها تدور حول حكاية لا تصدق عن حالة غير طبيعية وقعت (ص ٥٣ من فردوس الحكمة) ونصها :

« ولقد كان فى جوارى بُسرَّ من رأى امرأة ذكرت انه قد أتى لها مائة وعشرين سنة ونبتت أسنانها بعد أن سقطت واسود شعرها بعد البياض » .

ويبدو أن الأمر يتعلق هنا بما يعرف بالتسنين الثالث الذى لا زال ذكره يتردد فى الكتب ، ولكنه لم يثبت بصورة قاطعة أبداً ، ومن ذلك ما نقرأه فى Port-Index III, p. 72 عن امرأة زنجية نبتت لها أسنان جديدة بعد أن بلغت من العمر ١٠٦ أعوام . وقد حكى طبيب الأسنان كلاينمان Kleinmann (مجلة طب الأسنان رقم ٢٢ سنة ١٨٦٧ ص ١٥٨) أن امرأة فى الخامسة والسبعين من عمرها من أهالى قرية كوسن Kűssen نبت لها ضرسان فى سنة ١٨٦٦ مع أنها كانت قد فقدت كل أسنانها .

وقد قص حالاتٍ أخرى من هذا النوع بوش Busch فى المجلة الشهرية الالمانية سنة ١٨٨٧ ص ٨ وما يليها — وخاصة من ص ١٧ إلى ٢٠

وقال أ. كانتوروفيتش A. Kantorowicz فى معجمه الذى صدر سنة ١٩٢٩ أن الأمر يتعلق هنا إما بخروج أسنان ثانية كان قد تأخر وقتها أو بأسنان غير عادية .

وفى القسم الثالث من فردوس الحكمة ، المقالة الثالثة ، الباب الثانى عشر وعنوانه « فى الفم والأسنان والبخر » يقول على بن سهل الطبرى عن علاج الأسنان المريضة ما يلى :

« وأما البخر فانه يكون من رطوبةٍ منتنةٍ عفنةٍ تتولد فى المعدة أو من عفونة اللثة أو من طعامٍ يبقى بين أسنان فينتن ، فينبغى ان كان فى المعدة ان ينقى المعدة بايارج الفيقرا[١] أو بالفنجنوش[٢] أو يتغرغر بغرور فيه العاقر قرحا[٣] وَهِليلَج[٤] أصفر ، فان كان البخر من استرخاء اللثة وفسادها نفعه الاشياء القابضة الدباغة للثة والتغرغر بالعاقر قرحا والمرزنجوش[٥] والخل والخردل[٦] ، وان كان من نتن الأنف ومن نبات اللحم فى الأنف عولج بقطع ذلك ثم بالمرهمات التى تلحم القطع ، وان كان من تجلب شىء منتن من الرأس إلى الأنف عولج بان يكوى كية على وسط الرأس لتحتبس عنه تلك المادة ثم يأخذ من ورد الآس وقصب الزريره ومن الكافور واقليميا الذهب وملح اندرانى من كل واحد وزن قيراط ، يسحق ذلك نعماً وينفخ منه فى الأنف كل غداةٍ ، وان كان ذلك من اللثة نفعه ان يتمضمض بخل قد طبخ فيه ثمرة الطرفا ويستاك بالفيقرا ، وان كان من بلغمٍ فى المعدة استعمل القىء بعد الطعام ويشرب ايارج الفيقرا وحب الاصطمخيقون ويأكل الصحناة فانها يجلو المعدة لملوحتها ويستعمل شرب الهليلج

---

(١) أيارج الفقرا يونانى معرب أصله ἱερὰ πικρά ويرد ذكره كثيراً فى الذخيرة انظر ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٠

(٢) دواء مسهل يتكون من برادة الحديد وزيت اللوز والنبيذ . وقد ورد فى كتاب برهانى قاطع (فارسى) أنه يشبه فى العربية خبث الحديد .

(٣) عن هذا الدواء انظر : Lőw, *Oflanzen - Namen*, s. 298. وكذلك مفردات ابن البيطار جـ ٢ ص ٤٣٢ ، والتحفة ص ١٣٤ ، رقم ٣٠١

(٤) هليلج يوجد منه ثلاث أنواع أصفر وأسود وأحمر انظر عنه ابن البيطار والتحفة رقم ١٢٦ والغافقى رقم ٢٦٤

(٥) انظر شرحه فى معجم جاربر رقم ٧٠ ص ٢٦٦ — ٢٦٨

(٦) انظر عنه معجم جاربر رقم ٤٥ ص ٢٢٦ — ٢٢٩

الكابلى ومصطكى ونانخواه وقرنفل وقاقلة ويأخذ فى فمه الحب الموصوف فى آخر هذا الباب ، ويجتنب من كل شىء سريع العفونة ، وإن كان من فساد الأسنان « ويستدل عليه بالصفرة وبالتآكل وبالحفر » يقطع السن العفنة منها ، ويبرد المتآكلة بالمبرد ليستوى أطرافها ويكوى أصول اللثة بالكى ، وينفع من وجع الأسنان أن يضمد أصوله[١] بدواء اخلاطه عاقر قرحا[٢] ودار فلفل[٣] ونوشادر[٤] والشب اليمانى[٥] من كل واحد جزء ومن هليلج أصفر[٦] نصف جزء يدق ويستعمل .

سنون يجلو الاسنان ويطيب النكهة : يوخذ دقيق الشعير[٧] وملح من كل واحد وزن ثلثين درهما يدق ويلت بالقطران[٨] ويحرق ويدق بعد الحرق نعماً وينخل ويعزل[٩] ثم يوخذ من الحاشا[١٠] والزنجبيل[١١] ومن شبح[١٢] أرمنى وجوز مازج[١٣] من كل واحد وزن خمسة درهم يدق وينخل ويلت بخل خمر

---

(١) هكذا فى الأصل بصيغة المذكر وكان الأصح أصولها لأنها تعود على اللثه أو على الأسنان .

(٢) يترجمها المؤلف Pyrethra ويقول انظر عنه التعليق الوارد فى الصفحة السابقة .

(٣) ابن البيطار رقم ٨٤٥ ، ١٦٩٦ .

(٤) انظر التفصيل عنه فى معجم جاربر ص ٢٩٢ — ٢٩٣

(٥) ابن البيطار رقم ١٢٧٩ ، والتحفة ص ١٤٨ رقم ٣٤١

(٦) التعليق السابق .

(٧) اسمه باللاتينية Hordeum Vulgare وهو دواء ، انظر عنه معجم جاربر ص ٣٤٧ والتحفة ص ١٦٧ رقم ٣٨٦

(٨) زيت يستخرج من شجر الشربين ، انظر ابن البيطار رقمى ١٨١٢ — ١٣١٧ ومعجم جابر رقم ٩٣ ، ص ٣٠٥ — ٣٠٨

(٩) اقرأ يغربل .

(١٠) ابن البيطار رقم ٥٤٨ والتحفة ص ٧٤ رقم ١٦٣

(١١) ابن البيطار ١١٢٥ والتحفة ص ٥٤ رقم ١٤٣

(١٢) اقرأ « شبح » وانظر عنه ابن البيطار ١٣٧٢ والتحفة رقم ٤٥٦

(١٣) لم يرد هذا اللفظ فى المعجمات ، وقد ورد ذكره فى الذخيرة بتحقيق صبحى ص ١٤ السطر الأخير وصفحة ٥١ سطر ١٢

ويحرق ثم يدق أيضاً ثانيـــة وينخل ويخلط بالدواء الأول ويلت جميعاً بالميسوسن[١] ويستعمل .

دواء آخر لوجع الأسنان : يدق ورق الدلب[٢] أو قشره أو ورق الغار[٣] أو حبه ويطبخ بالخل ويمسك فى الفم ، أو يتمضمض بخل قد طبخ فيه جلد الحية[٤] ، أو يؤخذ عيدان الثوم وشىء من عاقر قرحا وشىء من كندر[٥] ويخلط بالخل ويتمضمض به ، أو يطبخ قثا الحمار[٦] بالخل ويمسك فى الفم ، أو يطبخ فيه الخراطين ، وهى ديدان حمر تكون تحت جرار الماء يطبخ بدهن سوسن[٧] أو بدهن السمسم ويقطر منه فى الأذن التى تلى السن الوجعة ، أو يضع على السن الوجعة ترياقاً[٨] وثوماً مسحقا بالبان[٩] « مسخنا على النار » ،

---

(١) الميسوسن خمر يغلى حتى لا يبقى منه إلا ثلثه . والخمر المـــراد هنا يستخرج من ورق نبات أسود صغير يسمى بالألمانية Lukritzen وهو شبيه بعرق السوس .

(٢) الدلب بضم الدال وإسكان الـلام شجر ضخم يعرف بالفرنسية والألمـانية Platane ، انظر عنه ابن البيطـــار ٨٧٥ والتحفة ص ٥٤ رقم ١١٧ وبصورة خاصة انظر الغـــافقى رقم ٢٣٤ ص ٤٨٣ — ٤٨٦

(٣) ابن البيطـــار ١٦١٩ ، والتحفة ص ١٨٦ رقم ٤٣٧ ومعجم جاربر رقم ٣٠ من ص ٢٠٢ — ٢٠٣

(٤) كان جلد الحيـــة يستعمل دواء . انظر عنه ربن الطبرى ص ٤٤١ . وهو يقول فى ذلك الموضع إن جالينوس يقول إن الانسان إذا طبخ جلد الحية فى الخل ثم تمضمض به سكن وجع الأسنان وإذا أخذ جلد الحية وجفف وخلط بالزيت وقطر منه فى الأذن سكن وجعها .

أما لحم الحية وخاصة الحية السامـــة Viper فكان يستعمل أيضاً دواء . انظر ترجمة حياة الحيوان للدميرى بقلم Jayakar جـ ١ ص ٥٦ ، ٦٤ حيث نجد كلاماً خرافياً كثيراً .

(٥) كندر بضم الكاف والدال انظر التفصيل عنه فى معجم جاربر رقم ٦٢/٢٥٣

(٦) هو العلقم بناء على ما ورد فى قاموس لين وهو يقول أنه القثاء أو الخيار البرى .

(٧) انظر عنه معجم جاربر ص ٣٣٦

(٨) انظر عن الترياق ابن البيطار ، الفهرس .

(٩) المراد هنا ثمر شجر البـــان وهو يشبه البندق ويستخرج من بذوره زيت خالص الصفاء . انظر الشرح فى معجم جاربر رقم ١٤ ص ١٨١ — ١٨٤ ، والغافقى رقم ١١٨ ص ٢٥٤ — ٢٥٦

وينفع اللثة والعمور أن تأخذ من الزبيب الجبلى[١] والعروق[٢] والشبت[٣] والكست[٤] تسحق وتوار[٥] به السن غدوةً وعيشةً[٦] ، وينفع من أوجاع الأسنان ان يوخذ من حلتيتٍ[٧] طيبٍ وفلفل وفوذنج[٨] وعاقر قرحا يسحق ويوضع عليها ، وإن كانت تأكلت السن فخذ سمن بقرٍ أو غنمٍ فاغله فى مسرجة حديد ثم خذ قطعة من صوفٍ فلفها على طرف مِيلٍ وفى ذلك السمن وقطرها على السن حتى يبيض ، أو اكوها بحديدة دقيقة الرأس فى موضع الاكال وتوق على ما حولها « من الاسنان واللحم » .

وينفع الاسنان المسترخية ويشدها ويقطع الدم السائل منها أن يوخذ شىء من فقاح الكرم ويدق ويخلط مع العسل وتطلى به اللثة .

آخر يشد الأسنان : يؤخذ شىء من شب ويطبخ بعسل وخل ويتمضمض به .

آخر ينبت الأسنان سريعاً من الأطفال : يدلك موضع الأسنان بسمن البقر أو « يمسح » بمخها[٩] مراراً كثيرة .

فاما بثر الفم فان كان من دم حار نفعه أن يؤخذ طين أرمنى ثلثةَ أجزاء ومن الفلفل جزءين ، من سماق ثلثة أجزاء ، كافور جزء ، وزغفران جزء ، يدق

---

(١) انظر عنه ابن البيطار ١٠٨٥ والتحفة ص ١١٥

(٢) المراد به عرق السوس انظر التحفة ص ١٦٣ رقم ٣٧٥ وابن البيطار .

(٣) بكسر الشين والباء اسمه باللاتينية Anethum grave olens L. انظر عنه التحفة ص ١٩٢ رقم ٤٥٣ وابن البيطار رقم ١٢٧٥

(٤) الكست أو القسط توجد منه أنواع كثيرة وهو دواء قديم ورد ذكره فى الأحاديث النبوية انظر عنه معجم جاربر رقم ٩٤ ص ٣٠٨ — ٣١١

(٥) خطأ مطبعى صحته تدلك . (٦) اقرأ عشية .

(٧) هو المعروف بالحنتيت واسمه باللاتينية Asa foetida أى العشب الكريه الرائحة وهو لب نبات يعرف بالانجودان بضم الجيم ، باللاتينية Silphion انظر عنه ابن البيطار رقم ٦٨٨ والتحفة ص ٧٧ رقم ١٦٩

(٨) عقار اسمه باللاتينية Marrubium انظر عنه التحفة رقم ٣٢٥ ص ١٤٣ ورقم ٢٨٤ ص ١٢٧

(٩) المراد بالمخ هنا نخاع العجل والثور والماعز والغنم وكان يستعمل دواء . انظر ابن البيطار ٢٠٩٦ وجاربر ٧٤ ص ٢٧٥

وينخل ويلصق على البثر ويتمضمض بعده بماء الورد وماء الكزبرة اليابسة المطبوخة مع السماق .

وينفع من وجع الأسنان : أن يعلق على العنق[١] ضرس الضبع الأيمن مع شيء من شعر الضب ، وينفع منه تسهيل البطنُ ، وأن يوضع محجمة تحت اللحية وأن يشرط الموضع ، وان كان من دم غليظ أخذ من ورق الزيتون ثلثة أجزاء ومن عدس[٢] مقشر جزء ، ومن ثمر الطرفا[٣] جزء ، ويطبخ بالخل ويتمضمض به ليدفع المادة عن العضو ويمضغ ورق العليق[٤] وهو ورق العوسج[٥] وورق الآس[٦] وورق الزيتون ، وانه يشد اللثة ، وان وضع ضرس ميت على ضرسٍ وجعٍ قلعه بإذن الله[٧] .

---

(١) هذه بطبيعة الحال خرافة كما هو الأمر مع بعض العلاجات الأخرى الموصوفة هنا . وكانت الأسنان تعتبر طلاسم تعلق . وفى الجاهلية كان الناس يعلقون أسنان القطط والثعالب ورؤوس الأرانب كطلاسم ، انظر :
J. Wellhausen, *Reste arabischen Heidentums,* p. 164.
وكان الناس كذلك يعتقدون أن عظام الأرنب تبعد الجن والأرواح الشريرة وقد أشار إلى نفس الخرافة ميتفوخ فى مقال :
E. Mittwoch, *Abergläubige Vorstellungen und Bräuche der alten Araber* (Mitt. d. Seminars f. oriental-Sprachen, Jg. 16 (1913), 2. Abt. S. 40).

(٢) انظر معجم جابر رقم ٢ ص ١٦٥

(٣) عن الطرفا انظر ابن البيطار ١٤٥٥ والتحفة رقم ٢٠٢ ص ٩٠

(٤) العليق يسمى أيضاً باتاس ، يونانى أصله βάτος وباللاتينية Rubus Sanctus قارن التحفة رقم ٣٨٨ ورقم ٣١١

(٥) العوسج باللاتينية Lycium انظر التحفة رقم ٣١٢ ص ١٣٨ وانظر كذلك ابن البيطار ج ٣ / ١٤٢ حيث يقول ان العوسج يستخرج منه دواءات لكل منها خصائصه التى تختلف عن خصائص الآخر .

(٦) ابن البيطار ٦٩ والتحفة ١١ والغافقى رقم ٩ وجابر رقم ٩ ص ١٧٥ — ١٧٦

(٧) واضح أن هذه خرافة وأطفال العرب يرمون بالسن المنزوعة فى وجه الشمس لكى تنبت لهم أسنان أحسن ، ويقولون فى أثناء ذلك شيئاً فى معنى : أيتها الشمس خذى هذه السن من العظم واعطنى سناً من الفضة . انظر ديوان طرفه بتحقيق Seligsohn (باريس ١٩٠١) ص ١١١ ، ونجد هذه الخرافة مذكورة أيضاً فى كتاب الرموز لابن أبى سرح ، انظر مقال :
Bellamy, JAOS (1961); 237 sqq.
وقد كان من الممكن لكاتب هذا المقال فى تعليقه رقم ١٦٩ ص ٢٣٨ أن يشير إلى بيت طرفه .

وينفع من استرخاء اللثة ويبيض الأسنان أن يأخذ من رماد القصب وزن ثلثين درهما ، ومن ملح اندرانى مقلو خمسة عشر درهما ، ومن ثمر الطرفا خمسة درهم ، ومن زبد البحر[1] خمسة درهم ، وحب البان المقشر خمسة درهم ، يسحق وينخل ويستعمل ، وإن أحببت أن يجلب البلل فَزِدْ فيه مويزج[2] وعاقر قرحا من كل واحد خمسة درهم .

ولما كان أطباءٌ عربٌ آخرون مثل الرازى وعلى بن العباس المجوسى (المسمى فى الكتابات اللاتينية Haly Abbas) وابن سينا وأبو القاسم الزهراوى قد ورد الكلام عنهم ، فى مقال « مقتطفات من طب الأسنان » الذى أشرنا إليه ونوقشت آراؤهم كثيراً أو قليلا فإننى أحب أن أحصر الكلام هنا فى كتاب طب عربي آخر كُتب عن الجراحة العامة ، وهو كتاب العمدة فى الجراحة لأبى الفرج بن القُفّ (ت ٦٨٥/١٢٨٦) .

٢ — العمدة فى الجراحة :

وفيما يلى أورد نص المادة المتفرقة فى ثلاثة فصول عن طب الأسنان بعد أن سبق لى أن ترجمتها إلى الألمانية للمرة الأولى وعلقت عليها بما لابد منه من تعليقات .

تصنيف الأسنان (ج ١ ص ٢١ — ٢٢) .

« وأما الأسنان فمنها حقيقية ، وهى النابتة من أول العمر ، وغير حقيقية ، وهى المسماة بالنواجذ وتسمى أسنان الحلم . والأول فى كل فك أربعة عشر سناً : ثنائيتان ورباعيتان — وهى عريضة الرؤوس وتعرف بالقطاعة — ونابان ورؤوسهما حادة وتعرف بالكاسرة ، وأربعة أضراس يمنة وأربعة يسرة ، وتعرف بالطواحين ، وهى عريضة

---

(١) عن زبد البحر انظر ابن البيطار ١٠٨٦ والتحفة ١٥٣ وبصورة خاصة معجم جاربر رقم ١٢٩ والذخيرة بتحقيق صبحى ص ٣٤ ، ١٠٤ ، ١٧٢ ، ١٨٠

(٢) مويزج انظر عنه دوزى ملحق القواميس ج ٢ ص ٦٣١ والذخيرة بتحقيق صبحى ص ٣٤ ، ١٠٤ ، ١٧٢ ، ١٨٠ وانظر ديتريتش ص ٥٦ تعليق ١٣٤

الرؤوس صلبة الجوهر ، والوسطى منها أغلظ من التى فى الطرفين ، والنواجذ أربعة فى آخر الفكين ، وما كان من هذه فى الفك الأعلى فأصوله أكثر وأغلظ من التى فى الفك الأسفل . ففائدة الأسنان مطلقاً تهيئة الغذاء لفعل المعدة واحالته كيلوسا[١] ولذلك خلق جوهرها أصلب من جوهر العظام ، وعَرُضت الثنايا والرباعيات لتكون أوفق للقطع ، وحُدت أطراف الأنياب لتكون أوفق للكسر ، فإنها تكسر ما عجزت الثنايا والرباعيات عن قطعه ، ولذلك عظمت أصولها ودقت أطرافها ، وصار عددها فى الأسنان قليلا ، لأن حاجته إلى الكسر أقل من حاجته إلى القطع ولأجل هذا خلق له من القاطعة ضعف ما خلق له من الكاسرة ، وخلقت الأضراس للطحن ولذلك عرُضت أطرافها ليستقر الغذاء عليها ، وخشنت لتكون أبلغ فى ذلك كحال الرحى[٢] فإنها متى تملست خُشِّنَت بالنقر ليجود طحنها ، وصلب جوهرها لتكون صبورة على ذلك وقادرة عليه ، وخلقت فى آخر الفكين لأن الطحن بعد القطع والكسر ، وصار عددها أكثر من باقى الأسنان ليكون طحنها مساويا لقطع الثنايا والرباعيات وكسر الأنياب ، وصارت الوسطى ههنا أعظم لأن قوة الفعل فى ذلك فى الوسطى ، وصارت أصول الأسنان التى فى الفك الأعلى أغلظ وأكثر عدداً لأن حركتها على خلاف مركزها[٣] فان الأضراس فى الفك الأعلى لها ثلاثة أصول وربما كانت أربعة (أو أكثر — ١) والتى فى الفك الأسفل اثنان فقط فانظر إلى حسن هذه التراكيب واتقان هذه الصنعة تبارك من له الصنع والابداع ، وأما ان الأسنان هل لها حس أو عديمة الحس فإلى الطبائعى والله أعلم » .

---

(١) انظر عنه فرايتاج ج ٤ ص ٥٤ ب ، أما عن معناه فى السريانية فانظر عنه :
Payne-Smith, *Thesaurus Syriacus*, p. 1698.
وهو مأخوذ من اليونانية Χυλός ومعناه باللاتينية humor أو sucus ، وانظر عنه تفصيل أوفى فى
Marcellin Berthelot, *La chimie au moyen-âge*, Paris 1893, vol. II, p. 8-9.
ويقول اللغوى السريانى بار بهلال أن كيلوس هو ما يخرج من الأطعمة بعد تفتيتها بالأسنان ، أى هو العصارة المغذية .

(٢) نقر الرحى هو تخشينها (القاموس) .

(٣) مركز الأسنان ، جاء فى البستان أن مراكز الأسنان هي منابتها .

ويقول ابن القف فى المقالة التاسعة عشرة الخاصة بعلاج الجروح والخراجات واستعمال السكين والخصاء والقطع ، وهى مقالة تنقسم إلى أربعة وثلاثين فصلا يتكلم فى الفصل الثالث عشر منها عن : جرد الأسنان وقلعها (جـ ٢ ص ١٩٥—١٩٧) .

الفصل الثالث عشر

فى جرد الأسنان وقلعها

أما جرد الأسنان(١) فاعلم أن الأسنان قد تعلوها من داخل وخارج قشور خشنة قبيحة المنظر ، وقد تسود وتصفر وتخضر حتى يصل ذلك الفساد إلى اللثة وتتغير لأجله رائحة الفم ، وفى مثل هذا الوقت ينبغى أن ينقى البدن ثم الرأس ثم بعد ذلك تجرد ، وهو أن يجلس العليل ويجعل رأسه فى حجر الجارد ، ويجرد الأسنان من جميع جوانبها حتى ينقى جميعها .

وأما قلع الأسنان ، فيجب أن تتأمل قبل القلع هل العلة فى نفس السن أو فى اللثة أو فى العصبة ، ويعرف بوضع الأدوية ، وهو انه متى كانت العلة فى السن كان الوجع خاصاً بها ، ويسكن بوضع الأدوية عليها (ومتى كان فى اللثة كان الوجع فاشياً فى موضع السن وغيره ويسكن بوضع الأدوية عليها — ١) وكان لونها متغير أو ربما تغيرت رائحة الفم ، ومتى لم يسكن بهذا ولا ذلك فهى فى العصبة ، لا سيما متى كان غائر أو كان الدماغ ضعيفاً(٢) والحواس مضرورة .

إذا عرفت هذا فنقول الوجع متي لم يكن فى السن لم يفد القلع ، بل ربما يثور تزعزعه للفك وتحريكه إياه ، فيجذب إليه مادة لم يطق تأثيرها ، وينبغى أن يجتهد فى أن يكون القلع بالأدوية دون الحديد ، ولا تستعمل إلا بعد اليأس من الأدوية .

---

(١) جرد الأسنان معناه قشرها أو حك سطحها والمراد به هنا تنظيفها والآلة التى تستخدم فى ذلك تسمى المجرد .

(٢) أى إذا كان المريض قد فقد السيطرة على قواه العقلية بفعل الألم .

وهذا دواء يقلع السن الوجعة : قشر أصل التوث وعاقر قرحا من كل واحد جزء ، تسحق هذه سحقاً ناعماً وتربب بخل قوى الحمض حتى تصير كالعسل وتوضع على السن ويطلى به فى اليوم ثلاث مرات .

آخر — أصل قثاء الحمار وزرنيخ أصفر ، أجزاء متساوية تسحق هذه سحقاً ناعماً وتربب بخل خمر ، حتى تصير مثل العسل ويلطخ به السن .

آخر — بزر الانجرة[١] وقنة[٢] وكندر[٣] أجزاء متساوية يسحق ويعمل به كالأول ويلطخ به السن — آخر — أصل الحنظل[٤] ودردى الخل يسحق أصل الحنظل ويخلط بالدردى ويجعل على السن كما ذكرنا .

آخر — قيصوم[٥] يسحق إلى الغاية ويخلط بلبن بعض اليتوعات[٦] ويلطخ به السن ، وتحذر أن يجعل شىء من هذه على الأسنان الصحيحة ، فانه يؤذيها ويصفرها ولا ينبغى أن تستعمل هذه الأدوية إلا بعد تنقية البدن بالفصد[٧] وبما يسهل المواد على قدر غلبتها ، فان لم تنقلع بهذه المداواة فاستعمل القلع ، وعند استعماله تنظر إلى غلبة الدم فإن كانت ظاهرة فافصد العليل أولا ثم بعد ذلك تنظر (إلى أى المواد أغلب فتستفرغ بما يخصها ثم — ٢) بعد ذلك تنظر — فإن كان الوجع مستمراً فتختبر الاسنان كلها لتعلم الوجع منها لئلا يحصل القلع لغيره ، فإذا علم فينبغى أن يجرد ، ما حولها بمجراد حتى ينكشف أصلها من جميع الجهات ، ثم بعد ذلك تمسك بالكلبتين وتهز يميناً ويساراً وقدام وخلف ثم بعد

---

(١) الانجورة ، انظر عنه التحفة رقم ١٠ وابن البيطار رقم ١٦٠

(٢) التحفة رقم ٣٥٣

(٣) ابن البيطار ١٩٧٤ والتحفه رقم ٢١٤

(٤) التحفة رقم ١٧٧

(٥) ابن البيطار ١٨٦١

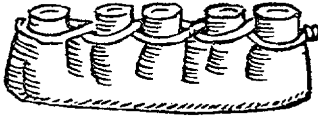
(٦) ابن البيطار ٢٣٠٢ والتحفة رقم ٢١٠

(٧) فيما يتعلق بمعرفة الأطباء للفصد وآرائهم فيه ، انظر كتاب معالم القربة تحقيق روبن ليفى لندن ١٩٣٨ ، النص العربى ص ١٥٩ والترجمة الانجليزية ص ٥٤

هذا تجذب جذباً مستقيماً بقوة ، لئلا تنكسر ، فإن كان الضرس متآكلا فينبغى أن يستقصى فى الجرد حتى ينكشف أصله كشفاً جيداً ، ثم يفعل ذلك ثم يتمضمض العليل بشراب عفص مسخن على النار أو بماء قد ديف فيه زاج من غير أن يبتلع منه شيء ، فإن بقى بعد قلع الضرس شيء من أصله فى الفك ، فينبغي أن يوضع على ما بقى منه قطنة مبلولة بسمن ثلاثة أيام ثم بعد ذلك ينقش على ذلك بالمنقاش ثم يجرد ما حوله حتى ينكشف ، ويمسك بكلاب المبردى مسكاً جيداً ويهز ويجذب جذباً مستقصى ويخرج الجميع .

واعلم أنه قد ينبت[١] حول الضرس ضرس آخر وكذلك الأسنان ، والواجب فى مثل هذا الوقت أن يحتال فى قلع ذلك على الصورة المذكورة .

واعلم أيضاً أن الأسنان قد تتقلقل وتتحرك ويخاف عليها السقوط عند شدة المضغ ، والطريق فى مسكها أن تكمد بالأدوية القابضة كبزر الورد والآس والعذبة والقرض وقشر الرمان وغير ذلك فإن لم يفد ذلك فتؤخذ شريط فضة أو ذهب — والذهب أجود — وتشد به ويمسك المتحرك منها بغير المتحرك ويشد الربط شداً قوياً ثم يقطع طرف الشريط الفاضل وقد يتخذ سن من عظم أو من عاج ويركز عوض سن قد سقطت ويشد بالشريط المذكور على الصورة المذكورة والله أعلم » .



شد الأسنان المتقلقلة بخيوط من الذهب . نقلا عن «كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف» المعروف بالحاوى لأبى القاسم الزهراوى ، مخطوطة أوكسفورد ١٧٧٨

وفى الباب الثالث من المقالة الثامنة عشرة الخاصة بكى الفم والحلق يقول ابن القف أن الكى جائز فى أربع حالات . والحالة الثانية منها تختص بالأضراس الخلفية . (جـ ٢ ص ١٦٥) وعن ذلك يقول ابن القف :

---

(١) هذا هو العيب المعروف فى اللاتينية بطلوع سن فى سن dens in dente انظر :
H. Euler, *Die Anomalien, Fehlbildungen und Verstümmelungen der menschlichen Zähne*, München, Berlin, 1939.

« الصورة الثانية — فى الضرس إذا كان الضرس يتحرك وحصل منه رائحة رديئة ولم تنجع فيه المداواة بالأدوية فاستعمل الكى ، وهو أن تتخذ أنبوبة[١] من نحاس أو من غيره تُجعل على الضرس ثم تحمى مكواة دقيقة تدخل فى الأنبوبة ويدخل فيها ، وتدفع المكوى . يفعل ذلك مرات فان الضرس يقوى ويزول الاسترخاء من اللثة ثم بعد ذلك يتمضمض العليل بماء مذاب فيه ملح » .

ويقول ابن القف عن أدوية الأسنان (السنونات) جـ ٢ ص ٢٥٦—٢٥٨

الفصل الثامن

فى السنونات[٢]

« صفة سنون يجلو الأسنان من السواد والأوساخ المجتمعة : زراوند[٣] طويل ومدحرج وسرطان بحرى[٤] محرق وشيح[٥] محرق وقرن ايل[٦] محرق وودع محرق[٧] ، من كل واحد أربعة دراهم ، ملح اندرانى معجون بعسل محرق ونطرون وبورق وتين يابس محرق ، من كل واحد ثلاثة دراهم ، شادنج[٨] مثله ، زبد البحر[٩] خمسة دراهم . تسحق هذه وتنخل وتخلط وتستعمل .

آخر — ينفع من الحفر ويبيض الاسنان : يؤخذ سويق الشعير ، يعجن بخل خمر قوى الحمض ، ويخبز فى تنور إلى حين يقارب الإحراق ، عشرة دراهم ملح

---

(١) فى الأصل أنبوتا .

(٢) السنون بفتح السين دواء يستعمل لتقوية الأسنان وتنظيفهـا وهو أيضاً المسحوق الذى يستعمل لحك الأسنان لتبييضها .

(٣) معجم جابر رقم ١٣١ (٤) التحفة رقم ٣٨٣

(٥) اسمه باللاتينية artemisia انظر عنه ابن البيطار ١٣٧٢ والتحفة رقم ٤٥٦

(٦) التحفة رقم ١٧ (٧) ابن البيطار جـ ٣/٤٠٤ والتحفة رقم ١٣٠

(٨) بالألمانية Blutstein ويسمى بالعربية أيضاً حجر الدم ، وهو باليونانية αἱματίτης λίθος انظر عنه ابن البيطار جـ ٢ ص ٣١٥ (٩) هو باليونانية ἀλκυόνειον انظر ابن البيطار جـ ١٠٨٦/٢

اندرانى معجون بعسل محرق عشرة دراهم ، تين يابس محرق خمسة دراهم ، فوتنج محرق خمسة دراهم ، زراوند مدحرج وزبد البحر وزاج محرق من كل واحد أربعة دراهم ، قنبيل ثلاثة دراهم ، سنباذج[١] خمسة دراهم . تسحق وتنخل وتستعمل .

آخر — يطيب النكهة ويذهب الحفر ويشد اللثة : املج[٢] واهليلج أصفر[٣] وغذبة[٤] وقشور الرمان[٥] الحلو من كل واحد خمسة دراهم ، ملح جريش وسعد[٦] واشنان نبطى[٧] من كل واحد ثلاثة دراهم ، عود وقرفة[٨] وقرنفل وورد أحمر يابس وشعير محرق ، من كل واحد درهمان دار صينى[٩] عشرة دراهم . تسحق هذه وتنخل وتستعمل .

آخر — يجلو الاسنان ويشد اللثة ويطيب النكهة : شعير محرق وعيدان الكرم محرق وشيح محرق وملح اندرانى وزبد البحر من كل واحد عشرة دراهم ، عاقر قرحا وكبابة وثمرة الطرفا من كل واحد خمسة دراهم ، شب يمانى درهمان ، قرنفل درهمان ، سماق أربعة دراهم . تسحق وتستعمل .

آخر — يطيب النكهة : ساذج هندى ورومى وعود الند ومصطكى ومر وقشور الأترنج يابس ، من كل واحد جزء تسحق وتستعمل .

---

(١) ابن البيطار ج ٢/٢٩٩

(٢) باللاتينية phyllantus empliga انظر عنه التحفة رقم ٤٣ وابن البيطار ١٤٥ والغافقى ص ٨٠ رقم ١٣

(٣) يوجد منه ثلاثة أنواع ، انظر ابن البيطار ٢٢٦١ والتحفة رقم ١٢٦ ، والغافقى رقم ١٢٤

(٤) خطأ مطبعى صحته عذبة .

(٥) جاربر رقم ٩٩

(٦) هو باللاتينية cyperus rotundus انظر عنه جاربر رقم ١٠٦

(٧) ابن البيطار ج ١ ص ٨٨ ، والأشنان هو المعروف بالصودا .

(٨) انظر جاربر رقم ٩٢

(٩) بالألمانية Zimmetől وبالانجليزية china-stuc انظر عنه الكلام المفصل عند الغافقى ص ٤٦٨ — ٤٧٥

آخر — ينفع اللثة الدامية وينفع من قروح اللثة : ثمرة الطرفا وسنبل[١] ورامك[٢] وطين أرمنى وطين مختوم[٣] وعصارة لحية التيس[٤] ودار صينى من كل واحد ثلاثة دراهم . يسحق وينخل ويستن به .

آخر — يشد الأسنان المتحركة ويطيب النكهة : قرن ايل محرق واملج محرق بعسل من كل واحد عشرة دراهم ، مر وزعفران وسنبل ومصطكى من كل واحد درهمان ، سداب يابس درهمان ، سماق وجلنار من كل واحد درهم . يسحق ويخلط ويستن به .

آخر — ينفع من قروح اللثة وعفنها : بورق وسعد محرق وشعير محرق من كل واحد جزء . يسحق ويستن به .

آخر — يقوى الأسنان ويطيب النكهة وينفع من البخر الحاصل من جهة الاسنان : قرفة وزر ورد منزوع الاقماع وعود ند وقرنفل وسعد من كل واحد عشرة دراهم ، ملح الأكل خمسة دراهم ، شعير محرق خمسة دراهم ، عنبر درهم ، مسك ثلاث حبات ، يذاب العنبر والمسك فى ماء ورد ويسحق باقى الأدوية ويجبل بماء ورد ويترك يوماً وليلة ، ثم يقرص ويجفف فى الظل ويسحق ويستعمل .

آخر — ينفع من الآكلة واللثة الدامية العفنة : زرنيخ أحمر[٥] وأصفر من كل واحد خمسة دراهم ، مر درهمان ، قاقيا[٦] اثنا عشر درهما ، نورة غير مطفأة خمسة

---

(١) انظر جابر رقم ١٠٩

(٢) دواء مركب من gallum وقشور الرمان والأروماتيكا انظر التحفة ٣٦٠ وجابر رقم ٩٧

(٣) توجد من الطين أصناف كثيرة ، والمذكور منه هنا هو المعروف بالفرنسية باسم rubrique de lemnos وهو peroxyde de fer hydraté وهو أحسن أنواعه ، انظر التحفة رقم ١٩٦ والشرح الطويل عند جابر رقم ١١١٩ ، ص ٣٥٥ — ٣٥٧

(٤) باللاتينية Tragopogon انظر عنه الذخيرة ص ١٠٨ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦

(٥) ابن البيطار ج ٢ / ١٦٠ والتحفة رقم ١٤٥

(٦) صحته أقاقيا من اليونانية ἀκακία انظر ديوسقوريدس ، الترجمة الألمانية التى عملها برندس I. Berendes ونشرت فى ستوتجارت سنة ١٩٠٢ ، ج ٣٣/١ ويعرف عادة باسم صمغ عربى .

دراهم ، زنجار[١] درهم . يدق وينخل ويعجن بخل خمر ، ويقرص وعند الحاجة يسحق ويستن به إن شاء الله تعالى » .

هذه الوصفات الطبية التى يقدمها ابن القف نجد ما يشبهها فى مراجع أخرى وخاصة فى كتب الأدوية . ومعظم هذه الوصفات قديم يرجع إلى أصول يونانية ، ونحن لا نجد اختلافاً كبيراً بين ما يقدمه منها ربَّن الطبرى وابن القف ، فهذه الأنواع المختلفة من العقاقير والأدوية تتكرر وتتوارد وتستعمل منذ الزمن القديم ، ولهذا فإننى أسوق فيما يلى نموذجا من الوصفات من كتاب أدوية وعلاجات[٢] خاص بالمستشفيات .

٣ — الدستور البيمارستانى :

هذا الكتاب مجموع أدوية للاستعمال فى البيمارستانات ألفه ابن أبى البيان وهو طبيب يهودى مصرى كان صديقاً وشيخاً لأبن أبى أُصَيْبعة وقد ولد فى القاهرة سنة ٥٥٦/١١٦١ وكان من أشهر أطباء وقته[٣] . وقد عمل طبيباً للسلطان الملك العادل وأستاذاً للطب فى البيمارستان الناصرى فى القاهرة . وأما كتابه المذكور فيسوق فيه وصفات طبية من طب جالينوس ، وقد تحدث عنه ابن أبى أصيبعة فى « طبقات الأطباء » (ج ٢ ص ١١٨ — ١٢٥) وقام بنشر النص بول سبات Paul Sbath فى صحيفة معهد مصر Bulletin de l'Institut d'Égypte رقم ١٥ (١٩٣٣ ص ١٣ — ٧٨) والكتاب مقسم إلى إثنى عشر فصلا يتناول الفصل الحادى عشر منها أدوية الأسنان ص ٦٨ — ٦٩ وفيما يلى نص هذه الوصفات :

---

(١) انظر عنه ابن البيطار رقم ١١٣١ والتحفة رقم ١٤٨

(٢) لكل كتاب من كتب الأدوية مصطلحه الخاص . فبينما تقول الكتب الألمانية man nehme تقول الكتب العربية الطبية خذ أو تأخذ أو يؤخذ .

(٣) انظر عنه بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ملحق ١ / ٨٩٦
Leclerc, *Médecine Arabe*, II, 218—219.
Steinschneider, *Die arab. Lit. d. Juden*, Frankfurt, 1902, p. 195—196.

الباب الحادى عشر
فى أدوية الفم والسنونات

صفة قرص الزرنيخ : ينفع من الحفر وعفونة اللثة وغلبة الفساد عليها . يؤخذ نورة مطفأة بخل خمر سبعة دراهم ، قشر أصل الكبر[١] خمسة دراهم ، زرنيخ أحمر وأصفر من كل واحد أربعة دراهم ، شب درهمان ، عفص[٢] وثمر الطرفاء من كل واحد ثلاثة دراهم ، يسحق الجميع ويعجن بزئبق البيض الرقيق ويقرص أقراصاً رقاقاً ويعمل على خرقة ويجفف ويستعمل فى التنور بعد هدوّ ناره إلى أن يحترق ، ويُخرَج ويسحق ويُستاك به ويتمضمض بعده بخل وماء ورد وماء الآس .

دواء يضمد اللثة : وهو شب وأقاقيا وجلنار وعفص وسماق وقشور الرمان وملح أجزاء سواء ، يسحق الجميع ويضمد به ويتمضمض بعده بماء السماق والورد .

برود تكمد به اللثة التى يجرى منها دم فيقويها ويمنع خروج الدم منها : وهو ورد كزمازج[٣] و كزبرة[٤] يابسة وبزر بقلة[٥] وطباشير[٦] وطين رومى وجلنار من كل واحد جزء ، يسحق الجميع ويكمد به ويتمضمض بعده بخل وماء الورد .

صفة سنون يجلو الأسنان ويشد اللثة ويطيب النكهة : يؤخذ دقيق شعير معجون بخل خمر مجفف محرق وملح دارانى[٧] وزبد البحر من كل واحد عشرة

---

(١) باللاتينية Capparis spinosa انظر عنه ابن البيطار والتحفة رقم ٢٢٣

(٢) ابن البيطار ١٥٦٤ والتحفة رقم ٣٠٩ ، ٣٨٧ وخاصة الشرح المفصل عند جابر رقم ٣ ص ١٦٥ — ١٦٧

(٣) ابن البيطار ١٧ و ١٩٢٩ والتحفة ٢٣ و ١٠٦ و ٢٢٨

(٤) ابن البيطار ١٩٣٣ والتحفة ٢٣٠

(٥) المراد بالبقلة هنا هى بقلة الرجلة أو البقلة الحمقاء انظر عنها ابن البيطار ١ — ٣١٣ والتحفة رقم ٦١ و ٦٨ و ٧٩

(٦) انظر الشرح عنه عند جابر رقم ١١٩ ص ٣٥٣ — ٣٥٥

(٧) يسمى عادة بالأندرانى انظر عنه جابر رقم ٧١ ب ص ٢٦٩ — ٢٧٠ و ZS, II (1924) 220

دراهم ، عاقر قرحا وكبابة[١] وثمر الطرفاء من كل واحد خمسة دراهم ، شب يمانى درهمان ، سماق أربعة دراهم ، قرنفل[٢] ومصطكى وسنبل من كل واحد مثقال ، عقيق محرق وخزف صينى من كل واحد ثلاثة دراهم ، يدق الجميع ولا ينعم سحقه ويخلط ويستاك به .

سنون آخر : سعد وملح دارانى وزبد البحر من كل واحد خمسة دراهم ، قيشور[٣] وهو الحقاق[٤] الذى يحك به الرجل سبعة دراهم فحم حطب الكرم عشرة دراهم ، عاقر قرحا ثلاثة دراهم ، يدق الجميع ولا ينعم سحقه ويستاك به .

سنون آخر لوجع الأسنان عن برد : فلفل وعاقر قرحا وزنجبيل من كل واحد أربعة دراهم ، بورق أرمنى ثلاثة دراهم ، يسحق الجميع وتكبس به الأسنان[٥] .

ثانياً — العلاج العملى فى المراجع العربية

تكلمنا فيما سبق عن كتب الطب النظرية والآن نتناول التطبيق العملى ، أى وصف حالات وما يعمل فيها وما ورد عن ذلك كله فى الكتب العربية .

---

(١) انظر الشرح عند جابر رقم ٥٢ (٢) جابر رقم ٩٠ ص ٢٩٧ — ٣٠٠

(٣) صحته قيسور وأصله اليونانى κίσσηρις وقد انتقل إلى العربية عن طريق الآرامية ، انظر القاموس السريانى لبروكلمان ص ٦٨٠ ب ومنه يرى أن رسم اسم هذا الدواء قيشور وقيصور وفيشور خطأ ، كما يتبين من قاموس المواد لزيجل Siggel, *Arab.- deutsches Wőrterbuch der Stoffe*, p. 85—86
وقد ذكر اللفظ هناك دون مراجع أصلية وقد أخذه عنه
Julius Ruska, *Das Steinbuch des Aristoteles*, Heidelberg, 1912, p. 54, Nr. 54.

(٤) خطأ فى الأصل صحته الخفاف ورد فى دوزى ١/٣٨٥ ب ، وعرف بأنه حجر خفيف ولهذا يسمى الحجر الأبيض الخفيف . وانظر عنه قاموس هانز فير ٢٢٤ وقد ورد فى صوره حجر الخفاف بتشديد الفاء الأولى فى القاموس العربى الفرنسى تأليف Barthélemy ص ٢١٠ وعرف بأنه pierre ponce وذكره كذلك ماكس مايرهوف فى تعليقاته على كتاب شرح أسماء العقار لموسى ابن ميمون رقم ١٤١ ص ٦٩ وعرفه بأنه حجر إزاله الشعر pierre á raser

(٥) مثل هذه الأدوية يذكرنا بأدوية تستعمل عندنا انظر مثالا من ذلك فى مجلة :
Der Zahnarzt 22 (1867), p. 122
فهناك نجد عدداً من الأدوية السحرية للأسنان مع تركيبها الكيماوى .

١ — علاجات الأسنان :

يرد عرضاً فى المؤلفات العربية بين الحين والحين ذكر صور من علاج الأسنان ، ولابد من جمع الفقرات الخاصة بهذه العلاجات وترتيبها منهجياً ، فمن ذلك ما ورد فى كتب التاريخ العربى من أن الخليفة عثمان (٦٤٤—٦٥٦) كان يشد أسنانه بالذهب ، فقد ذكر ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠/٨٤٥ فى كتاب « الطبقات » (طبعة بيروت ١٩٥٧ جـ ٣ ص ٥٨) « وكان عثمان يشد أسنانه بالذهب » . وورد فى مسند أحمد بن حنبل (جـ ١ ص ٧٣) أن أسنان عثمان كانت مشدودة بالذهب . وذكر نفس الحكاية اليعقوبى فى تاريخه (طبعة هوتسما جـ ٢ ص ٢٠٥) وقال إن أسنان عثمان كانت مشدودة بالذهب وكان ذلك يعطى لحيته لوناً أصفر . وهذا لا يفسر إلا بأن الذهب الذى كان يشد أسنان عثمان كان بريقه ينعكس على شعر اللحية فتبدو صفراء .

ونقرأ فى ترجمة معاذ بن مسلم الهراء (١٠١ — ١٨٧) فى وفيات الأعيان لابن خلكان (طبعة القاهرة ١٢٩٩ جـ ٢ ص ٥٤ وما يليها وترجمة ديسلان جـ ٣ ص ٣٧٠) أنه كان يشد أسنانه بالذهب لعلو سنه . وورد كذلك فى ترجمة أبى عمرو بن العلاء (ت ١٥٤/٧٧٠) — وكان من أعلام النحويين من مدرسة البصرة — أن أسنانه الأمامية كانت مكسوة بالذهب . (انظر مقال ر. زيلهايم المسمى : « العلماء والتبحر فى العلم فى دولة الخلفاء » ، نشر فى مجلد التكريم الخاص بالأستاذ باول كيرن ، فرانكفورت ١٩٦١ ص ٧٣)[١] .

وكانت تقوية الأسنان بشدها بالذهب — وربما كذلك حشوها به — (انظر مجلة الجمعية الأمريكية لطب الأسنان رقم ٢٤ سنة ١٩٣٧ ص ١٨٥١)[٢] أمراً شائعاً عند العرب فى صدر الإسلام .

---

(١) R. Sellheim, *Gelehrte und Gelehrsamkeit im Reiche der Chalifen* in Festgabe für Paul Kirn, Frankfurt, 1961, p. 73.

(٢) Journ. Am. Dent. Soc. 24 (1937), p. 1851.

وتتضمن الأحاديث النبوية أخباراً هامة عن تاريخ الحضارة العربية خلال القرنين الأولين الإسلاميين (أى القرنين الثامن والتاسع الملاديين) وهذه الأخبار ، وإن لم تكن ثابتة الصحة من الناحية التاريخية ، إلا أن لها أهميتها الواضحة . ومن ذلك أننا نجد فى كتاب « الجامع الصحيح » للترمذى (ت ٢٧٩/ ٨٩٢) فى الفصل الخاص باللباس ، الباب الثلاثين ، مجلد ٧ ص ٢٦٩ وعنوانه فيما يتعلق بما ورد عن شد الأسنان بالذهب .

وتدور الأحاديث المروية فى ذلك الباب مسندة إلى علماء كثيرين حول أن العرب القدماء كانوا يشدون أسنانهم بالذهب . وأن ذلك كان أمراً شائعاً . ويروى أحمد بن حنبل بهذا الخصوص فى الجزء الخامس (ص ٢٣) من مسنده عن حماد بن أبى سليمان الكوفى أنه قال أنه رأى المغيرة بن عبد الله وقد شد أسنانه بالذهب .

وكان الذهب[1] يستعمل أيضاً فى تعويض الأعضاء المفقودة أو المصابة بعاهات ، وقد حدث أن فقد عرفجة بن أسعد أنفه فعمل لنفسه أنفاً من

---

(١) بل كان المصريون القدماء يستعملون الذهب لعلاج الأسنان أو لحشوها . انظر :
Hermann Junker, *Giza* I (Denkschriften d. Akademie d. Wiss. in Wien, Phil.-hist. Klasse, 69 Bd. 1. Abh. Wien, 1929, p. 256—257).

وانظر عن الأسنان فى ترجمة النصوص الطبية .

Hildegard von Deines, H. Grapow, W. Westendorf, *Grundriss der Medizin der alten Agypter*, IV, 1, Berlin 1958, p. 65—67.

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك مكان معين لأطباء الأسنان فى مصر القديمة كما بين ذلك هيرمان يونكر فى مقاله :

Hermann Junker, *Die Stele der Hofärzte 'Irj'* in: Zeitschr. f. Agypt. Sprache, Bd. 63 (1928), p. 68—70.

وقد أثبت ذلك اعتمادا على لوحة هيرودرت الثانية ٨٤ Herodot-Stelle II, 84

وانظر أيضاً :

Hugo Lewin, *Zahnerkrankungen und deren Behandlung im alten Agypten,* Berlin 1921.

J. B. Weinberger, *The Dental Art in Ancient Egypt,* Jour. Amer. Dent. Ass. 34 (1947), 170—84.

ورق[١] الغار ولكن الورق تفتت فأمره الرسول أن يعمل لنفسه أنفاً من الذهب ، وقد روى ذلك الطيالسى ت ٢٠٤/٨١٩ فى مسنده حديث ١٢٥٨ وكذلك ذكره ابن سعد فى الطبقات مجلد ٧ كراسة ١ ص ٣٠

وقد اعتمد على هذا الحديث العلماء الذين كانوا يشدون أسنانهم بالذهب ، وكانوا يذكرونه للقول بأن استعمال الذهب فى هذا الوجه حلال ، وذلك نظراً لأن استعمال الذهب عند المسلمين كان خاضعاً لقيود كثيرة .

وإذن فقد كان الناس يلجأون إلى تعويض الأسنان الناقصة بأسنان من الذهب . وقد روى ابن حجر فى لسان الميزان جـ ٣ ص ٢٢٠ أن عبد الله بن عبد الله ابن أُبَيّ فقد فى معركة أُحُد إحدى رباعياته فنصحه رسول الله بأن يعوضها بسن ذهبية . ومن المهم أن نذكر مسألة تقييم الأسنان ، فإن الشريعة الإسلامية تقر الدية التى يؤديها إنسان أصاب آخر بجرح أو تسبب فى أن يفقد أحد أعضائه كالأصبع واليد والقدم والعين والسن . واعتماداً على أحد الأحاديث تقدر دية السن بخمسة نوق ، وهذا يمثل واحدا على عشرين من دية القتل ، لأن دية حياة الانسان كانت مائة بعير . ولما كان للانسان إثنان وثلاثون سناً فإن ديتها كلها تكون مائة وستين بعيراً ، أى أكبر من دية الحياة نفسها . وعلى الرغم من أن تقدير دية السن بهذا القدر يبدو غريباً[٢] فإن أهل الشرع أقروه (انظر

---

(١) فى الأصل من الورق فقط والمراد ورق الغار — وورد بعد ذلك ذكر رقائق من الفضة وورق البردى — وذكر أيضاً الورق فقط علماً بأن الورق لم يكن موجوداً على أيام الرسول

O. Spies, *Orientalische Kultureinflüsse im Abendland,* Braunschweig 1949.

وانظر كذلك :

Hans H. Bockwitz, *Die früheste Verwendung von Papier in den altislamischen Kanzleien, in: Papiergeschichte,* Jg. 1, Nr. 3, Oktober 1951, p. 39—40.

ولما كانت الفضة لا تتلف فانى اعتقد أن المراد هنا ورق البردى أو سعف النخل أو عروق الورق وقد كتب اللفظ ناشر ابن سعد ورق بكسر الراء أى الفضة (وأعتقد أن هذا هو المراد هنا ولا دخل لورق الشجر فى الموضوع) .

(٢) J. Wellhausen, *Reste arabischen Heidentums,* 2. Auflage, Berlin 1927, p. 272.

عن ذلك كتاب « تبيين الحقائق » لعثمان بن على الزيلعى ت ٧٤٣/١٣٤٢ طبعة القاهرة ١٨٩٧ مجلد ٦ ص ١٣١ وكتاب الدُر المختار لابن عابدين طبعة القاهرة ١٩٠٨ الطبعة الثانية مجلد ٥ ص ٣٨٣) وينطبق هذا أيضاً على حالات قلع الأسنان . وبين علماء الحنفية خلاف فى هذا الموضوع فى حالة ما إذا عوضت السن المقلوعة بسن أخرى ، وهذه المسألة معروضة بالتفصيل فى كتاب « بدائع الصنائع » للكاسانى جـ ٧ ص ٣١٤ — ٣١٥

عرف العرب قبل الإسلام تنظيف الأسنان بالسواك أو المسواك[1] . ولم يرد ذكر استعمال السواك أو المسواك فى القرآن الكريم ، ولكن وردت عنه أحاديث نبوية كثيرة ، ويمكن الرجوع فى ذلك إلى كتاب فانسنك المسمى « مرجع عن الأحاديث المحمدية الأولى » ليدن ١٩٢٧ ص ٢٣٠[2] (وتجد الأحاديث المتعلقة بهذا واردة فيه تحت لفظ Toothbrush (فرشة الأسنان) وأكثر مراجع الحديث مادة عن ذلك الموضوع هو « كتاب كنز العمال » جـ ٥ ص ٧٥ — ٧٧ من رقم ١٥٢٩ — ١٦٠١

وكان رسول الله (صلعم) كثير الاستعمال للخلال (الخله) وتنبيه الناس لقيمتها ، وكان أول ما يتناوله عندما يعود إلى بيته هو خلال الأسنان (انظر صحيح مسلم باب الطهارة حديث ٤٣ ومسند أبى داود ، الطهارة باب ٢٧) وكان فى الليل ينظف فمه بالخلال قبل أن يغتسل ويصلى العشاء (صحيح البخارى ، الأذان باب ٨ والوضوء باب ٧٣ والتهجد باب ٩ ومسند أبى داود : الطهارة باب ٣٠ وصحيح مسلم ، الطهارة حديث ٤٦ و ٤٧) وكان يستعمل الخلال بعد

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) جـ ٣ ص ٦١٦ ب
Handwőrterbuch d. Islam, p. 517.

(٢) A. Wensinck, *A Handbook of early Muhammedan Tradition,* Leiden 1927, p. 230

الأكل (مسند الدارمى جـ ٨ ص ٤١) وكذلك عندما كان يصوم (مسند ابن حنبل جـ ٣ ص ٤٤٥ — ٤٤٦ ومسند الطيالسى حديث رقم ١١٤٤) وكان يخلل أسنانه قبل الوضوء للصلاة (ابن حنبل جـ ٥ ص ٢٢٥ وصحيح مسلم ، الطهارة حديث ٤٨) . وقد روى مسلم (الصحيح باب الطهارة حديث ٤٥ أن رسول الله استقبل زائراً والسواك على طرف لسانه ، ولولا أن محمداً (صلعم) خشى أن يسرف الناس فى استخدام السواك لجعل تسويك الأسنان قبل كل صلاة أمراً واجباً (صحيح البخارى كتاب الآذان باب ٨ وصحيح مسلم كتاب الطهارة حديث ٤٢ ومسند أبى داود كتاب الطهارة باب ٢٥ وصحيح الترمذى كتاب الطهارة باب ١٨) . وبناء على حديث رواه النسائى فى صحيحه (كتاب الجمعة باب ٦٦) اعتبر تسويك الأسنان واجباً قبل صلاة الجمعة . وكان محمد يجعل للسواك أهمية كبرى حتى أن صاحبه عبد الله بن مسعود لقب بصاحب السواك ، أى أنه كان مسؤولا عن النظر فى سواك النبى (انظر صحيح البخارى ، فضائل الصحابة باب ٢٠) وكان زيد بن خالد يضع المسواك خلف أذنه «كما يضع الكاتب القلم» (مسند أبى داود كتاب الطهارة باب ٢٥ وصحيح الترمذى كتاب الطهارة باب ١٨) وقد قالت عائشة فى حديثها الخاص بمرض النبى الأخير «لما رجع رسول الله (صلعم) فى ذلك اليوم دخل حجرته فاضطجع فى حجرى فدخل علىَّ رجل من آل أبى بكر فى يده سواك أخضر ، فنظر رسول الله (صلعم) إليه وهو فى يده نظرة عرفت أنه يريده ، فقلت يارسول الله تريد أن أعطيك هذا السواك ؟ فقال : نعم فأخذته فمضغته حتى لينته ثم أعطيته إياه فاستن به كأشد ما رأيته أستن بسواك قبله ثم وضعه» (طبقات ابن سعد ، بيروت ١٩٥٧ جـ ٢ ص ٢٣٣ — ٢٣٤ وانظر أيضاً كتاب فرانس بول Franz Bull المسمى حياة محمد ، ليبزج ١٩٣٠ ص ٣٥٤) وقد أثبت إجناس جولدتسيهر فى بحث نشره فى مجلة تاريخ الأديان مجلد ٤٣ ص ١٥ وما يليها عنوانه

« الإسلام والبارْسِيّه » أن استعمال المسواك قبل الموت كان عادة إيرانية أخذها العرب عن الفرس[١] .

ولم يكن المسواك يستعمل لتنظيف الأسنان فحسب ، بل كان له معنى يتصل بالعبادة ، وكان استعماله يأخذ طابعاً دينياً وقد نشر أ. فيدمان أبحاثاً فى « مجموعة تاريخ العلوم الطبيعية » رقم ٤٥ تحت عنوان « طب الأسنان عند العرب » نشره فى بيان جلسات جمعية الطبيعة والطب فى أيرلانجن رقم ٤٧ (١٩١٥ ص ١٢٧ — ١٢٩) تكلم فيها عن ذلك الموضوع . وتكلم عنه كذلك بصورة خاصة فى « صحيفة المراسلات الخاصة بأطباء الأسنان » مجلد ٤٣ سنة ١٩١٤ ص ٢٣٤ — ٢٣٦ وقد تكلم فيدمان فى مقال « طب الأسنان عند المسلمين » المذكور آنفا بتفصيل عن استعمال الخلال والمسواك ، وعاد فتناول ذلك فى مقال « حول العناية بالأسنان عند الشعوب الإسلامية » وقد نُشر هذا البحث فى « المجلة الألمانية الشهرية لطب الأسنان » مجلد ٣٦ (١٩١٨) من ص ٣٦٢ إلى ص ٣٦٦ وأضاف إلى الموضوع مادة جديدة[٢] .

---

(١) وقد كان ألقى هذا البحث فى المؤتمر الدولى الأول لتاريخ الأديان الذى نشرت أبحاثه فى مجلد فى باريس سنة ١٩٠٠ ص ١٣٣ — ١٣٥

(٢) فيما يلى عناوين المقالات المشار إليها هنا :

E. Wiedemann, *Zahnärztliches bei den Muslimen, Beiträge zur Geschichte der Naturwissenschaften:* XLV in: Sitzungsber. d. Physik.-Medizin. Societät in Erlangen 47 (1915), p. 127—129.

وقد أشار بصفة خاصة إلى :

Correspondenzblatt für Zahnärzte Bd. 43, 1914, p. 234—236.

وقد كتب نفس المؤلف مقالا عنوانه : Über Zahnpflege bei den Muslimischen Völkern

نشر فى Deutsche Monatsschrift für *Zahnheilkunde,* Bd. 36 (1918), p. 362—366.

ولا يوجد فى كتاب H. Sachs, *Der Zahnstocher und seine Geschichte,* Berlin 1913.

ذكر لاستخدام الخلال أو المسواك فى الشرق مع أن العرب عرفوا فرشة الأسنان فى صورة المسواك قبل أن تعرف ذلك شعوب كثيرة . ويجد الانسان بعض المادة عن الموضوع فى :

Rudolf Hinze, *Beiträge zur Geschichte der Zahnbürste und anderer Mittel zur Mund- und Zahnpflege,* Med. Diss. Berlin 1930.

وقد اعتمد فى ذلك على رسالة ناقصة لزكى حشمت ميرزا كرام بك :

Zaki Hischmet Mirza Kiram-Bey, *Zahn-und Mundpflegemittel bei den mohammedanischen* Völkern, Med. Diss. Berlin 1923.

وأما فيما يتعلق بتقدير العرب للسواك ومكانه من احترامهم فإن ذلك يرجع إلى أن استعماله كان معتبراً من خصائص الفطرة أى الدين الطبيعى (مسند أبى داود كتاب الطهارة باب ٢٩ ، صحيح البخارى ج ٤ ص ٣٣ — ٨١ وصحيح النّسائى ٤٨ — ٤٩ ، ومسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٦٤ و ج ٦ ص ١٣٧).

وكان استعمال المسواك معتبراً فى نَظَر المتأدبين من علامات الذوق الرفيع. وقد خصص الوَشّاء (المتوفى سنة ٣٢٥/٩٣٦) فصلا خاصاً للمسواك فى كتابه الهام بالنسبة لتاريخ الحضارة المسمى «كتاب الموشى» نشره محققا ر. برونوف فى لايدن ١٨٨٧ وقد قال فى فاتحة ذلك الفصل (ص ١٤٠ — ١٤١) «اعلم أن من زى الظرفاء وأهل المروة وأرباب الديانة والترفل استعمال السواك والتسوك فهو أنبل النظافة وأحسن الطهارة وأكمل المروة ويرغب فيه أهل الظرف والفتوة وله خصال مستحسنة وهو أيضاً من السنة».

ويتنـاول المؤلف أبو الطيب محمد بن اسحق ابن يحيى الوشاء بعد ذلك (ص ١٤١ — ١٤٥) الأحاديث النبوية المتعلقة بالسواك المتخذ من خشب الأراك (Salvadora persica) والآنية التى يحفظ فيها وكذلك استعماله وما قاله الشعراء فيه.

وعلى سبيل الذكر فقط نقول إنه فى ميدان الأدب كانت لأسنان المحبوب الجميلة أهمية كبيرة ، فكانت الأسنان تشبه بعقد اللآلئ ولا ينبغى الاستطراد هنا فى ذلك الموضوع لأنه جدير بأن يخصص له بحث خاص. وقد حدثنى الأستاذ يوحنا فوك Johannes Fűck أن المسواك كان يذكر أحيانا فى الشعر القديم بمناسبة ذكر أسنان المحبوبة الجميلة ، ومثال ذلك ما يرد فى المفضليات بتحقيق كريستيان لَيَال قصيدة رقم ٤٠ بيت ٣ وتعليق ليال على ذلك.

٣ — تشويه الأسنان قصداً

من المعروف بصورة عامة أن الشعوب البدائية وخاصة هنود أمريكا كانوا يعمدون إلى تشويه أسنانهم وتكسيرها قصداً ، وقد قدم ب. و. فاينبرجر

تفصيلا وافياً عن ذلك فى كتابه تاريخ طب الأسنان مجلد ١ ص ١٦٥ — ١٩٢ الفصل العاشر وعنوانه « تجميل الأسنان وتشويهها » .

وكتب فى ذلك الباب بينى فان ريبن[1] مقالين قدم فيهما تحليلا مفصلا ومطولا عن مختلف صور التشويه فى العالم . وكانت الأسباب التى تدفع هؤلاء الناس إلى القيام بهذه التشويهات كثيرة من بينها زيادة الجمال وإكمال حسن الطلعة ، ويبدو أن هذه العادة كانت منتشرة فى جزيرة العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام . ولكن الإسلام الذى كان يرى فى الانسان أكمل صور الخلق الإلهى لم يكن يقبل هذا التشويه أو التعديل فى خلق الله ، ومن هنا فقد حرم تشويه الأسنان عمداً وكذلك حرم كل الأعمال المشابهة التى يقصد من ورائها إلى التجميل .

وقد أورد البخارى فى صحيحه ، كتاب اللباس ، رقم ٧٧ باب ٨٢ حديثاً يتعلق بالنساء اللائى كن يبردن أسنانهن الطويلة لتقصيرها طلباً للجمال أو اللائى كن يكسرن سناً أمامية ليحدثن فجوة فى صف الأسنان ، وقد روى حديث عن علقمة عن عبد الله يقول إن الله يلعن النساء اللائى يتخذن الوشم أو يشتغلن به واللائى يُزلن شعر حواجبهن واللائى يبردن أسنانهن أو ينزعن سناً أمامية طلباً للتجمل وكذلك كل النساء اللائى يغيرن خلقة الله . وقد قال عبد الله ولماذا لا ألعن أولئك اللائى لعنهن الله اتباعاً لما ورد فى كتاب الله « وما أتاكم الرسول فخذوه . وما نهاكم عنه فانتهوا » (سورة الحشر رقم ٥٩ آية ٧) .

ويرد نفس الحديث فى صورة مقاربة فى صحيح النسائى ، كتاب الزنا رقم ٤٨ حديث رقم ٢٠ و ٢٧ (من طبعة القاهرة ١٣١٢ مجلد ٢ ص ٢٨١ وكذلك فى

---

(١) عنوان المقالين :

Bene Van Rippen: *Practices and customs of African natives involving dental procedures. Dental procedures among the Natives of Australasia, Melanesia etc.,* Jour. Allied Dental Soc., vol. 13, 1918, p. 1—22, 365—387.

مسند ابن حنبل ج ٤ ص ١٣٤ — ١٣٥) ومن ذلك يتبين أن كل تشويه مقصود للأسنان لغرض التجميل محرم .

٤ — خبر عربي عن علاج الأسنان في الصين

ويتصل بذلك الموضوع خبر أورده ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩/ ١٣٤٩) فى «مسالك الأبصار» ولابد من الاشارة إليه فى هذا المقال . وقد روى العمرى[١] ذلك الخبر فى سياق كلامه عن الصين أو بلاد القان الكبير كما كان يسميها ، قال : «وكنا جماعة بحضرة سيدنا وشيخنا فريد الدهر وارث العلم والحكمة شمس الدين أبى الثناء محمود الإصفهانى ، فقال الشريف السمرقندى : أنا أحكى لكم ما جرى لى : كنت أشكو ضرسا فى فمى فرآنى بعض من كنتُ أَلِفتُ به فى بلاد الصين وأنا أتألم لشدة الضربان ، فسألنى عما بى فشكوتُ إليه وجع ضرسى ، فاستدعى شخصاً حطّابا قصير القامة ، فقال له : ابصر حال هذا المسكين ، فنظر إلى فمى وبقى يقلّب أضراسى بيده هُنيهة ، ثم أخرج ضرسى الواحد ونصف الآخر ولم أشعر لهما بألم ، ثم أخرج من خريطة له كانت معه أضراسا كانت كوامل وأنصافا وأثلاثا وأرباعا معدة عنده لوضعها فى مواضع ما يقلع ، ثم لم يزل يقيس مواضع ما قلع لى حتى وضع موضعها من تلك الأضراس ، ثم ذرّ عليها ذروراً ودهنها بدهن الْتَأَمَتْ به لوقتها ، وأمرنى أن لا أشرب عليها الماء يومى ذلك ، ففعلتُ كأنى ما قلعت شيئا ، وأرانى أضراسه[٢] ،

---

(١) مخطوط أيا صوفيا ٣٤١٦ ورقة ٣٨ ب . وقد نشر هذا النص تحت عنوان حديث العمرى عن المغول وقام بذلك كلوس ليش Klaus Lech فى رسالة دكتوراه نشرت فى بون .

(٢) وكان لأهل الصين علم متقدم بطب الأسنان وكانوا يعرفون كسوة الأسنان بالذهب . انظر عن ذلك رحلة ماركو بولو طبعة أ. س. مول و ب. بيليوت لندن سنة ١٩٣٨ فصل ١٢٠ ص ٢٨١ وانظر فيما يتعلق بالطب عند أهل الصين .

Ed. H. Hume, *The Chinese Way of Medecine,* Baltimore 1940.

David S. K. Dai, *Dentistry in China, Past and Present,* Jour. Amer. Dent. Ass. 30 (1943), 219—20.

P. Huard et M. Wong, *La médicine chinoise au cours des siècles,* 1961.

فوجدناها كأحسن ما يكون خلا أن [المستجدة] ظاهر عليها أنها [ليست] من نوع البقيّة ، والضرس المشعوب يظهر أن نصف الشعب من غير النصف الأول » .

مراجع

المراجع التى لم تذكر فى البحث إلا مرة واحدة وردت فى تضاعيفه . ولما كنت قد قصدت بهذا البحث فى المكان الأول أن يفيد منه مؤرخو طب الأسنان والطب فقد تركت جانباً الشروح الفيلولوجية والتعليقات الخاصة بمصطلحات الصيدلة والعلوم الطبيعية ولم أشر إلى ذلك إلا إشارة يسيرة .

— ابن البيطار : الأدوية المفردة ، نشر نصه مع ترجمة فرنسية ل. ليكليرك فى باريس سنة ١٨٧٧ فى ثلاث مجلدات .

— تحفة الأحباب : وهو معجم للمادة الطبية المغربية نشره رينو وكولان فى باريس ١٩٣٤

H. P. J. Renaud et G. S. Colin, *Tuḥfat al-Aḥbāb*, *Glossaire de la Matière Médicale Marocaine*, Paris, 1934.

— ثابت بن قرة : كتاب الذخيرة بتحقيق الدكتور جورجى صبحى (القاهرة ١٩٢٨) .

الغافقى : مختصر كتاب الأدوية المفردة نشره مع ترجمة انجليزية وتعليقات وفهارس ماكس مايرهوف وجورجى صبحى (القاهرة ١٩٣٢ — ١٩٤٠ لم يتم) .

— موسى بن ميمون : شرح أسماء العقار نشره مع ترجمة فرنسية ماكس مايرهوف (القاهرة ١٩٤٠) .

أوتو شبيس

ترجمه عن الألمانية حسين مؤنس

مُستدرك

على نص كتاب

ضوابط دار السكة

لأبى الحسن على بن يوسف الحكيم

نشرتُ فى المجلد السادس من هذه الصحيفة (١٩٥٨) نصَّ كتاب « الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة » ، وعلى أساس النص المنشور فى الصحيفة طبعنا فى المعهد عدداً محدوداً من النسخ زودناه بفهارس وأخرجناه فى صورة كتاب ليستفيد منه من يرغب فى الحصول على ذلك النص القيم على حده .

وقد قدمت لتحقيقى للنصِّ بمقدمةٍ قصيرةٍ قلت فيها إننى نشرته على نسخة وحيدة تيسرت لى بين ما اشتراه معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد من مخطوطات تخلفت عن مكتبة المستشرق ليفى بروفنسال بعد أن بيعت كُتُبها جملة إلى أحد الكتبيِّين .

وهذه النسخة الوحيدة جيدة فى جملتها وان نقصت منها صفحات من الأول ضاع بسببها معظم فاتحة الكتاب ، وفيها أيضاً خروم قليلة اجتهدت فى إكمال ما تيسر لى إكماله منها ، ونبهت على الباقى منها فى مواضعه فى الحواشى . وقلت كذلك إن النص فيه أخطاء كثيرة فى النسخ والكتابة ووقعت فيه سهوات استطعت أن أتدارك بعضها .

ومنذ ذلك الحين حصلت على صورتين من نسختين أخريين ظهرتا فى المغرب وتفضل إخوانى أهل العلم فى ذلك القطر العربى الكريم فاستخرجوا لى صوراً فوتوغرافية منهما لأستعين بهما إذا ما حانت فرصة لإعادة نشر هذا الكتاب الفريد فى بابه .

ولهذا فإننى أرى لزاماً علىّ أن أقدم الشكر فى مطلع ذلك الاستدراك على نص الكتاب كما نشرتُه إلى الإخوة الأساتذة إبراهيم الكتانى وعبد الله الرجراجى القائمين بأمر المخطوطات العربية فى الخزانة العامة بالرباط والعابد الفاسى العلامة المتقن بمكتبة القرويين بفاس .

وقد رأيت أن إعادة طبع النص قد تتأخر ، وبدا لى أنه من المستحسن أن أكتب استدراكاً يضاف إلى النص أتحدث فيه عن المخطوطين الجديدين وأستدركُ فيه المهمّ مما يتعين استدراكه ، خاصة وكتاب الدوحة المشتبكة متداول الآن على نطاق واسع بين المتخصصين ، وهذا ظاهر من الكتب التى نشرت أخيراً فى باب النُميّات الإسلامية وصناعة سك العملة فى بلاد الإسلام ، وأخُص بالذكر منهما كتاب « الجوهرتين العتيقتين والحجرتين المائيتين من الصفراء والبيضاء » لأبى محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى العلامة اليمنى المشهور صاحب كتابى « صفة جزيرة العرب » و « الاكليل » الذى ولد فى صنعاء فى اليمن فى القرن الثالث الهجرى وتوفى فى صنعاء سنة ٣٣٤/٩٤٥ — ٩٤٦ بعد حياة حافلة بالرحلات والتأليف والدرس والمغامرات .

والهمدانى علامة موسوعى كتب كتاباً شاملا جمع فيه معارف أهل عصره فى كل فن ، وكتاب الجوهرتين يغلب على الظن أنه جزء من هذه الموسوعة يدور حول الذهب والفضة والسكة الإسلامية بصورة عامة ، وقد نشره أخيراً كريستوفر تول فى أبساله .

Al-Hamdānī, «*Kitāb al-Gauharatain*» *Die Beiden Edelmélalle, Gold und Silber*. Herausgegeben und űbersetzt von Christofer Toll (Uppsala, 1968).

وقد نشر كريستوفر تول هذا الكتاب منسوخاً بيده ومطبوعاً بطريقة الأوفست وترجمه إلى الألمانية ترجمة ممتازة ، وقدم له بدراسة ضافية وذيله بثبت واف بالمراجع يعتبر من أكمل ما رأيناه من جوامع المراجع فى النُميَّات الإسلامية .

أما المخطوطتان الجديدتان لكتاب الدوحة المشتبكة فإن الأولى من هاتين تحمل رقم ٢٢٣١ بالخزانة العامة بالرباط وعدد ورقاتها ٥٧ ورقة وهى مكتوبة بخط مغربى جميل والعناوين بالحبر الأحمر ، وأوراقها من الحجم المتوسط ، وكاتب النسخة رجل يسمى محمد بن موسى بن ناصر الهلالى ، وقد فرغ من عملها فى أول رجب سنة ١٠٧٣ ﻫ ، وجدير بالذكر أن عبارة الختام فى هذه المخطوطة شديدة الشبه بعبارة الختام فى المخطوطة التى نشرنا عليها النص سنة ١٩٥٨ ، ولكن النسخة فى مجموعها أسلم بكثير ، وهى تخلو من الأخطاء التى وقعت فى النسخة التى نشرنا عليها . ومن حسن الحظ أننا عندما قمنا بالتحقيق استطعنا تدارك معظم هذه الأخطاء .

ومن فضائل هذه النسخة أنها تسد فرغات كثيرة وقعت فى نسختنا وقد تبينا عند المراجعة أن ناسخنا أسقط بعض الكلمات ، ولكن الساقط لحسن الحظ لا يؤثر فى صلب الكتاب كما نشرناه .

أما المخطوطة الثانية فقد حصلنا على صورتها من فاس ، وهذه الصورة فى ذاتها مشكلة ، لأننا نقرأ فى الصفحة الأولى — أى بعد صفحة العنوان — إشارة فى أعلى الهامش الأيسر نصها « من كتب خير الدين الزركلى » ومعنى هذا أن هذه النسخة ربما كانت فى الأصل فى مكتبة ذلك العلامة العربى الجليل الذى خدم العرب بعلمه ، وكتب كتباً ممتازة مثل كتابه « الأعلام » الذى لا يستغنى عن الرجوع إليه باحث فى تاريخ العرب والمسلمين . والنسخة فى ذاتها جيدة مكتوبة بخط مغربى جميل واضح ، وهى أقدم ببضع سنوات من المخطوطة الأولى التى تحدثنا عنها ، فقد كان الفراغ من نسخها يوم الثلاثاء ٢٩ شعبان سنة ١٠٣٠ كما ورد فى نهايتها .

وهذه النسخة هى خير ما لدينا من نسخ الدوحة المشتبكة ، فعلاوة على وضوح خطها وجماله ، فإن النص فيها مستقيم لا تتخلله إلا خروم صغيرة جداً وإن كان الناسخ يقع فى أخطاء كثيرة واضحة الخطأ ، ومن اليسير على أى حال تدارك ذلك . وتقع هذه النسخة فى ٥٢ ورقة . ولكن ظاهرة غريبة تستوقف النظر فيها : وهى أن فاتحتها تتمشى مع فاتحة النسختين الأخريين حتى نهاية الديباجة ثم تختلف بعد ذلك عنهما اختلافاً تاماً ، وسنعرض هذا الخلاف فيما بعد ونرى ما يمكن أن يَعِنّ لنا من أسبابه .

ومسألة أخرى تستوقف النظر ، وهى أن اسم الكتاب ورد فى الصفحة الأولى « الدوحة المشتبكة » وفى عبارة الختام « الدوحة المستّكة » وسنناقش هذه النقطة فى الفقرة التالية :

١ — فى عنوان الكتاب :

واعتماداً على عبارة الختام هذه كان بعض الزملاء قد أشار بتعديل الشطر الأول من اسم الكتاب وجعله « الدوحة المستكة » بدلا من « الدوحة المشتبكة » . ونعتقد أن هذا التعديل ليس ضرورياً لأن صفحة العنوان من المخطوطات الثلاثة تكتب بوضوح « المشتبكة » ، ولا خلاف إلا فى عبارة الختام فى مخطوطة الزركلى التى أشرنا إليها ، ومع كل فإن معنى المشتبكة قريب من معنى المستكة والخلاف على هذا لفظى ومن الجائز أنه نتج عن خطأ فى القراءة .

والعنوان الكامل للكتاب كما ورد فى نسخة الرباط هو « الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة مما اقتطفه من الروضة الغضّة فى معرفة أحكام الذهب والفضة » تأليف الشيخ الفقيه الفهيم الإمام أبى الحسن على بن يوسف الحكيم .

فاتحـــة الكتاب :

سنورد فيما يلى فاتحة الكتاب كما وردت فى نسخة الرباط (ر) مقابلة على الجزء الذى يتفق معها من فاتحة نسخة الزركلى (ك) ، ثم نورد بعد ذلك الجزء الذى تنفرد به فاتحة هذه النسخة الأخيرة .

قال الشيخ أبو الحسن على بن يوسف الحكيم الفاسى رحمه الله تعالى ورضى عنه آمين[(١)] .

الحمد لله الذى علا بعزته فوق البريات ، ورفع بقدرته السموات ، وزينها بالنجوم النيرات[(٢)] ، وجعلها لسلوك البحور والفلوات ، من أعظم الهدايات والدلالات ، وفطّر الأرض بأنواع النبات[(٣)] ، وثبتها بالرواسى الشامخات ، وفجر خلالها أنهاراً بماء فرات ، وأخرج من معادنها ذهباً وفضةً ليتوصل بهما إلى جميع المآرب[(٤)] والأقوات ، فتبارك الله رب الأرض والسموات .

وصلى الله على مولانا وسيدنا[(٥)] ونَبِيِّنا محمد المؤيد بالمعجزات الباهرة والآيات[(٦)] ، والرضى عن آله وأصحابه الكرام[(٧)] السادات ، وأزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات .

ومدّ الله أيام هذه الخلافة المرينية العزيزة[(٨)] ما تكررت الأنفاس والساعات .

وبعد[(٩)] فانه لما كان من رأى مولانا الخليفة السلطان الممتثل ما أمر الله تعالى به من العدل والإحسان ، الذى جدد الله بخلافته السعيدة بهجة الدنيا ورونق

---

(١) هذه العبارة واردة فى مخطوطة فاس (ك) فقط . وقد وردت أمامها على اليسار عبارة : من كتب خير الدين الزركلى كما نبهنا على ذلك .

(٢) ك : المنيرات . (٣) ك : النبـاتات .

(٤) ك : المآب (نسخة الرباط لا تورد كلمة « جميع ») .

(٥) ك : سيدنا ومولانا . (٦) ك : المؤيد بالآيات والمعجزات .

(٧) ورد هذا اللفظ فى (ك) فقط . (٨) ك : الخلافة السعيدة ، ر الخلافة العلية .

(٩) من هنا فصاعدا يختلف نص ك عن ر .

الزمان ، أسعد الملوك زماناً وأرفعهم مكاناً ، وأعدلهم سلطاناً وأبسطهم فى الأرض أماناً ، وأكثرهم براً ورأفة وحناناً ، ذى الخلال [...][1] بالكمال ، المخصوص بصفة الرفعة ورفعة الجلال الملك المنصور والهزبر الهصور الخليفة الأرضَى...[1] والبطل الشجاع الهمام الخير التقى الهاطل ، والعابد الخاشع العادل ، خلاصة المجد الرصين وواسطة عقد خلفاء بنى مرين ، المشهود له فيهم بالظهور والتبريز ، مولانا الخليفة الامام أبو فارس عبد العزيز ، أعز الله مقامه واسعد اعصاره ومد بنصره حماته وأنصاره ونصر ألويته وأعلامه وجعل النصر يسير حيثما توجه أمامه ، ومكن من رقاب أعدائه حسامه ، وأطـال فى كنف السعادة عمره المبارك وأيامه[2] النظر فى أمور سكته التى هي من مصالح رعيته وعدة لقوام مملكته ، ولم يزل أمره العزيز ينفذ بمنع[3] المعاملة بالنقود[4] الناقصة ، وأنه لا يتعامل إلا بالمسكوكة[5] الوازنة الخالصة ، ويشتد[6] على من يتعامل بالزائف منها لدوران الربا والفساد الناشئين عنها استخرت[7] الله سبحانه فى أن أرفع لمقامه العزيز هذا الكتاب رجاء أن اكون فى ذلك ممن أصاب ، إذ هو منقول من كتب [...][8] الاعلام والحكماء أُولى النهى والافهام والله تعالى يجعل ذلك من مقام مولانا الموقعَ الذى تجنى فائدته وتحمد إن شاء الله عاقبته ، وسميته بالدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة وقسمته على عشرة أبواب :

---

(١) كلمة لم نستطع قراءتها .

(٢) هنـا تنتهى الجملة الاعتراضية المسرفة فى الطول ، واللفظة التالية : « النظر » هى المبتدا المؤخر للجملة كلها .

(٣) هنا تعود نسخة ك فيتفق نصها مع ر .

(٤) ك بالدراهم .

(٥) ك بالنقود المسكوكة .

(٦) ك والإشتداد .

(٧) هنا يعود نص مخطوطة ك إلى الاختلاف عن نص ر والخلاف بينهما واسع ولهذا سنتابع هنا نص ر ثم نورد نص ك كاملا .

(٨) هنا كلمة مطموسة بالحبر يمكن أن تكون « العلماء » .

الباب الأول[١] : فى إحسان الله تعالى بهما على نوع الإنس[٢] وجعلها وسيلة لنفعه ومأربه المباح حيث[٣] كان .

الباب الثانى : فى أسمائهما بجميع اللغات وما يختص بجنسيهما من النعوت والصفات .

الباب الثالث : حيث معادنهما[٤] وكيفية توليدها فيها واستخراجها وتخليصهما ومنفعة كل منهما حتى أستوفيها .

الباب الرابع : فى مقدار ما ينظم فيهما من نفيس الأحجار مع بقاء بهجة الصنعة من غير نقص[٥] لذلك ولا نثار .

الباب الخامس : فى أول من ضرب الدينار والدرهم وأقام أماكن طبعهما وضوابط سكتهما وتنمية فائدتهما[٦] وما يحظر من الخلل عند قبضهما ودفعهما .

الباب السادس : فى مقدار الدينار والدرهم الخاصين بنا وسبب ضرب هذه الدراهم اليعقوبية بهذا الوزن فى مغربنا .

الباب السابع : فى التعامل بهما صرفاً ومراطلة ، وتحذير الربا فى ذلك رداً كان أو تقاضياً أو مبادلة .

الباب الثامن : فيما يجوز استعماله منها للحلى والقنية وغير ذلك وبيع المصحف والسيف والخاتم المحلاة بهما وتسويغهما للمالك .

---

(١) سنتابع فيما يلى نص نسخة ك لأنه أصح من نسخة ر وسننبه إلى نقط الخلاف بين نسخة المعهد التى حققنا عليها الكتاب عند نشره (م) ونسخة الرباط (ر) .

(٢) م ، ر : الإنس .

(٣) م ، ر : كيف كان .

(٤) م : معادينهما .

(٥) م ، ر : نقض .

(٦) م : فائدتها ، ر : فايدها .

الباب التاسع : فيما وعد الله سبحانه من الثواب لمنفقهما وأعد من العقاب لكانزهما ومقدار ما يجب أخذه من مصوغهما ومعادنهما وركازهما .

الباب العاشر : فى تسمية ما أحدثه[١] المفسدون فى غش السكة وقرضها وماذا يجب من العقوبة على مرتكب هذه المحظورات أو بعضها .

* * *

وفيما يلى نورد نص فاتحة نسخة ك بعد ديباجة المدخل :

« .. وبعد فإنه لما نفذ الأمر الجزم من سيدنا الوزير الجليل قدراً ، الجميل ثناءً وذكراً ، الرفيع منزلةً وخطراً ، الأخشى لله سبحانه سراً وجهراً ، الكبير المحتد ، الكثير السؤدد ، الكريم العهد ، الصحيح العقد ، البرىء الذمة من الجرائم ، النقى الساحة من المآثم ، فردُ دهره وشمس عصره وزينة مصره ، رفيق الجود وخليله ، وزميل الخير ونزيله ، وغرة الدهر وتحجيله ، ذو الوجه القمرى التصوير والغرة الغراء الشمسية التأثير ؛ آخذُ راية الشجاعة بيدين ، وحائز قصب السبق مما يزين ، الذى طابت أصوله وطالت فروعه ، وأمن بوزارته الكريمة مروعه ، ولم يزل إلى الأعمال الصالحات نزوعه : أبو يحيى وزيرٌ تميز بالمجد فى علاه وحاز علو الهمم ، عريق المناسب فى الفضل [. . . . . .][٢] ابن سيدنا الوزير الصالح ذى السعى المبارك المتقبل الناصح ، خلاصة المجد الرصين ، وحائز درجات السبق مع الغرّ المحجلين ، الثاغر المجاهد المقدس المرحوم المنعم السعيد أبو مجاهد غازى أبقاه الله سبحانه جليلاً قدره ، جميلا ذكره ، أثيلاً مجده ، مستطيلاً بين الانام حمده بمنع[٣] المعاملة بالدراهم الناقصة ، وأنه لا يُتعامل

---

(١) م ، ر : يحدث .

(٢) العبارة مضطربة هنا إضطراباً واضحاً والمسئول عن ذلك الناسخ فقد رسم الكلمات بعد عبارة « فى الفضل » رسماً دون أن يفهم المعنى هكذا « ما يعد مدى فخول أو معهم ! » .

(٣) هنا يكمل المؤلف العبارة التى بدأ بها الفقرة كلها .

إلا بالنقود المسكوكة الوازنة الخالصة والاشتداد على من يتعامل بالناقص منها لدوران الربا والفساد الناشئين عنها ، لعلمه أعزه الله بالقواعد الشرعية وفهمه المسائل الفقهية واهتمامه بالأمور الدينية ، مع ما أضاف إلى ذلك من السياسة ، وحسن السيرة والرياسة ، فلقد ذلل الصعب بعد إبائه ، وهوّن الخطب بعد اعيائه ، ونظم الأمر بعد اختلاله ، وشدّ الأزر بعد انحلاله ، فالألسن بالثناء ناطقة والقلوب على محبته متطابقة ، والشهادات له بالفضل متناسقة ، والنجاح مقصور على تدبيره ، والصواب مقرون بامضائه وتقديره ، أردت أن أرفع لمقامه الأرفع هذا الكتاب رجاء أن أكون فى ذلك ممن أصاب [...] [١] نظيره بخزانة مولانا السلطان المقدس المرحوم المنعّم فى جنات الرضوان أبو[٢] فارس عبد العزيز رحمة الله تعالى عليه ورضوانه وروحه وريحان ، فهو منقول من كتب الفقهاء الاعلام والحكماء أولى النهى والافهام ، يكون تذكرة لمن تقدم له فى ذلك سلوك ، وتبصرةً لمن أقيم فى خدمة الوزراء والملوك ، بعد أن استخرت الله سبحانه فى ذلك فألهمه إلىَّ وسهله تبارك وتعالى علىَّ ، كل ذلك بتيسير الله سبحانه وبركات هذه الوزارة الميمونة التى هى موضع الوجود ومطلع الجود وملتقى الرحال وقبلة الآمال ومحط رحل الكرم ، ومبلغ غاية الهمم ، والغاية القصوى من المجد ، وسدرة المنتهى من أهل الأرض ، وعرصة الفضل ، وساحة العدل ، ومفزع الشكر ، ومصرع الفقر ، وكعبة المحتاج ، وان لم تكن كعبة الحجاج ، ومشعر الكرم ، وان لم يكن مشعر الحرام ، ومُنى الضيف ، وان لم يكن منى الخيف ، وقبلة الصّلات ، وان لم يكن قبلة الصلاة ، والله سبحانه يعلى مقدارها ، ويكتب فى الصالحات آثارها ، ويسعد أيامها واعصارها ، وينصر حماتها وأنصارها ، ولكل ذى نجوى وسيلة بين يدى نجواه ، وخدمة يصدق بها عند الاختبار دعواه ،

---

(١) هنا عاد النساخ فرسم الحروف رسماً وكتب شيئاً هذه صورته : « إذ وقد أسفد » ولا معنى له .

(٢) الصحيح هنا : أبى .

فقدمت بين يدى نجواى هذه الخدمة بهذا الكتاب واعددته وسيلة نافعة إن شاء الله لحصول الطلّاب ، والله سبحانه يجعل موضع ذلك من مقامه الارفع الموضع الذى تجنى فائدته وتحمد إن شاء الله عاقبته ، ولخصته من « الروضة الغضة فى معرفة الذهب والفضة » وسميته بالدوحة المستكة فى أحكام دار السكة وقسمته على عشرة أبواب والله الموفق بفضله » .

ويلى ذلك فى هذه النسخة وهى نسخة الزركلى بيان الأبواب كما أوردناه .

ويفهم من هذه الفاتحة أن ذلك الكتاب ملخص عن كتاب آخر فى نفس الموضوع هو كتاب « الروضة الغضة فى معرفة الذهب والفضة » ، وهذه حقيقة لها أهميتها فى موضوعنا هذا . وقد وردت نفس العبارة كذلك فى نسخة الرباط .

وقد كنت أحب أن أورد بعد ذلك بياناً بالاختلافات بين النسختين الجديدتين والنسخة التى نشرت الكتاب عليها ، ولكنى وجدت أن ذلك لا يفيد القارئ فى كثير إذ لا يمكنه أن يثبت فى النسخة التى بيده كل هذه المفارقات . ولهذا رأيت أن أكتفي باستدراك الفراغات التى وقعت فى المخطوط الأول وفى تحقيقنا له تبعاً لذلك . وعندما تتيسر الظروف نعيد تحقيق الكتاب كله منتفعين بهاتين النسختين وما قد يجد .

وفيما يلى بيان الفراغات وما يسدها ، وأرقام الصفحات الواردة فيما يلى هى أرقام الصفحات المطبوعة :

ص ٢٠ س ١٢ : لم نجد شيئا ساقطاً فى النسختين ففى كليهما نقرأ بعد لفظ العلماء : هذا حلال فخذوه . . .

ص ٢٥ س ٨ : سأعيد هنا نشر هذه الفقرة بأكملها :

والفضة فى أماكن من المغرب كجبل زجندر (فى المطبوع جندر وفى ك زحندر) وما والاها من أرض السوس وبمعدن عرام (م عرام ، ك عوام) ووانشريس (م وانشرمس ، ر وانشرمش) ولكن أهمل البحث عنها وكثيراً

(ما) تجلب إليه من جزيرة سردانية وقليلا من أرض إلبيرة وجهات اشبيلية وكبرفيق من عمل قرطبة وجبال مرسية وبجاية .

ص ٥٢ س ٧ : إليك العبارة كما وردت فى نسخة ر وهى أصح النسخ هنا :

« كذلك ينبغى أن يكون الناظر فى هذا الفن ، إذ هو الواجب على كل من قدم على أمر أن يفهم الحكم فيه ويستكمل له النظر حتى يستوفيه ، ولا يأخذ برأيه فيه على البديه ولا على غرضه وما يشتهيه ، بل يشعر نفسه أن الثواب لمن علم فاقتدى والعقاب لمن ظلم فاعتدى » .

ص ٥٧ س ١٢ : لم نجد هنا شيئاً ساقطاً بالمراجعة على ر (ص ٢٣ ا) ، أما نسخة ك فقد خلطت فصول هذا الباب بفصول باب آخر فسقط هذا الفصل منها جملةً .

ولم نجد فراغات تستحق الذكر إلا هذه ، وعلى ذلك فالنص كما سبق أن نشرناه واف بالغرض وان كنا نأمل أن تتاح لنا فى المستقبل فرصة إعادة الطبع حتى يستقر هذا الكتاب القيم على صورته النهائية .

حسين مؤنس

الكتب : نقد وعرض

دكتور إحسان عباس : « أخبار وتراجم أندلسية » مستخرجة من معجم السفر لأبى طاهر السلفى المتوفى سنة ٥٧٦/١١٨٠ — ١١٨١ ، المكتبة الأندلسية رقم ٧ ، دار الثقافة فى بيروت ١٩٦٣

هذه تحفة جديدة يهديها إحسان عباس إلى المكتبة الأندلسية ، وهى من التحف القيمة التى يرجع الفضل كله فيها إلى إحسان عباس ، فهو الذى فكر فى استخراج المادة الأندلسية من معجم السلفى ونشرها فى هذا الكتاب الطريف .

وإن الذين يعرفون معجم السفر فى مخطوطاته المضطربة المليئة بالعيوب والخروم ليقدرون لإحسان عباس الجهد الكبير الذى بذله فى استخراج هذه المادة الوافية منها . وهذه المادة تتضمن مائة وأربعة خبراً وترجمة أندلسية ، قبسها المصنف من ذلك المعجم وحققها تحقيقاً ممتازاً وأضاف إليها تعليقات ذات قيمة كبيرة .

ومن أفيد ما فى هذا الكتاب هى المقدمة التى صنعها إحسان عباس ، وأدارها على حياة أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم سلفة المشهور بأبى طاهر السلفى ذلك العلامة العربى الطريف الذى ولد فى أصبهان حوالى سنة ٤٧٨/١٠٨٥ — ١٠٨٦ ، وقضى نصف عمره الأول فى رحلة مستمرة فى طلب العلم والسماع من الشيوخ ، ثم ألقى آخر الأمر عصا التسيار فى إسكندرية مصر سنة ٥١١ ، وهناك عمر خمسة وستين سنة أخرى فلم يتوف إلا سنة ٥٧٦ وقد أنفق هذه المدة كلها فى الاسكندرية لم يبارحها إلا مرة واحدة فى زيارة قصيرة إلى القاهرة ، وظل بقية الوقت ملازماً بيته منقطعاً للدرس والاقراء حتى لقد حرم على نفسه النزهة للمتعة ، فلم ير منارة الاسكندرية إلا من نافذة بيته .

وقد دل أبو طاهر السلفى بذلك على عقل رصين ، فبدلا من أن يشق نفسه بالتقرب إلى السلاطين ، أو بالجرى وراء المال والجاه كما فعل غيره من أمثال ابن الأبار فكانت عقباهم وخيمة ، لزم السلفى الثغر الاسكندرى وكان إذ ذاك مدينة صغيرة لا يزيد تعداد سكانها على عشرة آلاف ولكنها تمتاز بميزات كبيرة على القاهرة : فهى أولا قليلة السكان لا يشقى صاحبها بزحمة الناس ولا بمتاعب الأسواق ، وهى ثانياً منقطعة بنفسها فى أقصى غرب الدلتا فى منطقة وافرة الأقوات فلا تشح فيها المطاعم والمطالب ، ولا تزورها الأوبئة التى ملأت تاريخ القاهرة ، وهى من ناحية ثالثة مركز تجارى هام ومحط رحال بالنسبة للقادمين من المغرب والأندلس ، وما كان أكثر القادمين من الأندلس فى تلك العصور فإن المحنة كانت على أشدها وكانت الهجرة الأندلسية فى عنفوانها ، وكانت الاسكندرية من المراكز التى يلم بها هؤلاء الأندلسيون .

ثم إن السلفى كان سعيد الحظ فقد رضى عنه الوزير الفاطمى العادل بن السلار أيام كان والياً على الاسكندرية وقبل أن يتولى الوزارة ، فأنشأ المدرسة السلارية للحديث ، وأقام السلفى شيخاً لها فاطمئن السلفى بذلك إلى مكان علمى مستقر ووظيفة مالية دائمة ، وكان بطبعه رجلا حسن الخلق دقيقاً فى كلامه لبقاً فى تصرفاته فلم يتعرض لمحنة أو لمتاعب وسعد بحياته وسعد الناس به .

هنا تكمن أهمية النص الذى يقدمه لنا إحسان عباس فإن السلفى كان محط أنظار طالبى العلم ، فكثر الواردون عليه من أهل الأندلس والمغرب وغيرهم ، وطار صيته فكثر زواره وتلاميذه ، واهتم هو بتدوين أخبار من ورد عليه ومن تحدث معه منهم ، فكانت نتيجة ذلك كتاب «معجم السفر» وهو الذى استخرج لنا إحسان عباس منه هذه الأخبار والتراجم الأندلسية ذات القيمة الكبيرة .

حسن حسنى عبد الوهاب : « ورقات » مكتبة المنار ، تونس ١٩٦٥

فى باب الأنباء من هذا العدد نشرنا كلمة تأبين وتقدير للأستاذ المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب علامة تونس وواحد من أقطاب علوم العرب فى أيامنا هذه .

وهنا فى باب النقد يسرنا أن نتحدث عن آخر كتبه المسمى « ورقات » عن الحضارة العربية بافريقيه التونسية ، القسم الأول ٤٧٢ صفحة من القطع الكبير .

هذا الكتاب كما يتبين من المقدمة مقتبس من الكتاب الكبير الذى قضى حسن حسنى عبد الوهاب عمره فيه يكتب ويؤلف وهو الذى سماه « كتاب العمر » وهى تسمية طريفة لهـا دلالتها بالنسبة لرجل مثل حسن حسنى عبد الوهاب عاش عمره كله للعلم والبحث والتنقيب . والحق أن الراحل الكريم على علمه الغزير كان من المقلين فى الكتابة وربما كان إقلاله فى النشر دون الكتابة ، فإن كتاب العمر هذا لو صح ما يقوله عنه لكان فى حقيقة الأمر موسوعة ضخمة من المعلومات عن تونس العربية ، وهو فى هذا يكون ثانى الموسوعيين العرب فى تاريخ تونس والأول هو أبو العباس التيفاشى .

كتاب « ورقات » هو مجموعة مقالات أو دراسات تتناول نواح شتى من التراث الحضارى لتونس ويربط هذه الدراسات بعضهـا إلى بعض خيط دقيق ولكنه ظاهر هو خيط تاريخ العلم العربى فى القطر التونسى ، و ح. ح. عبد الوهاب لا شك من أقدر من يستطيع الكلام فى هذا الموضوع ، ونعتقد أن معظم ما أتى به فى الكتاب جديد بالنسبة للمؤرخ العام وإن كان المتخصصون الذين تجرى أيديهم فى صفحات التاريخ التونسى يعرفون الكثير من الموضوعات التى تناولها المؤلف فى كتابه هذا .

وقد أعجبتنى بصورة خاصة النظرة العامة التى ألقاها على التاريخ الحضارى لتونس فى أول الكتاب وسماها قصة الثقافة التونسية ، فهذه بالفعل جولة فى الأفق تعطى القارىء فكرة عامة عن قيام الحضارة العربية فى تونس ونضوجها ، وما حققته خلال تاريخها الطويل حتى نهاية القرن التاسع عشر عند ما قام الوزير خير الدين بإصلاحاته المعروفة وأعاد إلى الصادقية طابعها القديم ، وجعلها بالفعل منار الدراسات العربية الحديثة فى القطر التونسى ، ولا زالت على هذا إلى يومنا الحاضر . ومن رأيى أن يترجم هذا الفصل القصير (١٤ صفحة من ص ٢٣ إلى ٣٦) إلى اللغات الأجنبية ويذاع فى الناس تعريفاً بما لتونس من مكان كبير فى تاريخ الحضارة .

أما الفصول المجموعة تحت عنوان « العمران العربى فى تونس » وهى تتناول تأسيس القيروان وتوسعها ، ومصانع الماء أى المنشآت التى أقيمت لتزويد القيروان بالماء وهى كثيرة يرجع أهمها إلى الأغالبة ، ولا زالت مواجلهم خارج البلد تقوم شاهداً على ما كان لهم من فضل عظيم فى ذلك المجال . وفى هذا الفصل يتحدث المؤلف عن أسواق القيروان حديثاً طويلا مفيداً فيعددها ويذكر ما تحصل له من المعلومات عنها .

ووقف ح. ح. عبد الوهاب طويلا عند الوعى الثقافى العربى فى إفريقيا وهى تونس ، وتحدث عن مآثر بنى الأغلب التميميين فى ذلك المجال . وهو شديد الإعجاب بالأغالبة ، لا يفتأ على طول الكتاب وعرضه يتحدث عنهم وعما قاموا به من الخدمات لتونس . والحقيقة أن قواعد العلم العربى والثقافة العربية رست فى تونس على أيام الأغالبة ، ولكنهم لم يكونوا وحدهم أصحاب الفضل فى ذلك . ومن رأيى أن معظم الفضل يرجع إلى علماء إفريقية أنفسهم من أمثال أبى كريب جميل بن كريب المعافرى وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وموسى بن على بن رباح وعبد الله بن فروخ الفارسى والبهلول بن راشد ويزيد بن رباح وأبى على شقران بن على وعبد الله بن عمر بن غانم وأسد بن الفرات وأبى سعيد سحنون ابن حبيب التنوخى بن سلمان ، ومن إليهم من أئمة الرجال الذين تتابعوا على العناية بالعلم فى تونس جيلا بعد جيل حتى رسخت أقدامه وقامت دعائمه ، وأصبحت تونس مركزاً من مراكز الثقافة العربية . هؤلاء فى رأينا أهم فى هذا المجال من أمراء بنى الأغالبة ، وإن كان هذا لا يقلل من أهمية الخدمات الكبرى التى قاموا بها لتونس العربية .

وبعد دراسة مقتضبة عن التعليم ومعاهده فى تونس خلال العصور الوسطى تخير المؤلف عدداً من كبار أهل العلم الذين يزدهى بهم تاريخ هذه البلاد ، وأفرد لكل منهم فصلا قصيراً ، فتكلم عن سليمان بن حميد الغافقى والحكم بن ثابت السعدى والمعمر بن سنان التميمى وابن عوانة الكلبى ومن إليهم .

ويعتبر حديث المؤلف عن بيت الحكمة التونسى دراسة كاملة جديدة لهذه المؤسسة الكبرى التى أنشأها الأغالبة وقضى عليها الفاطميون . والحق أننا لم

نكن نعرف عنها إلا القليل جداً حتى جاء حسن حسنى عبد الوهاب فقدم لنا هذا الذخر الوافى من المعلومات عنها ، وخاصة فيما يتصل بدور بيت الحكمة فى ترجمة علـــوم العرب إلى اللغات الأخرى . وأعتقد أن هذا الفصل يصلح أن يكون أساساً لبحث كبير موسع يتناول بالتفصيل ما أجمـله حسن حسنى عبد الوهـاب .

وقد استوقف نظرى بصورة خاصة كلام المؤلف عن الأطباء التونسيين وخاصة ابن الجزار فقد وفاه حقه إلى درجة كبيرة ، ولا شك أن ابن الجزار يعتبر من أعلام الأطباء فى تاريخ المسلمين .

كذلك لا بد من التنويه بالفصل الطويل الخاص بالنقود التونسية وهو فصل طويل ممتع على درجة كبيرة من الأهمية والفائدة .

أبو مروان بن حيان القرطبى : « المقتبس فى أخبـــار بلد الأندلس » ، بتحقيق د. عبد الرحمن على الحجى ، المكتبة الأندلسية رقم ٤ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥

كان ظهور هذا النص القيم من الحوادث الحاسمة فى سير الدراسات الأندلسية خلال السنوات الأخيرة . وقد كنا ننتظر ظهور هذا الجزء من تاريخ ابن حيان من أكثر من ٢٠ سنة ولكننا لم نسعد بالحصول عليه إلا اليوم ، وقد دار حول ظهور هذا الكتاب كلام كثير ، ولكن الذى يهم دارس الأندلس هو أن الكتاب أصبح الآن بين يديه فى طبعة محققة جيدة . ولسنا فى حاجة إلى الإشارة هنا إلى أهمية هذا النص فإن مقام ابن حيان المؤرخ معروف ، وقد تكفل بزيادة معلوماتنا عنه عبد الرحمن على الحجى فى المقدمة الوافية التى ساقها بين يدى تحقيقه للنص . ويكفى أن نذكر هنا أن كل ذلك النص الضخم الذى يقع فى قرابة ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير يتناول أربع سنوات فقط من حكم الحكم المستنصر (من سنة ٣٦٠ إلى سنة ٣٦٤) ، وهذا وحده يعطينا فكرة عن التفصيل المبدع الذى يقدمه لنا ابن حيان فى هذه الصفحات ، خاصة وابن حيان لم يكن رجل ألفاظ ولا سجعات ولا عبارات فارغة ، وإنمـا هو

رجل جاد يعنى ما يقوله فى كل كلمة يكتبها ، ومعنى هذا هو أن هذه الصفحات كلها حافلة بالمادة التاريخية الطيبة عن تاريخ الأندلس ، ومن هنا تتجلى قيمة الخدمة التى أداها لنا عبد الرحمن على الحجى بنشر هذا الكتاب .

حقق الدكتور الحجى هذا النص تحقيقاً طيباً ، وإذا ذكرنا أنه نشره على أصل واحد ، وأن الظروف لم تكن تسمح له بالمزيد من مراجعة الأصل والتحقق من دقائقه ، أدركنا أن الملاحظات اليسيرة التى يمكن أن يلاحظها الناقد على هذا التحقيق لا تعد شيئاً بالنسبة للجهد الضخم الذى قام به الحجى لكى يقدم لنا هذه الخدمة ، فإن النص نفسه عسير جداً ومشاكله كثيرة ، وقد تغلب الدكتور الحجى على الجانب الأكبر منها ولم يفته إلا شىء قليل جداً لا يخلو من مثله تحقيق أى نص . ومن حسن الحظ أن العلامة الفياض إحسان عباس وقف على الطبع وأكمل بعض ما فات المحقق ، فأصبح لدينا بهذا نص جيد نستطيع الاعتماد عليه مطمئنين .

وقد سلك د. الحجى فى التحقيق مسلكاً طيباً ، فلم يكتف بخدمة النص بل تجاوز ذلك إلى خدمة القارىء ، وذلك بالتعليقات الضافية على الألفاظ وأسماء الأعلام فزاد ذلك من قيمة الكتاب . وأعتقد أنه قد آن الأوان لكى نجمع كل التعليقات الموسعة التى أضفناها على ما نشرنا من نصوص وننشرها فى هيئة معجم يغنينا فى المستقبل عن إثقال النصوص بالتعليقات والهوامش . نقول هذا بمناسبة الجزء الذى ينشره عن ابن حيان د. محمود على مكى فإن الحواشى التى علقها عليه تقع فى مجلد كامل يعدل حجم النص نفسه ، وهذا جهد كبير ليس من الحق أن نطالب بمثله من ينشرون النصوص بعدنا بل تكفى إشارة إلى ما سبق ، وإذا كان أحدنا قد صنع تعليقاً وافياً على لفظ مثل مرسيه أو محمد ابن حسين الطبنى ، فلا معنى لتكرار ذلك فى التعليقات على نص جديد .

هذا النص ممتاز من كل ناحية وكلما تصفحته زدت تقديراً له فهو من أغنى النصوص بالمادة التاريخية السليمة ، ولا يشوبه إلا أن ابن حيان — ناقلا عن عيسى بن أحمد الرازى — قد جعل هذا التاريخ تاريخاً للخليفة نفسه فهو يتابعه

فى كل حركة من حركاته ، وهو يرقب الحوادث من القصر دون نظر كثير إلى ما سوى ذلك . ونتيجة هذا أن أهمل ابن حيان موضوعات أخرى تتصل بحياة الأندلس والشعب الأندلسى ، فإن معلوماتنا عن ذلك قليلة رغم إسهاب إبن حيان .

إننا نقدر للدكتور الحجى الخدمة الجليلة التى أسداها إلينا بهذا العمل العلمى الممتاز ونرجوه أن يتابع جهده المبارك فى خدمة تاريخ الأندلس والإسلام .

أبو العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفد القسنطينى : « أنس الفقير وعز الحقير » بتحقيق الأستاذين محمد الفاسى وأدولف فور ، منشورات المركز الجامعى للبحث العلمى ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب ، الرباط ١٩٦٥

كتاب ابن قنفد عن الصوفى الولى الجزائرى شعيب بن حسين الأنصارى الأندلسى المعروف بابن قنفد معروف منذ زمن طويل ، وقد تناولته أيدى الباحثين فى تاريخ التصوف الإسلامى والمعنيين بالتاريخ الاجتماعى بصفة عامة ، لأن سير المتصوفة والأولياء من أغنى الأصول بالمادة الصالحة عن الحياة الاجتماعية لأن الأولياء كانوا الزعماء الحقيقيين للعوام وحياتهم كلها تدور فى أوساطهم ما بين صناع وأهل حرف وتجار فى المدن وزراع فى الأرياف ، ومن هنا فإن تراجم الأولياء من هذه الناحية مرجع غزير المادة للحياة الاجتماعية للناس . وإن الانسان ليفيد من كتاب طبقات الصوفية لعبد الوهاب الشعرانى أكثر مما يفيد من قراءة صبح الأعشى كله ، لأن القلقشندى لا يحدثنا فى أى جزء من أجزاء موسوعته عن حياة الناس ، فى حين أن الشعرانى لا يحدثنا فى طبقات الصوفية إلا عن حياة العوام . هنا تكمن أهمية هذه الكتب إلى جانب أهميتها الأخرى بالنسبة لمن يعنيهم أمر التصوف والأولياء وأصحاب الكرامات .

وقد سبق أن قام أدولف فور بنشر كتاب « التشوف إلى رجال التصوف » وهو دون شك أكبر مرجع عن متصوفة المغرب وأوليائه ، وقد تم تأليفه سنة ٧١١/١٣١١—١٣١٢ ، وكتاب ابن قنفد تم تأليفه سنة ٧٨٧/١٣٨٥—١٣٨٦ ، فكأن هذين الكتابين يغطيان الحياة الدينية والحياة الاجتماعية فى المغرب العربى خلال القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى ، ونحن الآن نستطيع

إعتماداً على المادة الطيبة التى يتضمنها هذان الكتابان أن نكتب بشىء كثير من الاطمئنان عن المجتمع المغربى خلال الفترة القلقة الطويلة التى تمتد من اضطراب أمر الموحدين وزوال دولتهم إلى قيام دولة المرينيين واستقرار أركانها فى المغرب .

الكتاب يتناول أساساً حياة أبى مدين أكبر أولياء المغرب على الإطلاق ، والمؤلف ابن قنفد يفصل هذه الحياة تفصيلا طيباً ، ويتكلم بصفة خاصة عن الشيخ الأكبر الذى أخذ ابن قنفد عنه الولاية والكرامة وهو أبو الحسن على ابن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم الفاسى المولد والمنشأ والحياة . وهو قبل أن يتحدث عن حياة أبى مدين وأستاذه ابن حرزهم يتحدث عن الكرامات أى الخوارق التى يقوم بها الأولياء ، وهو يؤكد أنها صحيحة وأن الأولياء يأتون بالخوارق حقاً ، ويتعرض للمشكلة التى واجهت كل من كتبوا فى تأييد الكرامات وهى أن الصحابة رضى الله عنهم لم تكن لهم كرامات ، وهنا نجد أمثال ابن قنفد إما أن يقولوا ان الكرامات مع جوازها فى حق أولياء الله فهى ليست ضرورية ليكون الولى ولياً أو يزعموا كرامات للصحابة ، كما يحكون مثلا من أن عمر بن الخطاب خاطب سارية قائلا : « ياسارية الجبل » فسمعه سارية على بعد آلاف الكيلومترات ولجأ مع جنوده إلى الجبل .

تحقيق هذا الكتاب جيد وهذا أمر لا يستغرب فإن الناشرين من أهل العلم الواسع والثقافة العالمية والخبرة بأمثال هذه المخطوطات . وقد تغلبا على كل صعوبات النص معتمدين فى ذلك على نص كتاب « التشوف لمعرفة رجال التصوف » الذى سبق نشره ، ومن المعروف أن ابن قنفد يعتمد عليه إعتماداً كاملا .

فتحى عثمان : « الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى » ٣ أجزاء ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦

يصعب عرض مثل هذا الكتاب الضخم فى السطور القليلة التى تتاح لنا فى هذا الباب فإن صفحاته بأجزائه الثلاث تصل إلى قرابة ١٢٠٠ ، وخرائطه تكون أطلساً كاملا للثغور الجزرية والشامية ، وفصوله تتناول من الموضوعات ما يستحق

أن يفرد لكل واحد منها نقد وعرض خاصين . ولكن مهمتى هنا تسهل بعض الشىء لأننى صاحبت هذا الكتاب أثناء عمل مؤلفه فيه ، وتتبعت تطوره فإن المؤلف تلميذى وهذا الكتاب هو رسالة الماجستير التى أعدها تحت إشرافى .

وليس معنى ذلك أننى مشارك للمؤلف فيما أتى به فى هذا الكتاب فإن الإشراف على البحوث لا يعنى تقييد حرية الطالب وربطه بآراء الأستاذ ، فذلك مخالف لناموس العلم ، إنما هو يوجه وينصح وينقد ، ولكن البحث أولا وقبل كل شىء هو بحث مؤلفه وهو صاحب الفضل الأول والأخير فيه .

هذا الكتاب تأليف شامل تناول المؤلف فيه موضوعه من حدوده كلها دون أن يغادر منها شيئاً ، فاستوفى النواحى الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية جميعاً ، وبحث موضوع الثغور الشامية والجزرية بحثاً لا ينقصه شىء . وموضوع البحث هو الحدود ، ومنطقة الحدود الواقعة بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية من ساحل البحر الأبيض حتى بلاد القوقاز وهى منطقة شاسعة خصص المؤلف لدراستها باباً كاملا من الجزء الأول يقع فى ١٥٣ صفحة أى أنه كتب على هذه الناحية الجغرافية وحدها كتاباً يصلح وحده لأن يكون بحثاً للماجستير درس فيه كل الظواهر الجغرافية القائمة فى هذه المنطقة الواسعة من معالم جغرافية وطرق وجماعات بشرية ، واستنفذ البحث فيه إستنفاذاً تاماً .

وقبل هذا بحث فتحى عثمان موضوع الحدود بصفة عامة وتاريخه وأحكامه القانونية ، وتكلم على الأجناس البشرية التى سكنت هذه المناطق من أقدم الأزمنة لكى يستنتج آخر الأمر أن لمنطقة الحدود سكانها القدماء الذين يعيشون فيها ويعرفون طبيعتها وممراتها وطرقها ، وهذا أمر من الأهمية بمكان . وأتبع ذلك بكلامه على العرب فى الشام قبل الإسلام ليدلنا على أن سكان مناطق الحدود هذه كان فيهم عرب كثيرون .

وتكلم بعد ذلك على نظـــام البنود البيزنطى والبند هو إقليم الحدود عنده ويسمى التيما والجمع تيماتا ، ولا زال هذا اللفظ موجوداً فى ناحية من نواحى شمـــال الحجاز وهى تيماتا ، ودراسة المؤلف هنا أصيلة استنفد فيها مادة المراجع الخاصة بالتاريخ البيزنطى كله .

وبعد فصول مقدمات أخرى يدخل المؤلف فى موضوع الثغور فى الفصل الثالث من الكتاب الأول بالكلام عن منشأ الثغور والعواصم وتطورها عند المسلمين . وفى غضون هذا الفصل يتكلم عن استيلاء المسلمين على منطقة الحدود وحيازة المسلمين لكل الداخل إلى بلادهم من ناحية العدو البيزنطى . ويتكلم بعد ذلك عن نشوء التنظيم الإدارى والحربى الإسلامى لهذه المناطق ، وهو نظام بدأ أيام الخلفاء الراشدين عقب الفتوح مباشرة ، واستمر يتحسن مع الزمن حتى أيام المعتصم وقد استفاد المسلمون فيه كثيراً من تجارب البيزنطيين .

والكتاب الثانى مخصص لموضوعين : الأول هو التاريخ الحربى لمنطقة الثغور وفيه يجمل المؤلف ما وقع بين المسلمين والبيزنطيين وغيرهم من الحروب فى هذه المناطق ، والثانى يتناول النظم الحربية فى الثغور والعواصم بما فيها من تحصينات ومعسكرات وأساطيل بحرية ، مع الإلمام بالاتصالات الدبلوماسية .

أما الكتاب الثالث فيخصص لتنظيمات الثغور والحياة فيها وما كان فيها من إتصالات سلمية بين المسلمين والبيزنطيين ، واهتم المؤلف إهتماماً خاصاً بالناحية الأدبية فتكلم عن أدب الملاحم وكتب الجهاد والأديرة والرباطات وما إلى ذلك .

كتاب ضخم فعلا لم نستطع إلا أن نعطي فكرة يسيرة عنه ، ولا نستطيع أن نفى مؤلفه حقه من الشكر على ما قام به من جهد وما أداه من خدمة ، وما التزمه من منهج علمى سليم .

وملاحظة أخيرة هى أن هذا الكتاب الضخم تنقصه الفهارس الأبجدية ، ولا أدرى كيف غابت هذه الناحية عن فتحى عثمان وهو يعلم أن أمثال كتابه هذا لا يسهل السير فيها إلا بمفاتيح وأدلة ، ومفاتيح الكتب فى عصرنا هذا هى الفهارس والكشافات .

دكتور وليد عرفات : « موقف الاسلام من الرق » المجلة الاسلامية
الربع سنوية ، المجلد العاشر عدد ١ — ٢ ، ١٩٦٦ (باللغة الانجليزية)

Walīd ʿArafāt, *The Attitude of Islam to Slavery.*
The Islamic Quarterly, vol. X, Numbers 1-2, 1966.

إخترت هذا البحث من بين أبحاث وليد عرفات الكثيرة لأنه يصور علمه الغزير ومنهجه فى البحث وطريقته فى الكتابة أحسن تصوير . ووليد عرفات من أجلاء بحاثة العرب ، وهو يعمل دائباً فى مدرسة الأبحاث الإفريقية والأسيوية التابعة لجامعة لندن أستاذاً جليلا ومشرفاً على نطاق واسع من الدراسات الإسلامية فى الجزر البريطانية ، وأبحاثه الكثيرة تمتاز بالإيجاز والشمول ووفرة المراجع وأصالة الحكم ، وتمتاز كذلك بأسلوب إنجليزى جميل ، وأعتقد أننى لم أقرأ لعربى لغة إنجليزية فى صفاء لغة وليد عرفات منذ توفى شفيق غربال وحسين كامل سليم وفارس الخورى وأدراب هؤلاء ممن تمكنوا بجدارة حقه من اللغة الإنجليزية ، ووصلوا فيها إلى مستويات كانت موضع إعجاب أبنائها أنفسهم . هذا كله ووليد عرفات يكتب العربية كأحسن ما يكتبها أبناؤها ، ويقول شعراً جميلا طالما رجوناه أن يجمع منه شيئاً وينشره فى الناس .

هذا ليس ثناء وإنما هو تقرير حقيقة لا بد من سياقتها عند الكلام على وليد عرفات . أما بحثه الذى نتعرض له هنا فهو واحد من أبحاثه الكثيرة التى تدور حول الحيــاة الأدبية فى عصر الرسول (صلعم) وصدر الإسلام ، فوليد عرفات من أعرف الناس بشعر حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك وهم شعراء الرسول الثلاثة وكذلك بالشعر الجاهلى وشعر الحماسة .

وهو يعالج هنا موضوع موقف الإسلام من الرق وهو موضوع طالما تعرض له الباحثون المسلمون على الخصوص ، وقد سلك وليد عرفات فى علاجه منهجاً جديداً فبدأ بدراسة مصادر الرق والأرقاء فى الجاهلية ، وعرفنا بأنواعهم وحالتهم العامة قبل الإسلام . ثم قال إن الإسلام عند ما جاء لم يكن موقفه من الرق موقف إقرار له وإنما موقف قبول لأمر واقع تحرياً لأخف الأضرار ، فقد كان

الرق أساساً من أسس التنظيم الاجتماعى والاقتصادى فى تلك العصور . ويقول وليد عرفات إن الإسلام اتجه نحو تحرير الأرقاء وأخذ طريق الحث على ذلك ، وقال إن القرآن الكريم يتضمن تسعة عشر موضع على الأقل فيها دعوة للمسلمين إلى تحرير الأرقاء والرسول نفسه (صلعم) كان من أول الذين طبقوا هدى الاسلام فى هذه الناحية فأعتق مواليه ونصح أصحابه بأن يفعلوا ذلك . ثم ذكر الطرق التى فتحتها الشريعة الاسلامية لتحرير الأرقاء وذكر من هذه الطرق خمساً ، ثم تكلم عن الرقيق فى الشريعة الاسلامية ووضعهم القانونى وحقوقهم كلاماً جيداً مفيداً يصلح أن يكون أساساً لدراسة موسعة فى ذلك الموضوع الهام .

وننتهز هذه الفرصة لنحيى المركز الثقافى الاسلامى فى لندن وهو الذى يتولى نشر هذه المجلة الجيدة ، فإن هذا المركز يقوم للاسلام والمسلمين بخدمات ثقافية وعلمية جليلة ، وقد أثبت بالفعل أهمية هذه المنشآت الثقافية الاسلامية بالنسبة للجماعات الاسلامية المقيمة فى بلاد أوربية من ناحية وبالنسبة كذلك لتمثيل الاسلام تمثيلا صحيحاً سليما . ويسعدنا هنا أن نبعث من معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد إلى المركز الثقافى الاسلامى فى لندن والقائمين بأمره أصدق التحيات .

محمد الطالبى : « الامارة الأغلبية » ، ١٨٤ — ٢٩٦ / ٨٠٠ — ٩٠٩ منشورات كلية الآداب بتونس ، نشر مكتبة أدريان ميزونيف ، باريس ١٩٦٦ (بالفرنسية)

Moḥamed Ṭalbī, *L'Emirat Aghlabide 184-296/800-909*. Publication de la Faculté des Lettres-Tunis, ed. Adrien Maisonneuve, Paris 1966.

قرأت هذا الكتاب فى كثير من المتعة والصبر : المتعة لأنه كتاب قيم فعلا يتناول التاريخ السياسي لأسرة من أولى الأسرات التى تولت الحكم فى ناحية من نواحى مملكة الإسلام وهى أسرة الأغالبة ، والصبر لأن الكتاب ضخم تصل صفحاته إلى ٧٢٤ غير الفهارس والجداول والخرائط .

وقد كان لا بد أن يضطلع واحد منا بكتابة تاريخ الأغالبة فإن تاريخهم الذى كتبه فون دز هيدن من قرابة ربع قرن ، قد انقضى زمن ولم يعد يتمشى

مع الوضع الحالى لمعلوماتنا عن بنى الأغلب والتاريخ المغربى بصفة عامــة ، هذا إلى أن ذلك الكتاب كان من أول الأمر ضعيفاً حافلا بالأخطاء ووجوه النقص ومؤلفه نفسه يعتبر من ضعاف المستشرقين ، ويكفى أن نرى كيف نشر تاريخ العبيديين لابن حماده لكى نعرف مكانه بين أهل الاستشراق .

كتاب الطــــالبى كتاب ممتاز تناول فيه تاريخ إفريقية العربية أى القطر التونسى مضافاً إليه جزءاً من الجزائر الحالية وجزءاً من ليبيا الحالية ، تناولا يدل على إقتدار وتمكن ومعرفة بأصول البحث من ناحية ، وبالمراجع والمظـان من ناحية أخرى . وقد أحسن إذ بدأ بحثه من بعد الفتح العربى مباشرة لكى يستطيع تتبع قيام تونس العربية وقيام دولة الجند العربى فيها ، وقد عرف كيف يشرح موقف أولئك الجند من الدولة ونظرتهم لأنفسهم وتصورهم لمستقبل البلاد ومكانهم فيها . وقد كنت أثناء تحقيقى للحلة السيراء قد جمعت مادة لكتابة تاريخ الأسر العربية التي حاولت الاستبداد بأمر إفريقية قبل بنى الأغلب وخاصة بنى المهلب ، مع الإلمام بالدور الخطير الذى قام به نفر آخر من زعماء الجند العربى الذين قاموا بالثورة على الدولة محاولين تحطيمها واعين أو غير واعين لما يعملون من أمثال سليمان بن حميد الغافقى وعبد الله بن الجارود المعروف بعبدويه وابراهيم بن محمد بن مزين الأودى ومن إليهم من فرسان العرب الذين أرادوا أن يطيحوا بدولة الإسلام ليستمتعوا بغارات فرسان وأرجاز شجعان ، وأعمال تدل على عدم إدراك مؤسف لحقيقة الدولة الاسلامية . والجدير بالذكر — وهذه ناحية كنت أود أن يشير إليها الطالبى — أن هذه كانت ظاهرة عامة فى عالم الاسلام كله خلال القرن الهجرى الثانى ، ففى ذلك الوقت كانت فتنة قيس واليمن على أشدها فى الأندلس ، وفتنة الجروى وابن وزير على أشدها فى مصر ، وكان فرسان مثلهم يعصفون بدولة الاسلام فى هضاب إيران حتى قضوا على آثار العروبة فيها .

تتبع المؤلف تاريخ بنى الأغلب فى دقة وإحكام ، ويلاحظ أنه تخلى عن هذا الإعجاب الذى لا حد له ، الذى كان ينظر به حسن حسنى عبد الوهاب لهذه الأسرة .فجاءت دراسته موضوعية وأساسية . وعند ما وصل إلى إبراهيم

الثانى وصل ببحثه إلى ذروته ، فإن هذا الرجل معضلة من المعضلات ، ولا شك فى أنه كان مضطرب الذهن وربما كان أحق بصفة الجنون من الحاكم بأمر الله ، فإن جنون إبراهيم بن أحمد الأغلبى إتجه إلى القتل فقتل من الناس أعداداً كثيرة جداً دون ذنب ، ومن الواضح أن شيئاً ما أصابه فجعله على هذه الصورة المؤسفة .

وأحسن ما أفدت من هذا الكتاب هى الدراسة الوافية لفتح المسلمين لصقلية وجنوبى إيطاليا ، فقد كتب ذلك بطريقة جيدة محكمة كنا فى أشد الحاجة إليها حتى نوازن المعلومات التى يقدمها لنا أمارى عن ذلك الموضوع الهام بالنسبة لتاريخنا العام . وإذا كنت آخذ على المؤلف شيئاً فهو أنه نظر إلى هذه الفتوح كلها على أنها غارات سلب ونهب ، وجردها من الكثير من طابعها الاسلامى ، ولا أدرى إن كان يتصور أن الصليبيين مثلا كانوا أصدق عاطفة دينية فى أعمالهم مما كان جنود بنى الأغلب فى صقلية . إننى أقول ذلك إنصافاً لتاريخ تونس فإن فتح صقلية هو العمل الضخم الذى ساهمت به تونس فى بناء الصرح السياسى لدولة الاسلام .

هذا كتاب جيد جداً ونموذج ممتاز للبحث العلمى السليم ، ولا يسع متتبع لحركة التاريخ فى عالم العرب إلا الاشادة بفضل محمد الطالبى فيما أتى به فى ذلك الكتاب .

دكتور كامل مصطفى الشيبى : « الفكر الشيعى والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثانى عشر الهجرى » ساعدت جامعة بغداد على نشره ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٦

لم يلق الفكر الشيعى حقه من العناية من المعنيين بتاريخ الفكر الاسلامى عامة ، وأغلب الظن أن السبب فى ذلك هو أن الأغلبية السنية الاسلامية نظرت إلى الشيعية من أول الأمر نظرتها إلى اتجاه خارج عن الخط السليم ، ومن ثم فهو مخالف للسنة القويمة وجدير لهذا بأن يتحاشى ولا توجه إليه أى عناية خاصة . وإذا نظرنا إلى معجم ضخم كمعجم الأدباء لياقوت فإننا يندر أن نعثر

فيه على ترجمة ذات قيمة لشخصية شيعية ، وحتى فى حالة ما إذا كانت الشخصية المترجم لها معروفة التشيع فإن ياقوت يجتهد فى أن لا يعطى لهذه الناحية أهمية خاصة ، أو يبين لها أثراً فى تفكير الرجل .

والشيعية فى أساسها مسألة عاطفية سياسية : عاطفية لأنها قائمة على التحزب لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، والندم على ما أصابه وأصاب ذريته على أيدى الحكومات ، والأسف على أن الجماهير الاسلامية لم تنهض للدفاع عن آل البيت أثناء معاركهم الكبرى مع خصومهم ، مما انتهى بأمرهم إلى الضياع من الناحية السياسية . ولكن بقيت فى نفوس المسلمين جميعاً بقية صالحة من الحب لآل البيت هى صدى للحب العظيم الذى يكنه المسلمون جميعاً للرسول (صلعم) ، وهذا الحب لآل البيت هو الذى يعرف بالعلوية أو الهاشمية ، وهو أمر يختلف تمام الاختلاف عن الشيعية . ومن هذه الناحية يمكن أن يقال إن كل المسلمين هاشميون لأن كل المسلمين يحبون الرسول (صلعم) .

أما من الناحية السياسية فالتشيع مهما كانت مدارسه هو المطالبة بالخلافة لذرية على بن أبى طالب . ويختلف الشيعة فيما بينهم حول الخط الذى تنحصر فيه هذه الوراثة ، ولكن التشيع على أى حال لا يخرج عن هذا ، والآن وقد انتهت الخلافة فلم يعد للتشيع من الناحية السياسية معنى أو سبب وجود .

ولكن التشيع بالذات لأنه اعتمد على العاطفه كان له أثر كبير فى الفكر والأدب الإسلامى ، فإن مفكرى الشيعة نسجوا حول شخصية على بن أبى طالب وذريته ، وخاصة الحسن والحسين وسلسلة الأئمة الإثنى عشرية نسيجاً ضخماً فيه أدب كثير وشعر كثير ، وحاولوا أن يوجدوا داخل كيان الفكر الإسلامى كياناً ضخماً لعلى بن أبى طالب كمنشىء الفكر الإسلامى ، وكالمثل الأعلى للمسلم الكامل وللخطيب البليغ وللمفكر الرصين وللفيلسوف البعيد المدى وللصوفى المتقشف وللمحارب الذى لا يخشى شيئاً فى سبيل الله . ومهما كان رأى إنسان فى هذه التصورات كلها إلا أنه لا بد أن يسلم بأن هذا الابتكار الواسع يضم جوانب كثيرة من الجمال العاطفى والفنى ، بل من الدقة العلمية فيما يتصل بالفقه الشيعى .

وهذه هى الناحية التى غابت عن مؤرخى الفكر الإسلامى العام ، فهى ناحية غنية ذات مجالات واسعة للالهام والابتكار ، ودراستها لا تستلزم من الانسان أن يكون شيعياً ، ولا تربطه إلى أى من المبادىء الشيعية .

وقد كنت دائماً أبحث عن كتاب يجمع أطراف الفكر الشيعى وتاريخه وشخصياته ، ويقدمه للقارىء العربى فى صورة علمية موضوعية فعثرت على ضالتى فى هذا الكتاب الممتاز الذى أهداه الدكتور كامل مصطفى الشيبي إلى المكتبة العربية ، وأوجز فيه تاريخ التشيع من ناحية ، ثم تطور الفكر الشيعي من ناحية أخرى . وقد أجاد المؤلف فى كتابه أيما إجادة ، ولم يكتف بأن يقدم لنا مذاهب الفكر الشيعى ومدارسه على مر العصور ، بل قدم لنا ممثليه من أمثال ابن المطهر الحلى وبهاء الدين الآملى وعامر بن عامر البصرى ونعمة الله الولى ورجب البرسى ومحمد بن فلاح ، وكذلك منشىء الطرق الصوفية الشيعية ذات الشهرة الكبيرة فى العالم الغربى على الخصوص .

هذا كتاب جيد ومفيد جداً لكل دارس للفكر الاسلامي .

عبد الرحمن بن خلدون : « المقدمة من كتاب العبر فى أخبار العجم والعرب والبربر »
ترجمة فرنسية كاملة لها قام بها فنسان مونتاى ، ٣ مجلدات ، بيروت ١٩٦٧

Ibn Khaldoun, *Discours sur l'Histoire Universelle (al-Muqaddima)*. Traduction nouvelle, préface et notes par Vincent Monteil. 3 vols. Beyrouth, 1967. (Collection Unesco D'Oeuvres Rrepresentatives. Série arabe. Commession Internationale pour la traduction des Chefs-D'Oeuvres.)

هذه ترجمة جديدة لمقدمة ابن خلدون قام بها علامة فرنسى متمكن فعلا لحساب منظمة اليونسكو ضمن مشروعها الكبير لترجمة الروائع العالمية عن طريق اللجنة الدولية لترجمة الروائع العربية إلى اللغات غير العربية فى بيروت .

ولا يمكن النظر إلى هذه الترجمة على اعتبار أنها مجرد ترجمة فرنسية لمقدمة ابن خلدون تحل محل الترجمة القديمة التى قام بها البارون ماك جوكين دى سلان ، لأنها فى الحقيقة عمل أصيل جدير بأن يعد فى المبتكرات ، لأن فنسان

مونتاى جعل من هذه الترجمة موضع دراسة وبحث جديدين عن ابن خلدون وتاريخه وآرائه فى المقدمة . وهو لم يقنع بالطبعات الكثيرة الموجودة حالياً لهذا الكتاب الفذ ، وإنما مضى يلتمس المخطوطات ويحقق الأصول فكان عمله تحقيقاً جديداً للمقدمة ونصها ، وربما كان من الممكن أن نرجوه أن ينشر النص العربى الذى قوّمه على أساس من كل المخطوطات التى عثر عليها وخاصة مخطوطة استامبول رقم ١٩٣٦ (مكتبة عاطف أفندى) وهى أصح مخطوطات المقدمة ، وقد كتبها ابن خلدون بخط يده وراجعها بنفسه وقرر صحتها سنة ١٤٠٢ أى قبل موته بأربع سنوات ، فقد توفى ابن خلدون فى ١٧ مارس سنة ١٤٠٦

والمقدمة التى كتبها فنسان مونتاى لهذه الترجمة تعتبر فى ذاتها دراسة جديرة بأن تنقل إلى العربية ، وهو لا يوافقنا فيها على الكثير مما نذهب إليه فى أمر ابن خلدون وفلسفته فى التاريخ ، ولكن هذه هى آراؤه وهى جديرة بكل تقدير . ويكفى أن أقرر هنا أننى على كثرة ما قرأت عن المقدمة فى لغتنا العربية لم أقرأ شيئاً يدفع الذهن إلى التفكير ، ويحمل الإنسان على إعادة النظر مثل هذه المقدمة الممتعة حقاً ، التى تدل على أن صاحبها قد درس دراسة طويلة وفكر تفكيراً عميقاً ، ثم كتب عن ثقافة عالية مكنت له من أن يضع ابن خلدون فى عصره وضعاً صحيحاً ، ومكنت له كذلك من أن يضعه فى وضعه الحق فى كل العصور . وعلى الرغم من أن الصفحات التى خصصها المترجم لحياة ابن خلدون نفسها قليلة ، إلا أن هذه الصفحات بالذات تعدل فى قدرها وغناها كتاباً كاملا . وقد رجع مونتاى قبل كتابتها إلى كل ما كتب عن ابن خلدون سواء فى العربية أو فى غيرها .

وآراء مونتاى فى التقدير العام لابن خلدون جديرة بالنظر فهو يرى فيه مؤرخاً حقيقياً ومنشئاً لعلم الاجتماع قبل أوجست كومت بخمسة قرون ، وهو يعرض الأسس التي قام عليها تفكير ابن خلدون كمؤرخ عرضاً دقيقاً واضحاً ، ويرى أن النظريات التى يشرحها فى المقدمة هى نتيجة قراءاته الواسعة وتجربته الشخصية لأن حياة ابن خلدون نفسها إنما كانت تجربة إنسانية واسعة عميقة . وبطبيعة الحال لا يتسع المجال هنا للكلام عن هذه المقدمة بما تستحق .

أما الترجمة الفرنسية فقد إنتهج فيها فنسان مونتاى منهجاً خاصاً صدر فيه

عن تفكيره أولا كقارىء أوروبى يعرف ما يستسيغه القارىء الأوروبى وما لا يستسيغه . ومن هنا فقد سمح لنفسه بأن يسقط من النص عبارات من تلك التى يذكرها المؤلفون العرب للزينة أكثر مما يذكرونها للمعنى ، ومن هذا الطراز كثير من الكلام المسجوع الذى يفتتح به ابن خلدون مقدمته ، وعبارات أخرى من التى لا تدخل فى الصميم وإنما كتبها ابن خلدون للأسلوب فى ذاته .

أما كل ما يهم وكل المادة الأصيلة فقد عني بها فنسان مونتاى وترجمها ترجمة جيدة جداً ، وكان عليه أن يبتكر معادلات فرنسية للكثير من ألفاظ مصطلح ابن خلدون ، وهذه الابتكارات فى ذاتها تستحق دراسة خاصة . وبصفة عامة نستطيع أن نقول أنها عمل جليل حقاً جدير بالتقدير من العرب أجمعين ومن كل المعنيين بالدراسات التاريخية كذلك . وهذه هى ثانية الترجمات الأوروبية العظيمة لمقدمة ابن خلدون بعد الترجمة الممتازة التى قام بها فرانز روزنتال من سنوات .

وأنتهز هذه الفرصة لألاحظ أن طبعة الترجمة الإنجليزية وطبعة الترجمة الفرنسية تفوقان من حيث الجمال والدقة والفخامة كل ما لدينا من الطبعات العربية لهذه المقدمة ، وهذا فى ذاته أمر جدير بالتأمل .

خليفة بن خياط : « تاريخ خليفة بن خياط » بتحقيق سهيل زكار ، فى مجلدين ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومى ، إحياء التراث القديم ، دمشق ١٩٦٧

هذه خدمة جليلة أسداها سهيل زكار لتراثنا العربى ، فإن تاريخ خليفة بن خياط هو أقدم مؤلفات التاريخ الجديرة بهذا الوصف التى وصلت إلينا ، فقد توفى خليفة سنة ٢٤٠ / ٨٥٤ أى أنه درس وكتب خلال النصف الأول من القرن الهجرى الثانى ، ولم يسبقه إلى ذلك أحد من العرب ، فإن خليفة لم يكن راوية أخبار كأبى مخنف يحيى بن لوط ، ولا صاحب رسائل كعروة بن الزبير ، ولا صاحب أخبار قصار كسيف بن عمر ، وإنما كان مؤرخاً له إدراك لعلم التاريخ واستقلاله عن غيره ومعرفة بكتابته ، والدليل على ذلك أنه وضع كتابه على أساس الحوليات ، والحوليات هى أولى مراحل التاريخ الصحيح . وربما

كان من المفيد أن نسأل هنا عمن أخذ خليفة هذه الطريقة ، وهل سبقه فيها أحد ، لأن الطريقة التى اتبعها طريقة صاحب حوليات عارف بأصول ترتيب الحوادث على السنين . وإذا بدا لنا هذا سهلا بالنسبة لحوادث الدولة الإسلامية بعد استقرارها ، أى فى العصر الأموى مثلا ، فإننا نتصور بصعوبة كيف خطر ببال خليفة أن يؤرخ سيرة الرسول نفسها فى صورة حوليات ، لأن المسلمين لم يعرفوا من أول الأمر تقسيم حوادث حياة الرسول على السنين ، وهذا ظاهر من إختلاف المؤرخين حول كثير من حوادث السيرة إن كانت قد وقعت فى هذه السنة أو تلك .

والمهم لدينا أن تاريخ خليفة بن خياط بين يدينا الآن فى طبعة محققة ممتازة بيد علامة شاب يعرف أصول العلم وقواعد التحقيق . وقد كان هذا الكتاب بين يدى مخطوطاً من سنوات ، وكنت أتمنى لو استطعت نشره ، فجاء سهيل زكار فحمل عنا هذا العبء ونشر هذا الكتاب على أحسن ما يكون النشر ، وحققه على أحسن ما يكون التحقيق ، وقدم له بمقدمة طيبة يستحق الثناء عليها . وإن كنا نتمنى لو كان قد خفف الوطء قليلا على أبى مخنف وسيف بن عمر ، فإنهما فى الحقيقة لا يستحقان هذا النقد العنيف .

تحقيق الكتاب ممتاز فقد راجعته مراجعة دقيقة ووجدته من الكتب المحققة تحقيقاً تطمئن إليه النفس ، وخاصة فيما يتصل بأسماء الأعلام والأماكن . وقد وجدت سهيل زكار يقول فى المقدمة إن تاريخ خليفة يمتاز بقوائم الرجال التى يأتى بها فى آخر كل واقعة أو حادث كبير فى حياة الرسول (صلعم) ، وأضيف هنا أن فضل خليفة فى هذه القوائم قليل لأنها كانت العنصر التاريخى الوحيد المكتوب الذى تداوله الناس على أيام الرسول ، ففى حين يدور الشك حول أصالة نصوص الخطابات التى صدرت عن الرسول (صلعم) إلى الملوك ، فإنه لا شك فى صحة قوائم البدريين والأحديين والخيبريين وما إلى ذلك ، فإن هذه كانت تدون عقب المعارك مباشرة لأنها كانت تتخذ أساساً فى تقدير ما ينبغى من معاونات لأهل القتلى ، ومن المعروف مثلا أن البدريين كان لهم مكان خاص فى المجتمع الإسلامى من أول الأمر .

بيد أننا ينبغى أن نلاحظ أن خليفة بن خياط بالغ عند ما تكلم عما سماه « عمال الرسول » ، لأن الرسول (صلعم) لم يكن له عمال ، بل إن المصدقين الذين كان يرسلهم إلى القبائل لمراقبة إخراج الصدقات لم يكونوا عمال صدقات ، أى أن هذه لم تكن وظائف لهم .

هذه ملاحظات قليلة على تاريخ خليفة بن خياط نفسه لا على تحقيقه فإن ذلك كما قلنا جيد جداً ، وصاحبه يستحق من القائمين على خدمة علوم الإسلام كل شكر .

الأب كميل هشايمة : لويس شيخو وكتابه « المسيحية والأدب المسيحى فى بلاد العرب قبل الإسلام » ضمن سلسلة الأبحاث التى ينشرها معهد الآداب الشرقية فى بيروت ، السلسلة الثانية الخاصة بالأدب واللغة العربيين ، مجلد ٣٨ ، نشر دار المشرق بيروت ١٩٦٧

Camille Hechaïme, S. J: *Louis Cheikho et son livre «Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam»*. Recherches publiées sous la direction de l'Institut de Lettres Orientales de Beyrouth. Série II: Langue et Littérature Arabes. Tome XXXVIII. Dar al-Machreq - Beyrouth, 1967.

كان لا بد أن يقوم واحد من الباحثين بهذه الدراسة لمراجعة كتاب لويس شيخو هذا ونقده وتصويبه ، فقد انقضى زمان طويل على تأليفه ، والكتاب معدود من أمهات الكتب التى يرجع إليها الناس إلى يومنا هذا ، ولا يستغنون عن المادة الوفيرة التى تضمنها ، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك كتابه الآخر المشهور عن « شعراء النصرانية العرب » .

والحقيقة أننا كنا قد بدأنا منذ حين نصرف النظر عن الكثير من المعلومات التى أوردها لويس شيخو فى كتابيه هذين ، لأنه كما هو معروف قد بالغ فى استعمال طريقته الخاصة فى البحث ، وأسرف فى تلمس آثار النصرانية فى ثقافة الجاهليين ودياناتهم حتى كنا نتندر بقولنا : « لو ترك الأمر للويس شيخو لما ترك حجراً فى جزيرة العرب إلا رده إلى أصل نصرانى » . وإن الإنسان ليدهش بعض الأحيان وهو يقرأ كتب طلائع الباحثين العرب من أمثال لويس شيخو

وأنستاس مارى الكرملى وبطرس البستانى وإبراهيم اليازجى ، فيتعجب كيف أنهم على علمهم الغزير واخلاصهم فى البحث والدرس قد فاتت عليهم مسائل فى غاية البساطة ، وعجزوا عن رؤية حقائق واضحة كل الوضوح ، ولكن تمسك كل منهم بآرائه ومعتقداته حال بينه وبين الرؤية الصحيحة الصافية .

وهذا لا يقلل بحال من قدر أولئك الطلائع وبالذات لويس شيخو له فى قلوبنا مكانة ممتازة ، فهو من أوائل العرب الذين علمونا كيف نقرأ كتبنا ونفهمها ونحقق ما فيها ونستخرج مادتها فى صبر وعناية وإخلاص ، ومهما كانت وجوه نقدنا لكتبه ، فإنه لا يزال علماً من أعلام البحث فى تاريخ العلم العربى الحديث .

تناول كميل هشايمة بحثه تناولا جاداً صادراً عن علم غزير ومنهج سليم ، فدرس كتابه « لويس شيخو » دراسة تحليل ثم وضع كل معلومة فيها موضع التساؤل والشك لينتهى بعد ذلك إلى اليقين . وقد أنصف لويس شيخو بهذا فى مواضع كثيرة ، ولكنه استدرك عليه كذلك مآخذ كثيرة جداً سواء فى الطريقة أو فى وجهة النظر أو فى النتائج التى وصل إليها ، وأكثر ما أخذ على الأب لويس هو تشبثه بمعتقدات مسبقه ، وافتراضه جدلا أنها صحيحة ثم محاولة إثباتها بعد ذلك . وتتجلى لنا طريقة الأب هشايمة فى نقده لمنهج لويس شيخو فى البحث فى الفصل الأول من كتابه ص ٤٥ وما يليها ، فبعد أن عدّد فضائل الكتاب ومراجعه الكثيرة نقد نقداً شديداً طريقة شيخو فى فهم القرآن الكريم والاستفادة منه . ومن العجيب أن رزق الله شيخو — وهذا هو اسمه الأول — وإن كان معدوداً فى العرب ، لم يصل يوماً ما إلى الإحساس بالقرآن على النحو الذى أحس به مثلا رجل مثل آربرى فظل دائماً يتلمس أصول كلماته وأفكاره فى الإنجيل وغير الإنجيل فأتعب نفسه بذلك تعباً شديداً ، ولم يصل بعد ذلك إلا إلى نتائج لا يحسب لها اليوم حساب . كذلك نقد الأب هشايمه طريقة لويس شيخو فى تقرير نصرانية الشعراء ، ومن المعروف أن شيخو كاد يجعل كل شعراء العرب قبل الإسلام مسيحيين ، ولم يدع بيتاً له قيمة فى شعر عبيد بن الأبرص أو الأفوه الأودى أو علقمة الفحل أو عمرو بن كلثوم أو عنترة بن شداد أو أعشى قيس ومن إليهم إلا رده إلى أصل نصرانى أو

إلى شعور نصرانى ، وهذه بطبيعة الحـال مسألة أضعفت كتاب لويس شيخو ضعفاً شديداً .

إننا نقدر للأب هشايمه بحثه القيم ، وننتهز هذه الفرصة لنحيي دار المشرق فى بيروت وما تقوم به من خدمات للعروبة والعلم العربى .

أبو العلاء صاعد بن الحسن : كتاب « التشويق الطبى » بتحقيق أوتو شبيس ، أستاذ اللغة العربية والعلوم الاسلامية سابقاً بجامعة بون بألمانيا ونشر المعهد الشرقى فى جامعة بون ١٩٦٨

الأستاذ أوتو شبيس علامة متعدد النواحى واسع النشاط ، وهو من أكثر الباحثين الأوربيين إنتاجاً ، وقد نشرنا له فى هذا العدد من الصحيفة مقاله القيم عن طب الأسنان عند العرب . ونقدم هنا كتاباً من آخر ما نشر وهو كتاب « التشويق الطبى » لصاعد بن الحسن ، من أهل العلم والسياسة فى العراق فى القرن الخامس الهجرى ، فقد ألف كتابه هذا سنة ٤٦٤ / ١٠٧٢ وهذا هو التاريخ الوحيد الذى لدينا عن حياته ، إذ أننا نجهل سنة ميلاده ووفاته رغم أنه كان من كبار الناس فى عصره ، وقد اختصه ابن أبى أصيبعة بمـادة قصيرة ذكر فيها أنه كان بليغاً حاذقاً مشتغلا بالطب . ولـكن أوتو شبيس استطاع أن يستخرج من المراجع مادة لا بأس بها عن صاعد ، فتبينا أنه كان من المشتغلين بالسياسة ، وممن يحضرون مجالس الوزراء ويخدمونهم ، وكان إلى جانب علمه بالطب عارفاً بالفلك حاذقاً فى العمل بيده حتى لقد صنع « قلم حديد » — والمراد به ما نسميه نحن بقلم الحبر — للوزير شرف الدولة فكتب به شهراً دون حاجة إلى محبرة .

وكتاب التشويق الطبى كتاب صغير وهو ليس فى صميم الطب وإنمـا هو أشبه بالمقدمة أو بالقراءة الطبية ، فإن مؤلفه لم يرم من وراءه إلى أن يجعله كتاباً كاملا فى الطب ، وإنما هى رسالة هدفها تشويق الناس إلى دراسة الطب وتبيان مزاياه ، وذكر ما ينبغى للطبيب من خلق وعـلم وما إلى ذلك . وقد قسم صاعد كتابه إلى إثنى عشر باباً يضاف إليها باب أخير هو خاتمة الـكتاب ، والابواب تتناول موضوعات مثل التنبيه على جلالة قدر صناعة الطب وأهلها ،

وصفة الطبيب الماهر والشروط والقوانين التى ينبغى أن تتوفر فى الطبيب ، والآداب والوصايا التى ينبغى أن يلزمها الطبيب فى بيته وفى الأسواق وعند المرضى وفى البيمارستانات وما إلى ذلك من الموضوعات العامة التى أراد بها المؤلف أن يسامر الوزير أبا المكارم على بن عبد الوهاب وقد كان من جلسائه وندمائه .

ويستوقف النظر الباب الثالث « فى صفة الطبيب الماهر الذى يستحق التقدم على من ينتحل هذه الصناعة وينتمى إليها » فهذا الباب يعتبر حقاً دستوراً خلقياً علمياً للأطباء حتى فى عصرنا هذا ، وهذا الدستور يدل على ما كان لصناعة الطب من مكان رفيع فى المجتمع الاسلامى ، وما كان ينبغى أن يتحلى به الطبيب الحق من علم واسع وتجربة طويلة وخلق قويم وتصاون كامل وتنزه عن النظر إلى المادة أو اتخاذ الصنعة الطبية كوسيلة من وسائل الكسب .

وقد نشر أوتو شبيس هذا الأصل القيم بطريقة الأوفست فاتخذ مخطوطة جوته كما هى أساساً ووضع بيده أسفلها المفارقات ، وهى طريقة عسيرة لا شك أنه تكلف جهداً شديداً فى تنفيذها ، وسبب ذلك هو ارتفاع أسعار طبع النصوص العربية فى أوروبا . والأوفست لا يمكن أن يستخرج منه نسخ كثيرة ، ولهذا فإن ذلك العمل القيم الذى قام به أوتو شبيس سيظل محصور الفائدة والمدى ، ولا شك كذلك فى أن تكاليفه باهظة .

وقد قدم أوتو شبيس للنص بمقدمة ذات قيمة كبيرة ، وأضاف ثبتاً بالمراجع وفهرساً لأسماء الأعلام والمراجع وكل ذلك باللغة الألمانية .

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى : «كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء » بتحقيق كريستوفر تول منشورات جامعة أوبسالا بالسويد ، دراسات سامية أبسالية رقم ١ سنة ١٩٦٨

فى سنة ١٩٦٠ نشرت كتاب الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة لأبى الحسن على بن يوسف الحكيم . وفى سنة ١٩٦٧ نشر الدكتور محمد فهمى كتاب « كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية » لمنصور بن بعره الذهبى الكاملى ، والآن ينشر كريستوفر تول كتاب « الجوهرتين العتيقتين » للهمدانى ، فهذا

ثالث كتاب ينشر فى هذه الناحية الهامة من نواحى الحياة الاقتصادية فى العالم الإسلامى فى العصور الوسطى وهى ناحية الذهب والفضة وسك النقود .

وهذا الكتاب هو أقدم الثلاثة ، وهو كما يقول محقق النص جزء من موسوعة كبيرة كانت تقع فى عشرة مجلدات جمع فيها الهمدانى كل ما وعى وجمع من العلوم فى عصره . والهمدانى دون شك من أعلام الفكر فى تاريخ الإسلام ، فقد كان شعلة نشاط وحركة وتأليف ، ولد فى أواخر القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى وعاش وألف موسوعته تلك فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى . والاغلب أنه لم يعش ليكمل موسوعته الفريدة ، ولكن الأجزاء التى عثرنا عليها منها مثل الجزء الخاص بتاريخ اليمن القديم — وهو المسمى بكتاب الاكليل — تدل على علم واسع غزير . وهذه القطعة من الموسوعة التى نشرها كريستوفر تول عن الذهب والفضة وسك النقود تدل على أن الرجل كان موسوعياً فى علمه ، فقد أجاد فى الكتابة فى موضوع خاص كموضوع سك النقود إجادته فى الكلام على تاريخ اليمن القديم وهى وطنه .

الكتاب يساير ضوابط دار السكة من حيث التقسيم على وجه التقريب ، فهو يتحدث عن معادن الذهب والفضة ، وأين يوجدا ، وعلى أى صورة يكونا ، وطرق استخراجهما وتنقيتهما وإعدادهما للصياغة أو للسك ، مع فصول لغوية وأدبية عن الذهب والفضة والدنانير والدراهم وذكرها فى الشعر والنثر . ويضيف الهمدانى فصولا عن الفلك وما يسميه قسوم البروج من الجواهر ، وبعد مقدمات طويلة يصل إلى موضوعه الحقيقى وهو موضوع معادن أى مناجم الذهب والفضة فى جزيرة العرب وبقية نواحى العالم ، وهنا نجد توازياً بين ما يقوله وما يذكره أبو الحسن على الحكيم فى ضوابط دار السكة . وبعد ذلك يتحدث عن صهر الذهب وهو يسميه بالطبخ ، ويصف العمليات الكيمائية اللازمة لذلك ، وهنا نجد أن الهمدانى أوسع علماً وأدق بصراً من أبى الحسن على الحكيم وإن كانت تنقصه تلك الخبرة التى لا تتأتى إلا بالممارسة المباشرة ، وذلك هو الذى ينفرد به أبو الحسن على الحكيم وهو ما يجعل لكتابه قيمة فريدة بين كتب هذا الشأن .

وقد نشر كريستوفر تول هذا الكتاب على مخطوطات عديدة ذكرها ووضعها فى ص ١١ من بحثه ، ولكنه نشر النص نفسه بطريقة الأوفست ، أى أنه نسخه بيده وكتب المفارقات أسفل الصفحة بيده أيضاً ، ثم صور ذلك كله وطبع بالأوفست ، وهذا عمل مرهق تحمله الناشر فى صبر ونحن جديرون بأن نشكره له .

ولم يكتف كريستوفر تول بذلك بل ترجم النص كله إلى اللغة الألمانية ونشر الترجمة فى مقابل النص صفحة بصفحة فى دقة تدعو للاعجاب ، وذيل الكتاب بعد ذلك بثبت بالمراجع وفهرس أعلام وفهرس أشعار ، وكان لا بد أن يذيله بجامع مفردات للمصطلحات الفنية كما فعلنا فى ضوابط دار السكة ، وهذه هى ناحية النقص الوحيدة فى هذا التحقيق وهى مستدركة على أى حال .

مجلة اللسان العربى :

يصدر هذه المجلة المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية ومركزه فى الرباط عاصمة المملكة المغربية . وهذه المجلة مخصصة للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب فى العالم العربى .

وقد أحسنت جامعة الدول العربية بإنشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى فى مدينة الرباط ، فهذا وضع سليم إذ من الصالح أن تكون المكاتب الفنية للجامعة العربية موزعة فى أنحاء العالم العربى .

ويشرف على هذه المجلة صديقنا العلامة عبد العزيز بنعبد الله الأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى . ويصعب إحصاء الأبحاث القيمة التى تنشرها فى كل عدد من أعدادها ، ويكفى أن نذكر مثلا أن العدد الرابع الذى صدر فى أغسطس ١٩٦٦ يضم طائفة ضخمة من الأبحاث القيمة التى تتعلق كلها باللغة العربية وحركة التعريب والموسوعة المغربية والمعاجم ، واشترك فى كتابة هذه المقالات علماء من شتى أنحاء العالم العربى ، فأنت تقرأ هنا أسماء عبد العزيز بنعبد الله وعبد الحق فاضل وشفيق جبرى ومحمد جميل بيهم والبشير الابراهيمى وعبد الله كنون وسعيد الديوه جى وإحسان عباس وليوشو سيانغ ،

وهذه أسماء لم تجتمع قط فى صعيد واحد حتى جمعها « اللسان العربى » بين دفتيه ، ولسان العرب هو ذلك الرباط المقدس الذى يجمع العرب فى كل مكان بعضهم إلى بعض .

إن مركز تنسيق التعريب عمل جليل يذكر للجامعة العربية بكل خير ، ومجلة اللسان العربى أشبه ما تكون بدار ندوة حرة أو بسوق كعكاظ يجتمع فيها علماء العربية من كل حدب وصوب لخدمة لغتهم وثقافتهم .

ولا شك أن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله قد وفق تمام التوفيق فى إدارة ذلك المركز الذى تولاه رغم صعوبة المهمة التى اضطلع بها ، ومجلة « اللسان العربى » تخرج كل مرة من شارع المرابطين بالرباط فى أربعة آلاف نسخة تذهب إلى أقاصى الأرض كأنها تحية متجددة للعرب والعروبة فى كل مكان .

مجلة البحث العلمى ، يصدرها المركز الجامعى للبحث العلمى بالرباط (المملكة المغربية)

بين يدى الآن العدد المزدوج ١١ ، ١٢ من السنة الرابعة لهذه المجلة الممتازة التى يصدرها المركز الجامعى للبحث العلمى بالرباط التابع لجامعة محمد الخامس . وهذه الإشارة هنا ليست لنقد هذه الصحيفة العلمية أو عرض ما تنشره من مادة علمية ذات مستوى رفيع ، وإنما هو تقدير وإشادة بالمجهود العلمى المشكور الذى يقوم به المركز الجامعى للبحث العلمى بجامعة محمد الخامس .

هذه المجلة جامعة أى أنها تنشر الأبحاث العلمية من كل صنف سواء أكانت أدبية أو إجتماعية أو رياضية أو طبيعية ، وهى تشبه من هذه الناحية مجلة آربور التى يصدرها المجلس الاعلى للأبحاث العلمية فى إسبانيا . ويهمنا هنا القسم الخاص بالأبحات المتعلقة بالآداب والعلوم الاجتماعية والتاريخ والجغرافيا ، وفى هذا المجال نجد مجلة البحث العلمى غنية بالأبحاث التي تهم المشتغل بتاريخ المغرب والاندلس ، فهنا مثلا مقال عن المعتمد بن عباد بقلم عبد القادر زمامة ، ومقال عن مصر فى مخطوطات المسالك والممالك للبكرى لمحمد الفاسى ، وآخر عن التاريخ وعلم الاجتماع فى المغرب لعبد الكبير الخطيب ، وهناك بحث فى تاريخ المغرب الدبلوماسى لعبد الهادى التازى وغير ذلك كثير .

وكل هذه أبحاث ذات مستوى علمى رفيع نحرص نحن هنا على فهرستها وتبويبها حتى تكون بين أيدى الباحثين . والحق أن مجموعة بطاقات أبحاث هذه المجلة فى مكتبتنا مجموعة قيمة تضيف مادة جديدة للباحثين فى تاريخ المغرب والاندلس .

وهذا كله يحدونا إلى أن نعبر باسم هذه الصحيفة عن تقديرنا لهذه الزميلة التى تجتهد فى نفس ميداننا ، وتفتح للبحث العلمى الصحيح باباً واسعاً . وهذه مناسبة لكى نحيي منشىء هذه المجلة الاستاذ العلامة الناصر الفاسى ومديرها الحالى أحمد الاخضر غزال مدير المركز الجامعى للبحث العلمى بالرباط ، وسكرتير تحريرها السيد محمد الصباغ .

حسين مؤنس

أنبـاء

رثـاء وتـقـديـر

خلال هذين العامين انتقل إلى دار البقاء خمسة من علماء العرب أصحاب اليد الطولى فى الأبحاث العربية والإسلامية ممن ربطتهم بهذا المعهد وصحيفته روابط وثيقة من الإخاء والعمل لخدمة الإسلام والعروبة وعلومهما . ومن حقهم علينا أن نرثيهم على صفحات مجلتنا هذه التى طالما شاركونا فى العمل فيها بالتحرير تارة وبالرأى والتأييد والنصح الصادق تارة أخرى . هؤلاء الخمسة هم حسن حسنى عبد الوهاب وحسن ابراهيم حسن ومحمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ونبيه أمين فارس تغمدهم الله برحمته وأفسح لهم فى جنان الخلد بقدر ما أوسعوا للناس فى رحاب العلم والمعرفة .

حسن حسنى عبد الوهاب

كان حسن حسنى عبد الوهاب طوال حياته المديدة عالم تونس دون منازع ، ورائد علوم العرب فيها ، والمتحدث باسمها فى مجامع العلم فى الشرق والغرب على السواء .

ولد فى مدينة تونس فى ٢١ يوليو ١٨٨٤ وتوفى فى تونس أيضاً فى ٩ نوفمبر ١٩٦٨ ، وكان طوال هذا العمر المبارك مثالاً للعالم العربى المخلص

الصادق ، وقد عرفته سنة ١٩٣٦ أيام كنت أعد بحثى عن « فتح العرب للمغرب » ، وآخر مرة رأيته فيها كانت فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ولا أذكر أننى لاحظت اختلافاً فى هيئة الرجل بين ما كان عليه يوم عرفته أول مرة وصورته عندما جلسنا نتحدث فى بهو المجمع على الرغم من إنقضاء قرابة ثلاثين سنة بين اللقائين ، وقد خطر ببالى إذ ذاك أن حسن حسنى عبد الوهاب من أولئك الرجال الذين لا تمر عليهم الأعوام ، وإنما هو باق بعلمه وصورته وأخلاقه رمزاً حياً متجدداً لا يتغير .

ولكنه مضى كما يمضى كل الناس ، وما كان من ذلك مفر فإن الله حق والموت حق ، ولكننا نتعزى فنقول أن ح . ح . عبد الوهاب استوفى من الحياة عمراً مديداً أتاح له أن يخدم العلم وأهله ، وأن يسدى إلى وطنه خدمات قل أن يدانيه فيها تونسى من العلماء . وقد كان أصحابنا من المستشرقين يعجبون به ويقولون إنه يمثل عصراً قائماً بذاته ، وأن ذلك العصر سينتهى عندما يغادر هذه الدنيا ، وذلك حق فان الرجل كان نسيج وحده سواء فى تاريخ حياته أو فى علمه الغزير الذى جمع به بين علم الشرق والغرب على أحسن صورة ، أو فى هيئته الجميلة بقامته الفارعة وجسمه النحيف وصوته الرقيق وأدبه الجم الذى يعتبر نموذجا لأدب سراة الناس وأهل العلم فى تاريخنا كما تصفه لنا تراجم أجلاء العلماء .

درس حسن حسنى عبد الوهاب فى باريس حتى سنة ١٩٠٤ ، وعاد إلى بلاده ودخل فى خدمة الدولة فى ظروف عسيرة على رجل عربى مثله ، فقد كانت تونس إذ ذاك تئن تحت وطأة الاحتلال ، وكانت العروبة وكل ما يتصل بها هدف أهل السلطان الفرنسيين ، ولكن الرجل ظل ثابتاً فى مكانه يخدم بلاده فى صمت حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٣٩ ، ثم تولى بعد ذلك وظائف أخرى أهمها وزارة القلم ثم اعتزل الإدارة نهائياً سنة ١٩٤٧ وكرس نفسه للعلم بعد ذلك ، فجمع ذخراً لا يقدر بمـال من المخطوطات وأنشأ مكتبة عامرة فى

بيته وأقبل يدرس ويبحث ويشارك فى المؤتمرات الدولية ، وقد ظهر قدره بصورة خاصة فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة إذ أنه كان من أوائل من عينوا فيه عند انشائه سنة ١٩٣٢ ، وظل عضواً فيه حتى وفاته . وكان حسن حسنى عبد الوهاب إلى جانب ذلك عضواً فى المجمع الفرنسى للنقوش والآداب وفى المجمع العربى فى دمشق والمجمع العلمى العراقى فى بغداد .

وقد خلف لنا مجموعة من المؤلفات نذكر منها : خلاصة تاريخ تونس (تونس ١٩١٨ — ١٩٣٠ — ١٩٥٣) ، وبساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق (تونس ١٩١٢) ، والارشاد إلى قواعد الاقتصاد (تونس ١٩١٩) ، والإمام المازرى (تونس ١٩٥٤) ، والمنتخب المدرسى من الأدب التونسى (تونس ١٩٠٨ — القاهرة ١٩٤٤) ، وشهيرات التونسيات (تونس ١٩٣٤ — ١٩٦٦) ، وورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (تونس ١٩٦٥ — ١٩٦٦) ، ومجمل تاريخ الأدب التونسى (تونس ١٩٦٧) .

هذا وقد حقق مخطوطات كثيرة كملقى السبيل فى الوعظ والحكم لأبى العلاء المعرى (دمشق ١٩٦٢) ، وأعمال الأعلام (قسم تاريخ افريقية وصقلية) لابن الخطيب الأندلسى (صقلية ١٩١٠) ، ورسائل الانتقاد لمحمد بن شرف القيروانى (دمشق ١٩١٥) ، وكتاب يفعول (بحث لغوى) للصاغانى (تونس ١٩٢٤) ، والتبصر بالتجارة للجاحظ (دمشق ١٩٣٣ — مصر ١٩٣٥ — بيروت ١٩٦٦) ، ووصف إفريقية والأندلس لابن فضل الله العمرى (تونس ١٩٢٠) ، والجمانة فى إزالة الرطانة فى اللهجة الأندلسية لمجهول (مصر ١٩٥٨) ، ورحلة التجانى (تونس ١٩٥٨) ، هذا بالاضافة إلى عدة مؤلفات وأبحاث علمية باللغة الفرنسية .

وقد تحدثنا فى باب النقد من هذه الصحيفة عن كتابه المسمى « ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية » (الجزء الأول) ، ويقال إن هذا الكتاب يعتبر جزءاً من كتاب ضخم كتبه حسن حسنى عبد الوهاب على مدى

حياته الطويلة وسماه لهذا «كتاب العمر» ضمّنه تاريخاً ثقافياً حضارياً لتونس ، فإذا كان هذا حقاً فاننا نرجو إخواننا التونسيين أن يبادروا إلى نشر بقية ذلك الكتاب خدمة لتونس وتاريخها ، وخدمة كذلك للعروبة والإسلام .

حسن ابراهيم حسن

ولد حسن ابراهيم حسن سنة ١٨٩٣ وتوفى سنة ١٩٦٨ ، وكان منذ تخرج من المعلمين العليا والتحق بالجامعة المصرية القديمة علماً من أعلام التاريخ الإسلامى ، فقد قضى عمراً طويلاً يدرس ويؤلف ، وتقلب فى أثناء ذلك فى وظائف جامعية شتى فكان أستاذاً للتاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم رئيساً لقسم التاريخ بنفس الكلية فعميداً لها ، ثم عين بعد ذلك مديراً لجامعة أسيوط ، وتولى بعد ذلك التدريس فى بعض الجامعات الأمريكية وفى جامعتى الرباط وبغداد ، ومات أستاذاً فى الجامعة الأخيرة .

وقد خلف حسن ابراهيم حسن مؤلفات كثيرة فى التاريخ الإسلامي أهمها كتابه المشهور «تاريخ الإسلام السياسى» باجزائه الثلاثة وهو من أوسع المختصرات تداولا بين أيدى الناس ، «والفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص» وكتاب «تاريخ الفاطميين العام» وهو من أحسن ما كتب وقد نشر فى القاهرة سنة ١٩٦٠ ، «وانتشار الإسلام فى غرب افريقية» وغير ذلك .

محمد مصطفى زيادة

ولد الدكتور محمد مصطفى زيادة سنة ١٩٠٢ وتوفى سنة ١٩٦٨ . تخرج فى المعلمين العليا ثم أتم دراسته فى جامعة لندن متخصصاً فى تاريخ العصور الوسطى على الأستاذ كوبلاند ، وعندما عاد إلى مصر سنة ١٩٢٩ عين مدرساً فى كلية

الآداب بجامعة القاهرة ، ثم أصبح أستاذاً لتاريخ العصور الوسطى فرئيساً لقسم التاريخ ، وظل فى هذه الوظيفة حتى أحيل إلى المعاش .

يعتبر محمد مصطفى زيادة من الرواد فى علم التاريخ عند العرب المحدثين ، وقد درسنا عليه سنوات طويلة ، وتعلمنا منه كيف نقرأ النصوص وكيف ننقدها ونستخرج المادة منها ، ثم كيف نعالج موضوعاً . وعندما بدأ فى نشر كتاب « السلوك لمعرفة الدول والملوك » للمقريزى أعطانا نموذجاً ممتازاً فى تحقيق الأصول ، وعلى الرغم من أن المرحوم الدكتور زيادة لم يتم هذا الكتاب ، إلا أن عمله فى الأجزاء التى ظهرت منه يعد ذخراً لكل دارس عربى ، وقد عملت معه فى ذلك الكتاب وأفدت من ذلك فائدة لا تقدر .

ولم يؤلف الدكتور زيادة كثيراً ولكن ما ألفه ممتاز ، وخاصة كتابه عن المؤرخين فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وهو من أحسن المؤلفات التى لدينا فى ذلك الباب .

وقد كان للدكتور زيادة جهد كبير فى الجمعية التاريخية المصرية وكان يتولى أمرها فى سنواته الأخيرة .

جمال الدين الشيال

ولد جمال الدين الشيال فى دمياط سنة ١٩١١ وشق طريقه فى الحياة بجهد بالغ وكفاح مجيد ، فقد التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٠ ، وكان يعمل فى نفس الوقت فى مصلحة البريد ، فكان يبدأ يومه مع الفجر ولا يأوى للراحة إلا بعد منتصف الليل بساعات ، وعلى ذلك قضى سنوات طويلة عاملا دءوبا مكافحاً حتى تخرج في كلية الآداب ومعهد التربية ، ثم عين مدرساً بالمدارس الثانوية والتحق فى نفس الوقت بالدراسات العليا بالكلية تحت إشراف شيخينا المغفور لهما محمد شفيق غربال وعبد الحميد العبادى ، وحصل على الماجستير

والدكتوراه ، ثم عين مدرساً للتاريخ فى كلية الآداب بجامعة الأسكندرية . وفى هذه الكلية قضى بقية عمره أستاذاً للتاريخ الإسلامى ، فرئيساً لقسم التاريخ ، فعميداً للكلية حتى تغمده الله برحمته .

كان جمال الشيال من العاملين المجدين طول عمره ، ومؤلفاته ما بين أبحاث وتحقيقات لنصوص كثيرة . وقد تحدثنا فى هذه الصحيفة عن إنتاجه الغزير بمناسبة كلامنا عن كتابه الممتاز عن « الوثائق الفاطمية » .

نبيه أمين فارس

كان الدكتور نبيه أمين فارس طوال مدة عمله أستاذاً بكلية الآداب بالجامعة الأمريكية فى بيروت عماداً من عمد الدراسات العربية والتاريخية بصورة خاصة فى لبنان والعالم العربى كله . ولم تقتصر شهرته على ذلك بل كان له صوت بعيد فى الولايات المتحدة الأمريكية كأستاذ جليل وعالم حق وإنسان كريم خلق ليكون مربياً لأجيال .

كان نبيه أمين فارس عالمــاً حقاً فى كل دراساته التى نشرها وكذلك فى كتبه الكثيرة التى ألفها فى قضايا العرب الراهنة ، وقد كان الرجل من المكثرين فى ذلك لأنه رحمه الله كان يأخذ المسائل مأخذ الجد ، وكانت قضايا العرب شغل نفسه وهم حياته .

ولا يتسع المجال لذكر مؤلفات نبيه أمين فارس فهى كثيرة يصعب علينا إحصاؤها الآن ، وانمــا أردنا أن نسهم فى رثائه وتقديره والاشادة بذكراه فى هذه السطور المتواضعات .

معهد الدراسات الاسلامية خلال سنة ١٩٦٧

كان هذا العام حافلا بأوجه نشاط عديدة فقد واصل المعهد سيره فى خدمة التراث الإسلامى الأندلسى والحضارة العربية الإسلامية بوجه عام ، وتابع جهوده فى خدمة طلاب الثقافة الأندلسية من المستشرقين وعلماء العرب وطلابهم ، كما شهد هذا العام كسباً جديداً فى مجال التعاون الثقافى بين الجمهوية العربية المتحدة واسبانيا . ثم جاءت معركة يونيو ١٩٦٧ مع العدو الصهيونى الغادر ، فرأى المعهد لزاما عليه أن يؤدى دوره ونصيبه فى المعركة وكله ثقة وأمل فى أن يوم النصر قريب باذن الله .

وسنورد فيما يلى عرضاً موجزاً عن هذه الوجوه من النشاط :

دروس اللغة العربية فى المعهد

لقى تدريس اللغة العربية للطلاب الأجانب خلال هذا العام كل عناية واهتمام من جانب المعهد على غرار ما حدث فى الأعوام السابقة ، ومن المعروف أن تدريس لغتنا القومية لغير العرب جزء أساسى فى صلب رسالته . وقد قام بالتدريس مدير المعهد مراعياً فى ذلك اتباع ما هو مناسب من الطرق التربوية الحديثة ، مضافاً إليه ثمرة خبرات وتجارب الأعوام السابقة فى هذا المجال . وقد قسم الدارسون إلى فصلين تبعاً لمستواهم فى تحصيل هذه اللغة ، ووضعت خطة الدراسة على أساس تخصيص درسين أسبوعياً لكل فصل منهما .

وفيما يلى بيان بعدد الدارسين الذين قيدوا بكل فصل :

الفصل الأول ٣٧ طالباً

الفصل الثانى ٢٦ طالباً

المحاضرات التى ألقيت فى دار المعهد

حفل هذا العام بنشاط كبير بالنسبة لما ألقى فيه من محاضرات فى دار المعهد ، وقد أشرنا إليها كلها فى تقاريرنا الشهرية مع عرض واف لكل منها ، وفيما يلى حصر لأهم هذه المحاضرات ونبذة عن كل منها :

برنامج محاضرات عن الجمهورية العربية المتحدة

وضعت خطة سلسلة هذه المحاضرات على أساس أن تكون فصولا لكتاب عن الحضارة المصرية باللغة الإسبانية يعرف القارىء بالمراحل الكبرى لتاريخ مصر حتى نهضتها الراهنة .

وفيما يلى عرض موجز لكل من هذه المحاضرات :

الدكتور أنطونيو الماجرو باسيه : تاريخ مصر
القديمة كتجربة انسانية تاريخية ، ١٩٦٧/٣/١

تحدث السيد المحاضر عن طبيعة مصر الجغرافية ، وقال إنه رغم صعوبة الظروف الجغرافية التى نشأت فيها مصر فقد استطاعت أن تنشىء حضارة كاملة بلغت أقصى ما يمكن أن تبلغه حضارة فى تلك الاعصر القديمة . وتكلم عن العلاقة الجغرافية التى تربط وجود مصر بنهر النيل وقال ان هيرودوت قد أخطأ عند ما قال إن مصر هبة النيل ، فليس ماء النيل هو الذى أحيي أرض مصر على مر العصور ، إذ الذى أحياها هو تنظيم هذا الماء وحسن استخدامه من جانب

المصرى القديم . وتحدث المحاضر عن معركة تعبر الوادى منذ ٥٠٠٠ سنة ق. م. موضحاً الأطوار التى مرت بها ، وبعد أن عرض النواحى المختلفة التى دلت على تفوق المصرى القديم انتهى إلى القول بأن عبقرية هذا الشعب قد قادته منذ القدم إلى إقامة نظام متوازن تسوده الفضيلة والعدالة والتعاون ، وارتفع فيه المصرى القديم إلى مستوى عال فى تفكيره وروحه ، فعرف الزراعة والصناعة والعمارة على أعلى مستوياتها ، وكانت له ابتكاراته فى الشعر والتصوير والنحت ، وأسس علوم الطب والفلك والهندسة هذا إلى اهتدائه بالسليقة إلى فكرة الاله الواحد الخالق للكون .

السيد أنطونيو ايجليسياس لاجونا : مصر طليعة العالم العربى ، ١٩٦٧/٣/١٥

أشار المحاضر بمكانة مصر كمركز للأمة الإسلامية الكبرى وقلبها النابض ، وقال إن مصر وحدها من بلاد الشرق الأوسط هى التى حافظت على شخصيتها وطابعها الحضارى على مر العصور ، وأنها كانت دائما القوة المحركة لتاريخ هذه المنطقة الواسعة . وتحدث عن نهضة مصر من أوائل القرن الماضى وكيف انها اتجهت رأساً إلى قيادة العرب نحو الوحدة وساعدها على ذلك حصولها على استقلالها قبل أى بلد عربى أو افريقى .

وتكلم عن عهد محمد على ثم مفاسد حكم الخديويين وسوء سياستهم مما أدى إلى خراب مصر وضياع استقلالها ووقوعها فريسة للتدخل الأجنبي ، ثم عاد فوضح كيف استردت مصر استقلالها بعد صراع طويل وتضحيات كبيرة وقال إن انجلترا حاولت تحطيم هذا الاستقلال اثناء أزمة قناة السويس ولكنها فشلت وخرجت مصر من هذه الأزمة منتصرة .

وتكلم عن دور مصر الطليعى فى إنشاء الجامعة العربية وتصدرها لقيادة العالم العربى ، وأشاد بموقف الجمهورية العربية المتحدة وهى تخوض اليوم فى ثبات

وثقة أعنف معركة لتحقيق التقدم ، وشبهها باسبانيا بعد الحرب الأهلية حين كانت محملة بتبعات ضخمة والتزامات مالية باهظة وقال إن الشعب المصرى يحتمل كل هذه التضحيات فى صبر جميل وهو على ثقة من المستقبل المشرق الذى ينتظره .

وأشاد المحاضر بالمنهج الذى وضعه الرئيس جمال عبد الناصر لتحقيق الوحدة العربية ، وقال إن الاشتراكية التى رسمها هى طريق واضح سليم يؤدى حقيقة إلى الارتفاع بمستوى العرب والتقريب بين نظمهم السياسية والاجتماعية .

السيد رامون سوليس ليورنتى : مصر كما رآها قصصى ، ١٩٦٧/٣/٢٩

كانت محاضرة السيد رامون سوليس وصفاً شيقاً جذاباً لزيارته لمصر فأبدى المحاضر إعجابه بمطار القاهرة وأثنى على بساطة الاجراءات الجمركية فيه ، ومضى يصف رحلاته فى مصر خطوة خطوة ، زار كل شىء فى مصر : الأهرام والموسكى وأبا الهول وسفارة الصعيد والأقصر وأسوان وأبا سنبل وقناة السويس ومساجد القاهرة ومسارحها ، وزار جامعتى القاهرة والاسكندرية ورأى برنامج الصوت والضوء وذهب إلى القلعة وخان الخليلى ، برنامج حافل ترك حافى نفسه آثاراً جميلة وحشد رأسه بذكريات عزيزة لا حد لها .

أعجب المحاضر بالقاهرة وبكل ما فيها ، وأثنى على شعب مصر فقال إن كل الناس فى مصر يشملهم حماس عظيم وتطلع بعيد ، عيونهم كلها متجهة إلى المستقبل ، إلى اليوم السعيد الذى تأخذ فيه مصر مكانها العظيم بين الأمم .

وأبدع المحاضر فى وصفه للنيل وتصويره لجماله ومعانيه ، وأبدى اعجابه بالسد العالى ذلك العمل الضخم الذى هو رمز صلابة هذا الشعب وعزمه الأكيد على الكفاح وعلى النهوض ، ثم تحدث عن طلائع الفنيين والاخصائيين والمخططين فى مصر ، واثنى على السيد الدكتور ثروت عكاشة نائب رئيس الوزراء للثقافة ، فقال إنه نموذج لهذه الأقلية الممتازة الطليعية التى تعمل فى صمت وإخلاص .

وتحدث كذلك عمن رأى من العلماء وأهل الأدب من أمثال عبد العزيز الأهوانى وعبد الرحمن بدوى وزكى نجيب محمود وغيرهم .

د. بدرو مارتينيث مونتابث : الشعر العربى المعاصر ، ٥/٤/١٩٦٧

تناول المحاضر فى محاضرته تطور الشعر العربى فى مصر من سنة ١٩٥٢ إلى اليوم ، لأن هذه الثورة كانت فى نظره نقطة تحول فى تاريخ الفكر العربى كله .

ورأى المحاضر أن الشعر المصرى المعاصر تميز خلال هذه الفترة بظاهرتين رئيسيتين هما الظاهرة الوطنية والظاهرة الواقعية .

واعتبر المحاضر الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٢ مرحلة هامة رئيسية فى تكوين الشعر العربى المعاصر ، فهى التى تكونت فيها شخصيات أولئك الشبان الذين يمثلون الشعر العربى الحديث فى مصر . وقال إن اتخاذ مصر للصورة العربية الكاملة تم خلال هذه الفترة وأصبح إسمها الجمهورية العربية المتحدة وقد أثر ذلك فى الانتاج الشعرى الذى تميز بالعنف والهجوم والاتجاه إلى الاشتراكية . فى هذه الفترة ظهر صلاح عبد الصبور وعبد المعطى حجازى ومحمد الفيتورى ، وفيها أيضاً عاد إلى الشعر شعراء قدامى من أمثال محمود حسن اسماعيل وصالح جودت وغيرهم كما ظهر جيل جديد من الزجالين يمثلهم صلاح جاهين .

أما الفترة بعد سنة ١٩٦٢ فاعتبرها بدرو مونتابث طور بناء جديد للشعر المعاصر ، وقد غلبت على الشعر صفة الواقعية وأصبح الشعراء يواجهون المشاكل الحقيقية لبلادهم ، ويحسون إحساس مواطنيهم العام بدلا من أن يركزوا اهتمامهم فى موضوعات شعرية خيالية . واتجه معظم الشعراء المصريين المعاصرين بإستثناء محمد عبد الغنى حسن وصالح جودت وابراهيم ناجى إلى تصوير أحاسيس مواطنيهم والتعبير عنها ، ولكن قد لا يوفق الشاعر منهم فى التعبير الدقيق عما

يحس لأن الكثيرين منهم لا يجيدون الشعر ولا يملكون ناصية اللغة ولا يتقنون النحو ، فجاء الكثير من شعرهم ركيكا مما جعل الناس بمعزل عنه لأن الذوق العربى لا يستسيغ من الشعر إلا الجيد الرقيق الصحيح الوزن البليغ الديباجة .

الأستاذ بسكوال مارين بيريث : دروس من التجربة
السياسية والاجتماعية فى مصر المعاصرة ، ١٩٦٧/٤/١٢

بدأ المحاضر محاضرته قائلا انه لكى نفهم البناء السياسى والاجتماعى لمصر اليوم ينبغى علينا أولا أن نفهم ثورتها ومحركها ووضع ايديولوجيتها ، وقال إن القلب النابض والقوة المحركة والرأس المفكر لهذه الثورة هو السيد الرئيس جمال عبد الناصر فقد خلص مصر من ملكية فاسدة ، وحقق لها الاستقلال الفعلى الكامل ، وحوّلها إلى قوة اشتراكية لها فاعليتها فى المحيط العربى والدولى . وقال إن مصر كانت أول بلد عربى تخلص من نظم الحكم الرجعية القديمة وانشأ لنفسه جمهورية حديثة .

وأشاد المحاضر بصلابة موقف الرئيس فى وجه الاستعمار والأحلاف الأجنبية وخاصة حلف بغداد .

ثم استعرض بعض المنجزات الاقتصادية للثورة وبخاصة قانون الإصلاح الزراعى الذى وصفه بأنه مشروع عدالة زراعية إجتماعية ، وتحدث بعد ذلك عن امكانيات التعاون الاقتصادى بين مصر واسبانيا . ثم انتقل بعد ذلك إلى الناحية السياسية فاستعرض كفاح مصر من أجل استقلالها حتى قيام الثورة وحدوث الاعتداء الثلاثى ١٩٥٦ ، وأشاد بصلابة الثورة وتأييد الشعب المصرى وكل الشعوب العربية لها فى وجه قوى العدوان . ثم أشار بعد ذلك إلى تضامن الشعوب الأسيوية والافريقية ومبدأ الحياد الايجابى وأبدى تقديره العظيم لإخلاص السيد الرئيس واستعداده للمغامرة بكل شىء للمحافظة على خطه الحيادى واستقلال بلاده .

وتكلم المحاضر أخيراً عن الاشتراكية العربية والميثاق الوطنى وأشاد بالدستور الجديد قائلا إن التحول الاشتراكي سيفتح الطريق أمام مصر لبلوغ المستوى الاجتماعى والاقتصادى الرفيع الذى تهدف إليه .

الأستاذ فيدريكو مويلاس بيريث : حكايات قديمة أندلسية ، ٦/١٢/١٩٦٧

كان موضوع محاضرته « حكايات قديمة أندلسية » ألقاها بدار المعهد مساء الأربعاء ٦ ديسمبر ١٩٦٧ تجلى من حديثه انه على صلة وثيقة بالثقافة الأندلسية وان إعجابه شديداً بالعرب وثقافتهم . بدأ محاضرته بالكلام عن كونكة العربية التى ظلت إسلامية ٤٦٦ سنة وإن كانت عوادى الزمن قد نالت من آثار المسلمين وغير المسلمين فيها ، ثم عرج منها على خوان أنطونيو كوندى وهو أول من لفت الانظار إلى ضرورة الرجوع إلى المراجع العربية فى التأريخ للفترة الإسلامية من تاريخ اسبانيا فأبدى رأيه فيه ، ثم انتقل منه إلى الكلام عن « زايدة » العربية التى كان يظن إلى حين قريب أنها شخصية نسائية إسطورية ، ثم تبين أنها كانت زوجة للفتح بن المعتمد بن عباد ، وتحدث بعدها عن خوليو بورجاليس وهو نصرانى من أهل كونكة درس الفلسفة على يد ابن رشد ، وانتقل منه إلى الكلام عن شرق الأندلس وشعرائه ، ثم ختم محاضرته أخيراً بالاشادة بتسامح العرب وتقديرهم للشعر .

محاضرات ألقيت خارج المعهد

ألقيت هذه المحاضرات خارج المعهد ، ولكن المعهد كان له نصيب كبير فى تنظيمها أو إعدادها . وفيما يلى نورد بيانا بهذه المحاضرات ونبذة عن كل منها :

محاضرتان لمدير المعهد فى جامعة باريس (السوربون)

كان إلقاء هاتين المحاضرتين بناء على دعوة تلقاها من معهد الدراسات الإسلامية التـابع لكلية الآداب بجامعة السوربون ضمن برنامج الأساتذة الزائرين . وفيما يلى نبذة عن كل منهما :

المحاضرة الأولى : ألقيت مساء الثلاثاء ١١ أبريل ١٩٦٧ ، وكانت باللغة العربية وكان موضوعها « فتح مكة » . وقد تناول فيه المحاضر الظروف العامة التى انتهت بفتح مكة على يد الرسول (صلعم) ، وبين أهمية الدور العظيم الذى قام به أبو سفيان ، ثم وصف دخول الرسول (صلعم) مكة ، وعفوه عن المكيين ومبايعتهم للرسول عند الصفا ثم تحطيم الأصنام .

المحاضرة الثانية : ألقيت مساء الجمعة ١٤ أبريل ١٩٦٧ ، وكانت باللغة الفرنسية وموضوعها « المرابطون ودورهم فى التاريخ » ، وكانت بمثـابة دعوة إلى إعادة النظر فى أمر المرابطين ودورهم فى التاريخ . تكلم المحاضر عن أصل المرابطين ونشأتهم واتساع دولتهم ، والدور العظيم الذى قاموا به فى نشر الإسلام فى افريقية ثم فى الدفاع عن الإسلام فى الأندلس .

الأستاذ بسكوال مارين بيريث : « العرب وأزمة الشرق الأوسط »

ألقيت فى دار فرع الحركة القومية الإسبانية فى جنوب مدريد مساء الثلاثاء ٢٧ يونيو ١٩٦٧ ، وقد كان لهذه المحاضرة أثرها الطيب وخاصة فى ذلك الوقت العصيب الذى كانت تمر به بلادنا ، فبينما كانت أوربا كلها تحمل على العرب حملة عداء وتدافع عن اليهود ارتفع صوت المحاضر مدافعاً عن حقوق العرب ، مؤيداً وجهة نظرهم ، منددا بنوايا اليهود ومطامعهم .

الأستاذ بدرو اتشيفاريا برافو : «موسيقى الدون كيخوته وسانشو بانثا»

كانت هذه أولى المحاضرات التى افتتح بها البيت الاسبانى العربى موسم محاضراته للعام ١٩٦٧—١٩٦٨ ، وقد ألقيت فى قاعة المحاضرات بمعهد الدراسات التشريعية بمدريد .

برنامج محاضرات الدكتور محمود على مكى فى زيارته لاسبانيا

بناء على دعوة من نادى الأتينيو فى مدريد للسيد الدكتور محمود على مكى لإلقـاء سلسلة من المحاضرات فى اسبانيا ، حضر سيادته إلى مدريد فى ٢٦ اكتوبر ١٩٦٧ وتم إعداد هذا البرنامج على الوجه التالى :

المحاضرة الأولى : يوم الجمعة ٣ نوفمبر — بنادى الصداقة فى قرطبة وموضوعها « الأمير محمد بناء على المعلومات الواردة فى مقتبس ابن حيان » .

المحاضرة الثانية : يوم الاثنين ٦ نوفمبر — بمعهد الدراسات الإسلامية فى مدريد وموضوعها « الأمير محمد خامس أمراء بنى أمية فى الأندلس » .

المحاضرة الثالثة : يوم الثلاثاء ٧ نوفمبر — بكلية الآداب بجامعة برشلونة عن « معلومات جديدة عن اسبانيا النصرانية أوردها ابن حيان فى المقتبس » .

السيدة سلمى حفار الكزبرى الأديبة السورية المعروفة : محاضرة عن « عشاق قرطبة »

ألقتها مساء الجمعة ٣ نوفمبر ١٩٦٧ فى نادى الأتنيو بمدريد ، وكانت السيدة سلمى حفار الكزبرى قد وفدت على اسبانيا فى زيارة ثقافية بدعوة من السيد مانويل فراجا ايريبارنى وزير الاستعلامات لمدة أسبوعين خلال اكتوبر — نوفمبر ١٩٦٧ ، وكان موضوع المحاضرة هو حكاية الحب التى كانت بين ولادة بنت المستكفى بالله الخليفة الأندلسى (الذى حكم سنة وبضعة شهور فى أيام الفتنة بين سنتى ١٠٢٤ — ١٠٢٥) وأبى الوليد ابن زيدون الشاعر الأندلسى المعروف .

الإسلام نور :

كان هذا موضوع حديث لمدير المعهد مع الصحفى بدرو بسكوال نشر فى جريدة أريبا فى ٣/٣/١٩٦٧ ، وقد تحدث فيه عن الإسلام وفضائله وموقف الإسلام من النصرانية والأديان السماوية ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك إلى الكلام عن المسجد المزمع اقامته فى مدريد والانجازات التى تمت فى هذا المشروع .

أسبوع أفلام دعاية سياحية فى قسطليون

دعى المعهد للاشتراك فى هذا الأسبوع بصفته المكتب الثقافى للسفارة ، وقد نظمته الادارة الإقليمية للشباب فى محافظة قسطليون فى الفترة من ٢٩ مايو إلى ٥ يونيو ١٩٦٧ وقد اختار المعهد ثلاثة أفلام دعائية مصرية ممتازة هى دير سانت كاترين وشواطئ مصر ونداء الاهرامات ، وقد ندب السيد عبد السلام حسين عويس سكرتير المعهد للسفر إلى قسطليون والقيام بعرض هذه الأفلام ، وقد قام سيادته بالمهمة خير قيام .

وقد حازت افلامنا إعجاب الحاضرين وتقديرهم ، وأثمرت مساهمتنا فى هذا الأسبوع فى اعطاء شباب هذه المحافظة من الاسبان صورة حية ناطقة عن مصر وجمالها ونهضتها .

زيارة الوفد الثقافى الاسبانى للجمهورية العربية المتحدة من ١٥—٢٠ يناير ١٩٦٧ — المعاهدة الثقافية الجديدة بين ج. ع. م. واسبانيا :

كان هدف زيارة الوفد الثقافى الاسبانى لبلادنا هو توقيع المعاهدة الثقافية الجديدة بين مصر واسبانيا .

وقد أولى السيد الدكتور عزت سلامة وزير التعليم العالى فى ذلك الوقت موضوع هذه الزيارة كل عناية واهتمام ، وقامت إدارة العلاقات الثقافية باشراف السيد الدكتور مصطفى كمال طلبة وكيل الوزارة للشئون الثقافية ومديرها العام السيد الأستاذ مصطفى حبيب بإعداد الترتيبات اللازمة لهذه الزيارة . كما أعد قسم الوفود والمؤتمرات فى الوزارة برنامجاً حافلا لاستقبال الوفد واقامته ومقابلاته وجولاته داخل البلاد ، وقد تألف الوفد من السيد الاستاذ الدكتور مانويل لورا تمايو رئيساً والسيد أنطونيو تينا أرتيجاس السكرتير العام الفنى لوزارة التعليم والعلوم والسيد الفونسو دى لا سيرنا مدير العلاقات الثقافية والأستاذ الدكتور سيكو دى لوثينا المستشرق المعروف والأستاذ بجامعة غرناطة ومدير مدرسة الأبحاث العربية بها والسيد أنطونيو قزمان رينا عمدة قرطبة ، وقد صاحبتهم زوجاتهم .

كان وصول الوفد مساء الأحد ١٥ يناير ١٩٦٧ وكان فى استقباله السيد الدكتور محمد عزت سلامة وزير التعليم العالى والسيد الأستاذ الدكتور مصطفى كمال طلبة وكيل الوزارة للشئون الثقافية والسيد الأستاذ مصطفى حبيب المدير العام للعلاقات الثقافية والأستاذ على شوقى الحديدى وكيل الادارة الثقافية بوزارة الخارجية والسيد أنخل ساجاث سفير اسبانيا ورجال سفارته والسيد محمد الحارونى مندوباً عن السيد محافظ القاهرة ود. حسين مؤنس مدير معهد الدراسات الإسلامية وقد كان فى مصر بالاجازة إذ ذاك .

حفل توقيع المعاهدة الثقافية صباح الخميس ١٩ يناير ١٩٦٧

أقيم الحفل فى القاعة الكبرى فى دار وزارة الخارجية بميدان التحرير ، وقد حضره السيدان وزير التعليم العالى ووزير التعليم الاسبانى وأعضاء الوفد الاسبانى وكبار رجال وزارة التعليم العالى وادارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية ونفر من كبار الشخصيات والصحفيين ورجال الاذاعة والتليفزيون .

السيد الرئيس يستقبل وزير التعليم الاسبانى الساعة السادسة والنصف من مساء الجمعة ٢٠ يناير ١٩٦٧

فى الساعة السادسة والنصف من مساء ذلك اليوم استقبل السيد الرئيس جمال عبد الناصر الوزير الاسبانى يرافقه سفير اسبانيا ، وقد كان لهذا التفضل أجمل الأثر فى نفس الضيف الاسبانى الكبير .

رحيل الوفد الاسبانى يوم ٢١ يناير ١٩٦٧

وفى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٢١ يناير ١٩٦٧ بارح الوفد الاسبانى مطار القاهرة عائداً إلى بلاده ، وكان فى وداعه السيد الدكتور محمد عزت سلامة وزير التعليم العالى والسيد الدكتور مصطفى كمال طلبة وكيل الوزارة للشئون الثقافية والسيد الأستاذ مصطفى طه حبيب المدير العام للعلاقات الثقافية وسفير اسبانيا فى القاهرة ونفر من كبار رجال التعليم والعلم والثقافة .

الدورة السادسة للجلسات العلمية الأندلسية

عقدت هذه الدورة السادسة للجلسات العلمية الأندلسية فى قرطبة فى المدة من ١٦ إلى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٦٧ ، وكان محورها شخصية الفقيه الفيلسوف الطبيب أبى الوليد محمد بن أحمد بن رشد . وقد أختير نادى الصداقة بقرطبة قصراً مقراً لعقد جلسات هذه الدورة .

وقد عقدت هذه الدورة ٧ جلسات علمية ألقى فيها ٢٨ بحثاً . وفيما يلى بيان المحاضرات التى ألقيت فيها :

المحاضرة الأولى : الأستاذ لويس سيكو دى لوثينا ، مدير مدرسة الأبحاث العربية فى غرناطة والأستاذ فى جامعتها ، وموضوعها « من أخبار المنصور محمد ابن أبى عامر » صباح الاثنين ١٦ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الثانية : د. دانيال مثكيتا مورينا ، الأستاذ بجامعات بلد الوليد واشبيلية ومدريد ، عن « طب ابن رشد » صباح الثلاثاء ١٧ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الثالثة : د. رفائيل كاستيخون ، مدير الأكاديمية الملكية فى قرطبة عن « آثار الفن القوطى المتأخر فى طراز الخلافة القرطبية » ١٧/١٠/١٩٦٧

المحاضرة الرابعة : د. فيلهلم هونرباخ ، مدير معهد الدراسات الشرقية فى جامعة كيل فى ألمانيا الغربية ، عن « العناصر العربية الأندلسية فى أمريكا اللاتينية أثناء عصر الاستعمار » صباح الثلاثاء ١٧ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الخامسة : د. دافيد جونثالو مايسو ، الأستاذ بجامعة غرناطة ، عن « ابن رشد وابن ميمون ، علمان مجيدان من أعلام قرطبة » ١٧/١٠/١٩٦٧

المحاضرة السادسة : الأستاذ مانويل أوكانيا خيمينث ، عضو مدرسة الأبحاث العربية فى مدريد ، عن « معلومات جديدة عن الدواة العربية التى اكتشفت فى كوربيريس فى روسيون » صباح الأربعاء ١٨ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة السابعة : د. بدرو شالميتا ، عضو المعهد الاسبانى العربى للثقافة ، عن « مشكلة الاقطاع فى الأندلس » صباح الأربعاء ١٨ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الثامنة : الأستاذ عبد الله كنون ، عضو مجمع اللغة العربية فى فى القاهرة والمجمع العلمى فى دمشق ، « ابن رشد الفقيه » ١٨/١٠/١٩٦٧

المحاضرة التاسعة : الاستاذ عيسى ابراهيم الناعورى ، عضو المجمع العلمى الأردنى ، وموضوعها « من عناصر التفاعل الحضارى فى الفكر العربى الاسبانى » صباح الأربعاء ١٨ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة العاشرة : د. خوسيه باسكيث الأستاذ بالمعهد الإسبانى فى طنجة ، عن «أزجال أندلسية تغنى فى المغرب» صباح الخميس ١٩ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الحادية عشرة : د. خالد الصوفى مدير المركز الثقافى فى دمشق ، عن « لمحات من حياة ابن رشد » صباح الخميس ١٩ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الثانية عشرة : د. محمد محمد بالروين ، المدرس بكلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية ببنغازى ، عن « نزعة التجديد عند ابن رشد فى كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال » صباح الخميس ١٩ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الثالثة عشرة : د. خايمه أوليفر آسين ، مدير مدرسة الأبحاث العربية فى مدريد ، عن « الأصل اللغوى للفظ الاسبانى Marfil ومعناه العاج » صباح الخميس ١٩ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الرابعة عشرة : د. فيليكس إيرناندث ، الأثرى المعروف ورئيس قسم الآثار فى بلدية قرطبة ، عن « زيارة لكنيسة سانتا كلارا » ١٩/١٠/١٩٦٧

المحاضرة الخامسة عشرة : د. ميشيل تيراس ، الأستاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط وعضو المعهد الفرنسى فى مدريد ، عن « منبر جامع الكتبية فى مراكش » صباح الجمعة ٢٠ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة السادسة عشرة : د. هنرى تيراس ، الباحث بمدرسة الأبحاث العربية فى مدريد ، عن « الفن القرطبى فى فاس ومراكش فى القرن الثانى عشر » صباح الجمعة ٢٠ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة السابعة عشرة : د. باسيلو بافون ، عضو المعهد الاسبانى العربى للثقافة فى مدريد ، وموضوعها « نحو تأليف مجموع للزخارف الأندلسية » صباح الجمعة ٢٠ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الثامنة عشرة : الأب الدكتور سلفادور جومث نوجالس ، رئيس قسم الفلسفة فى جامعة ألكالا د إينارس ، عن « آخر الأبحاث عن كتاب التهافت لابن رشد » صباح الجمعة ٢٠ أكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة التاسعة عشرة : السيد الأستاذ أب — بن — أن رئيس المحكمة العليا فى نواكشوط ، موريتانيا ، عن « صور من حيـاة ابن رشد » صباح الجمعة ٢٠ اكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة العشرون : د. بدرو مونتابث ، الأستاذ المشارك بكلية الآداب بجامعة مدريد ، عن « مكى بن أبى طالب القيسى الفقيه النحوى الأندلسى (٣٥٥ — ٤٣٧/٩٦٩ — ١١٤٥) » صباح السبت ٢١ اكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الحادية والعشرون : د. نيفيل باربر ، المدير السابق للقسم العربى بالاذاعة البريطانية فى لندن ، عن «أثر القوة البحرية فى تاريخ الأندلس » صباح السبت ٢١ اكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الثانية والعشرون : السيدة كيليا سارنيللى ، الأستاذة بالمعهد الشرقى فى نابولى عن « الأندلس فى كتابات الشهاب أحمد الحجرى » صباح السبت ٢١ اكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الثالثة والعشرون : د. خوسيه ماريا فورنياس ، الأستاذ بمعهد سبتة ، عن « شخصية الفقيه ابن رشد الجد وأثره » صباح السبت ٢١/١٠/١٩٦٧

المحاضرة الرابعة والعشرون : د. سليمان مصطفى زبيس ، مدير ادارة الآثار البلدية فى تونس ، عن « الفترة الافريقية فى حياة ابن رشد » صباح الاثنين ٢٣ اكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الخامسة والعشرون : د. خوان بيرنيت خينس ، أستاذ الدراسات العربية بجامعة برشلونة ، عن « ترجمات أرخميدس إلى العربية » ٢٣/١٠/١٩٦٧

المحاضرة السادسة والعشرون : دكتورة سوليداد خيبرت فينيش ، الباحثة فى مدرسة الأبحاث العربية فى مدريد ، عن « طرائف من الشعر الأندلسى » صباح الاثنين ٢٣ اكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة السابعة والعشرون : د. خواكين بالبيه ، الأستاذ المشارك للغة العربية بكلية الآداب بجامعة برشلونة ، عن « آراء جديدة حول موقعة وادى لكه » صباح الاثنين ٢٣ اكتوبر ١٩٦٧

المحاضرة الثامنة والعشرون : د. حسين مؤنس ، مدير معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، عن « الشعر الأندلسى فى عصرى الإمارة والخلافة » صباح الاثنين ٢٣ اكتوبر ١٩٦٧

إزاحة الستار عن تمثـال ابن رشد

أقيم حفل إزاحة الستار عن تمثال ابن رشد الذى دارت الندوة على احياء ذكراه ، وكان ذلك عقب انتهاء جلسة الاثنين ٢٣ اكتوبر ١٩٦٧ ظهراً وهى الجلسة الأخيرة فى هذه الدورة ، وقد صنع هذا التمثال المثـال الاسبانى بابلو يوستيه ، وهو مقام عند سور القصور الملكية الذى يظن أن مكانه كان سور قرطبة الإسلامية .

تعيين أستاذ مشارك للغة العربية فى جامعة برشلونة

تمشيا مع حركة توسيع نطاق تدريس اللغة العربية فى الجامعات الاسبانية انشئت هذا العام وظيفتـان من وظائف الاستاذيه المشاركة Profesor Adjunto واحد فى برشلونة والآخر فى مدريد . وقد فاز بوظيفة برشلونه السيد خواكين بالبيه برميخو فى فبراير ١٩٦٧ ، أما الوظيفة المماثلة فى مدريد فقد فاز بها الدكتور بدرو مارتينث مونتابث فى مايو من هذا العـام ، وهما من خيرة شباب المستشرقين الاسبان .

جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية

Asociación para la Amistad Islamo-Cristiana (A. I. C.)

منذ وقت طويل كنا نعد العدة ونمهد للخطوة الحاسمة نحو انشاء جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية . وكان الدافع نحو تأسيس هذه الجمعية هو تنشيط الاتصالات المتبادلة ، والعمل على زيادة التآخى والاحترام والتعاون بين الجماعات الإسلامية والمسيحية ، فضلا عن الرغبة الاكيدة فى خلق جو من الفهم السليم بين المسلمين والمسيحيين .

وقد امكننا أخيراً فى سبتمبر ١٩٦٧ أن نخرج بهذه الجمعية إلى النور ، فقمت بالاتفاق مع الأب سلفادور جومث نوجالس — أستاذ الفلسفة بكلية الفلسفة بجامعة الكالا دى إينارس — بوضع مشروع قانون هذه الجمعية ، على أن يكون هو رئيسها ونشكل لها هيئة إدارية ، ثم قدمنا مشروع قانونها للسلطات الاسبانية لاعتماده .

وكان من أهم أهدافها تنظيم محاضرات دورية وحلقات دراسية حول الموضوعات التى يمكن أن تهم الجمعية وتدخل فى صميم رسالتها ، فضلا عن انشاء علاقات التقدير والاحترام والتعاون بين رؤساء الجماعات الإسلامية والشخصيات الكاثوليكية .

معرض فنانى الاسكندرية

فى يوم ١٨ فبراير ١٩٦٧ وصل إلى مدريد السيد على خالد مدير متحف الفن الحديث فى الاسكندرية للقيام بالأعمال الخاصة باقامة معرض لأعمال رسامى الاسكندرية . وقد تمت الاتفاقات الخاصة بتنظيمه بين محافظة الاسنكدرية

وقنصلية اسبانيا هناك وإدارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الاسبانية وإدارة الفنون الجميلة بوزارة التعليم والعلوم بمدريد

كان هذا المعرض صدى لمعارض البينالى التى تقام فى الاسكندرية كل سنتين وتشترك فيها اسبانيا وتفوز فى معظم الأحيان بأحسن الجوائز .

وقد تم إفتتاحه مساء الاثنين ٦ مارس ١٩٦٧ بقاعة العرض التابعة لادارة الفنون الجميلة بوزارة التعليم والعلوم فى المكتبة الأهلية . وكان يضم قطعا لثلاثة أجيال من فنانى الاسكندرية : جيل محمود سعيد وهو جيل الانشاء وقيام مدرسة التصوير الحديثة ، ثم جيل النضوج ويمثله السيد الأستاذ محمد سيف الدين وانلى وأخوه أدهم ، ثم الجيل الحاضر وهو جيل الشباب الذين يرسمون على الطريقة الحديثة متبعين خطوات بابلو بيكاسو وسلفادور دالى وغيرهما .

وقد لقى المعرض نجاحاً كبيراً نظراً لامتياز لوحاته ، حتى أنه أقيم بعد ذلك مرتين فى غرناطة وبرشلونة .

تسمية أحد ميادين قرطبة باسم الجمهورية العربية المتحدة

منذ أن عاد عمدة قرطبة السيد أنطونيو قزمان رينا من زيارته للقاهرة كعضو فى الوفد الثقافى وهو يقوم بنشاط مستمر فى توثيق الروابط بين بلادنا وقرطبة . وقد أتيحت لنا فرصة زيارته يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ حيث تم الاتفاق على أن يطلق اسم الجمهورية العربية المتحدة على أحد ميادين قرطبة وكذلك يطلق اسم قرطبة على ميدان فى القاهرة .

وقد لقى الاقتراح قبولا وترحيباً لدى المسئولين فى كل من البلدين .

جهود المعهد فى معاونة الطلاب الفلسطينيين

عقب حرب يونيو ١٩٦٧ انقطعت عن كثير جداً من الطلاب الفلسطينيين فى اسبانيا الموارد التى كانت تأتيهم من ذويهم المقيمين فى مناطق احتلها الصهيونيون بعد الحرب ، وقد تحرجت أحوال أولئك الطلاب فسارع المعهد إلى العمل لايجاد حل لمشكلتهم متعاوناً فى ذلك مع السلطات الاسبانية التى أبدت أحسن الاستعداد لتقديم هذا العون ، وقد استجاب وزير التعليم والعلوم السيد مانويل لورا تمايو لما طلبناه منه فتقدم مشتركاً مع السيد وزير الخارجية بمذكرة إلى مجلس الوزراء الاسبانى تقرر بمقتضاها فتح المطاعم الجامعية للطلاب الفلسطينيين الذين أصابتهم نكبة الحرب ليتناولوا وجباتهم فيها بالمجان ، وتقرر كذلك تقديم معاونة مالية لكل منهم ، وقد قام المكتب الثقافى بسفارة الأردن بعمل قوائم بأولئك الطلاب ، وقدمناها إلى إدارة الرعاية المدرسية وسعينا سعياً حثيثاً حتى تم تنفيذ هذه المعاونة فعلا .

وقد قدرت هذه المعاونة بتسعة ملايين من البيزيتات .

وتلقى المعهد برقية من السيد وزير التعليم العالى الدكتور لبيب شقير يشكره على الجهد الذى قام به فى معاونة أبنائنا الفلسطينيين .

مشروع انشاء جمعية عربية اسبانية فى بطليوس

خلال شهر يونيه اتصل بنا السيد خوسيه مورينو جارسيا من رجال الأعمال فى مدينة بطليوس عاصمة محافظة بطليوس فى غربى اسبانيا وأبدى رغبته فى انشاء جمعية صداقة عربية إسبانية . وهو رجل ذو مكانة كبيرة فى محافظته ، وقد دفعه إلى ذلك إحساسه بأنه عربى الأصل فقد عاش فى المغرب سنوات طويلة وارتبط بالمغاربة بصداقات عميقة متينة .

فتفاهمنا معه على أن تكون الجمعية ثقافية صرفة يشترك فيها عرب واسبان من أهل الثقافة والفكر ، وقمنا معه بوضع قانون للجمعية تقدمنا به إلى الجهات الاسبانية المختصة لاعتماده . ثم انتهينا إلى أن تكون فرعاً للبيت العربى الاسبانى ، وفعلا ذهبنا إلى بطليوس فى اكتوبر ١٩٦٧ وافتتحنا ذلك الفرع وشكلنا مجلس ادارته .

كتب ومطبوعات

أنجز المعهد فى شهر فبراير من هذا العام طبع كتابين من مطبوعاته : الأول هو « تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس » باللغة العربية للدكتور حسين مؤنس ، والثانى « التيارات المشرقية فى الثقافة الأندلسية » باللغة الاسبانية للدكتور محمود على مكى .

وبهذين الكتابين بلغ عدد الكتب التى نشرها المعهد ١٦

كما أصدر المعهد المجلد الثالث عشر وهو مجلد مفرد يقابل سنة ١٩٦٦

وفى ديسمبر من هذا العام انتهى أيضاً اعداد النشرة الجديدة الخاصة بالمعهد باللغات العربية والفرنسية والاسبانية ، وقد أوردنا فيها ذكر الكتب التى نشرها المعهد واحداً واحداً مع نبذة عن كل كتاب .

وبالاضافة إلى هذا قام المعهد بطبع نشرات ومواد دعاية أثناء حرب يونيو ١٩٦٧ وبعدها ، وكان الغرض منها تعريف القارىء الأوروبى بعدالة قضايانا وكسب أكبر ما يمكن كسبه من تأييد الرأى العام لنا .

شئون البعثات والمنح والاجازات الدراسية

أشرف المعهد خلال هذا العام ١٩٦٧ على الطلبة المصريين الآتية أسماؤهم :

الاسم	موضوع الدراسة	المدة بالسنة	الجهة الموفدة
السيد محمد صلاح الدين فضل	الدكتوراه فى النقد الادبى	٥ سنوات	جامعة الأزهر
السيد أحمد خير الدين عبد الجواد	العمالة الصناعية	سنة	وزارة الصناعة
السيد محمد محمد عبد الغنى صقر	أجهزة علمية وميكانيكية	سنتان	وزارة البحث العلمى
السيد فوزى التهامى شرف الدين	التربـة الزراعية	سنة	وزارة الزراعة
السيدة قدرية محمد زكى عبد الرحمن	الدكتوراه فى الآداب	—	اجازه دراسية
السيد الدكتور صلاح الدين حكيم	طب العيون	سنة	وزارة الصحة
السيد عبد الحميد عبد المطلب الدواخلى	الفنون الجميلة	سنة	المعهد العالى للتربية الفنية بالقاهرة
السيد عبد الهادى محمد الوشاحى	الفنون الجميلة	سنة	كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية
السيد محمد حامد عويس	الفنون الجميلة	سنة	كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية
السيد محمد عبد المغيث العفيفى	اللغة الاسبانية	سنة	الهيئة العامة للاستعلامات
السيد فريد توفيق عزيز	اللغة الاسبانية	سنة	اجازه دراسية
السيد عبد البصير عبد الله حسين	الدكتوراه فى الآداب	—	اجازه دراسية

معهد الدراسات الاسلامية خلال سنة ١٩٦٨

حقق عام ١٩٦٨ إنجازات كثيرة فيما قام به المعهد من نواحى النشاط المتعددة ، ونخص بالذكر منها ما نظم من برامج المحاضرات والندوات داخل دار المعهد أو خارجها . هذا إلى جانب ما أمكننا تحقيقه من كسب كبير بالنسبة لوضع لغتنا العربية وتدريسها فى الجامعات الإسبانية الجديدة ، وما أتاحته زيارة السيد الدكتور وزير الثقافة والإرشاد لاسبانيا من توسع كبير وإمكانيات كثيرة فى مجال التبادل الثقافى بين الجمهورية العربية المتحدة واسبانيا .

وفيما يلى نورد أهم نواحى هذا النشاط مع نبذة عن كل منها :

دروس اللغة العربية في المعهد :

بدأ الموسم الخاص بدروس اللغة العربية فى المعهد فى ٣٠ اكتوبر ١٩٦٧ وقد بلغ عدد الدارسين المسجلة أسماؤهم ٥٦ طالباً وطالبة قسموا كالعادة إلى فصلين : ضم الفصل الأول المستجدين منهم وهم طلاب السنة الأولى وعددهم ٣٠

أما الفصل الثانى فقد انتظم فيه الطلاب الذين درسوا منهج المرحلة الأولى فى الموسم الدراسى السابق ٦٦ / ١٩٦٧ وهم طلاب السنة الثانية وعددهم ٢٦ طالباً وطالبة .

وبالنسبة لخطة الدراسة فكان يتلقى كل فصل منها درسين فى الأسبوع أسوة بما أتبع فى الأعوام السابقة ، وقام بالتدريس مدير المعهد .

أما فيما يتصل بطريقة التدريس فقد كنا خلال هذا العام بصدد الانتهاء من ضبط كتاب المعلم الذى بدأنا إعداده منذ سنوات لإخراجه فى صورته النهائية ، وقد سار إعداد الدروس على طريقة منهجية بحسب نظام ذلك الكتاب .

محاضرات ألقيت فى دار المعهد :

ألقيت خلال هذا العام فى دار المعهد سلسلة محاضرات هامة أشرنا إليها فى تقاريرنا الشهرية مع عرض واف لكل منهـــا ، ونورد فيما يلى بياناً بهذه المحاضرات مع نبذة عن كل محاضرة :

السيد سيرافين فانخول غرسيه : ندوة عن قصص مصرية ، ١٥ يناير ١٩٦٨

السيد سيرافين فانخول غرسية شاب يدرس اللغة العربية فى قسم اللغات السامية بجامعة مدريد . وقد زار مصر فى أبريل سنة ١٩٦٥ ضمن وفد طلبة أقسام اللغات السامية ، واشترك كذلك فى دروس اللغة العربية التى نظمناها فى صيف ١٩٦٦ فى القاهرة وقد أتاح له ذلك فرصة التعرف على المجتمع المصرى ، وانطبعت فى نفسه صور وأحاسيس شتى لما رآه فى بلادنا ، فلما عاد كتب مجموعة من القصص المصرية القصيرة لا يخلو الكثير منها من جوانب خطية جمالية لها قيمتها .

تناولت هذه القصص لمحات شتى مما يراه الأجنبى فى مصر ، نذكر منها على سبيل المثال قصة تسمى « معليهش » وأخرى تسمى « أوتو — ستوب » فيها وصف طريف لما حدث معه عندما أراد الذهاب إلى الإسكندرية بطريقة الأوتو — ستوب .

وأمثال هذه كثيرة من القصص التى احتوتها الندوة ، وقد دعوناه ليقرأ علينا بعض هذه القصص فى ندوة جمعنا لها أساتذة اللغة العربية وطلابها فى الجامعة والمعهد ، وبعد القراءة دارت مناقشة طويلة تناولت نواح شتى من حياتنا المصرية وخصائصها .

أسبوع محاضرات عن مصر القديمة من ٢١ إلى ٢٧ فبراير ١٩٦٨

كان هذا الأسبوع من أنجح أسابيع المحاضرات التى أقمناها عن مصر القديمة ، وقد ألقيت فيه خمس محاضرات . وفيما يلى بيان بها :

المحاضرة الأولى : الأستاذ مارتين المـاجرو « الرسوم على الحجر فى مصر القديمة » .

المحاضرة الثانية : الأب سلفادور مونيوث إيجليسياس « مصر فى الإنجيل » .

المحاضرة الثالثة : د. إدواردو ألفونسو إرنان « ثقافة الاسكندرية فى العصر البطـلمى » .

المحاضرة الرابعة : الأستاذ أنطونيو تايرا روخو « القانون فى مصر القديمة » .

المحاضرة الخامسة : د. حسين مؤنس « العوامل الدائمة المسيرة لتاريخ مصر » .

الأستاذ أنخل رودريجيث باتشير : « المسلمون فى الفيلبين » ، مساء الاثنين ٢٢ أبريل ١٩٦٨

تناولت المحاضرة وصفاً عاماً لجزائر الفيلبين وتكوين سكانها البشرى والمسلمين فيها ، ثم وصول الإسبان لهذه الجزائر وبدء الصراع بينهم وبين المسلمين . ثم تحدث المحاضر عن تاريخ الاسلام فى هذه الجزر ومظـاهر الحضارة الإسلامية فيهـا ، وكيف كان للمسلمين الفضل فى نقل سكانها من حال الوثنية والفوضى إلى الاستقرار والتقدم .

د. إدواردو الفونسو إرنان : « أثر مصر فى تاريخ الحضارة العالمية » مساء الخميس ٩ مايو ١٩٦٨

جاءت المحاضرة تأييداً لما أشار إليه الدكتور طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » من أن حضارة مصر كانت نقطة البداية والانطلاق بالنسبة للحضارة الأوروبية الراهنة .

كما وافق المحاضر جاك بريين فيما ذكره فى كتابه عن تاريخ الحضارة المصرية من أن ما يسمى بالمعجزة الإغريقية إنمـا هو فى الحقيقة معجزة مصرية ، وأن حضارة مصر القديمة سبقت الحضارة الهيلينية فى كل مظاهر التقدم والمدنية . ثم قسم تأثير مصر فى الحضارة العالمية إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : تشمل أثر مصر الفرعونية وامتداد حضارتها إلى ما جاورها من البلاد .

المرحلة الثانية : هى أثر حضارة الاسكندرية .

المرحلة الثالثة : هى أثر حضارة مصر الإسلامية .

الأستاذ الدكتور بدرو مارتينث مونتابث : « الشاعر الفلسطينى الأسير محمـود درويش » مساء الخميس ١٦ مايو ١٩٦٨

كانت هذه المحـاضرة ضمن برنامج محاضرات البيت العربى الاسبانى ، وقد قسم المحـاضر شعراء فلسطين إلى نوعين : شعراء منفى وشعراء مقاومة ، واتخذ محمود درويش نموذجاً لهذا النوع الأخير ، وتحدث عن مراحل تكوين هذا الشعر ، وقد أنهى محاضرته بالكلام عن حياة محمود درويش الحزينة وأثر حرب السويس سنة ١٩٥٦ ثم حرب يونيه ١٩٦٧ فى شعره .

محاضرات ألقيت خارج المعهد :

الدكتور إدواردو الفونسو إرنان : سلسلة محاضرات عن مصر القديمـة وتاريخها ، من ١٦ ينـاير إلى ٢٧ فبراير ١٩٦٨

إشتملت هذه السلسلة على سبع محاضرات ألقيت كلها فى قاعة المحاضرات بدار الغرفة التجارية بمدريد ، وهى :

١ — إطار تاريخى لمصر الفرعونية .

٢ — الديانة المصرية القديمة .

٣ — الميتولوخيا والرموز المقدسة فى مصر القديمة .
٤ — الفن فى مصر القديمة .
٥ — مقدمة فى الكتابة الهيروغليفية .
٦ — قواعد الهيروغليفية .
٧ — نحو الهيروغليفية .

الاستاذ الدكتور بدرو مارتينث مونتابث : الشاعر العراقى
بدر شاكر السياب ، مساء الأربعاء ٢٤ يناير ١٩٦٨

كانت هذه المحاضرة ضمن برنامج موسم المحاضرات للبيت الاسبانى العربى ، وقد تحدث فيها الأستاذ بدرو مونتابث عن الشاعر العراقى بدر شاكر السياب وهو من طلائع الأدب العربى المعاصر .

وقد أفاض المحاضر فى وصف ما يمتاز به شعر شاكر السياب من طرافة وجدة وعمق ، وعرض نماذج مختلفة من شعره .

ندوة حول العالم العربى فى دار جامعية :

أقيمت الندوة فى دار بيوس الثانى للطلاب الجامعيين فى مدريد ، وقد اشترك فيها مدير المعهد والسيد عبد الحميد عوض المستشار الصحفى بسفارة الجمهورية العربية المتحدة فى مدريد ومندوبين عن سفارات العراق وسوريا والأردن .

وقد بدأت الندوة بكلمة ألقاها مدير الدار عن العالم العربى وأهميته وقال فيها ان الدافع إلى إقامة هذه الندوة هو رغبة الطلاب فى أن يتعرفوا على أحوال العالم العربى ومشاكله وخاصة فى هذا الظرف العصيب الذى تجتازه البلاد العربية اليوم بعد حرب يونيو ١٩٦٧

ثم أعقبه على التوالى السادة مندوبو السفارات العربية عارضين أحوال بلادهم ومشاكلها بصورة موجزة ، ثم فتح باب المناقشة وكانت الأسئلة كلها مركزة

على نواحى الواقع العربى من التعليم والثقافة والصحة العامة والنواحى الاقتصادية إلى مشكلة فلسطين والحرب القائمة مع اسرائيل .

الأب سلفادور جومث نوجالس : « الفلسفة الاسلامية كفلسفة مبتكرة لا مجرد ناقـلة » ، مساء الأربعاء ٣ أبريل ١٩٦٨

ألقيت هذه المحـــاضرة فى نطاق الموسم الثقافى للجمعية الاسبانية لفلسفة العصور الوسطى . وقد تحدث الأب نوجالس فيها عن نواحى الابتكار فى الفلسفة الاسلامية ، وهدم الفكرة القائلة بأن فلاسفة المسلمين كانوا مجرد ناقلين عن فلاسفة اليونان ، وخصص جانباً كبيراً من المحاضرة لمناقشة ما أورده هنرى كوربان فى كتابه عن تاريخ الفلسفة الاسلامية من أن الفكر الشيعى يمثل ركناً رئيسياً فى تاريخ هذه الفلسفة .

الأستاذ الدكتور حسين مؤنس : محاضرة عن « الجمهورية العربيـة المتحدة » مساء الاثنين ١٦ سبتمبر ١٩٦٨

ألقيت هذه المحاضرة فى جامعة نافارا فى بنبلونه بناء على دعوة تلقاها المعهد من جمعية إيجولباتى EGULBATI الثقافية الرياضية . وقد أتاحت هذه المحاضرة الفرصة لاطلاع الرأى العام على حقائق الوضع فى منطقتنا المحاطة بالمتاعب والأخطار فى وقت كانت تتوالى فيه الأخبار فى أوروبا عن اقتراب الجولة الفاصلة فى الحرب مع إسرائيل لتحرير الوطن العربى . وتناولت المحاضرة مشكلة إسرائيل وأعوانها من قوى الاستعمار .

ندوة عن « أوجه التقارب بين الاسلام والمسيحية » ١٨ نوفمبر ١٩٦٨

بهذه الندوة افتتحت جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية موسمها الثقافى لعام ٦٨ / ١٩٦٩ ، وقد أقيمت فى مبنى دار عذراء افريقيا المخصصة للطلبة الافريقيين

الذين يدرسون فى الجامعات الاسبانية بقصد تعريف الجهات النصرانية بكل ما يتصل بالاسلام فى إفريقيا .

الأب سلفادور جومث نوجالس : « الفلسفة الإسلامية وأثرها الحاسم فى التفكير الغربى فى العصور الوسطى » الثلاثاء ١٩ نوفمبر ١٩٦٨

كانت هذه المحاضرة فاتحة الموسم الثقافى للبيت العربى الاسبانى فى مدريد ، وقد أقيمت فى دار الدراسات القانونية فى العاصمة الاسبانية . وقد ناقش فيها الأب نوجالس جميع الأبحاث التى نشرت عن هذا الموضوع ، وأكد ما كان لابن رشد وابن سينا من أثر بعيد فى فلسفة الغرب ، وقال أنه لولاهما لما كان هناك فلسفة أوروبية فى العصور الوسطى .

عرض أفلام إعلامية خاصة بأعمال البعثة الاسبانية لحفائر النوبة :

أشرفت وزارة الاعـــلام والسياحة الاسبانية على هذا العرض ، وأقيم فى قاعتها الكبرى مساء ٤ مارس ١٩٦٨ وعرضت فيه ثلاثة أفلام هى : الفن المصرى فى خطر ، ورحلة إلى مصر ، وأربعون قرناً تتأملكم . وقد تحدث بهذه المناسبة الأستاذ مارتين الماجرو باش رئيس البعثة الاسبانية لحفائر النوبة فأعطى فكرة عامة عن سير هذه الحفائر ، ووجه الشكر الخالص للسلطات المصرية على ما قدمته من وجوه العون لهذه البعثة .

حديث لمدير المعهد فى الاذاعة الاسبانية :

أذيع الحديث مساء الاثنين ١١ مارس ١٩٦٨ فى البرنامج الاسباني الثالث المخصص للثقافة ، وكان موضوعه يدور حول العوامل الدائمة التى تشكل تاريخ مصر ، وقد صيغ فى هيئة سؤال وجواب بين المذيع لويس بلاثكث بينيتو ومدير المعهد .

مقـالان عن أعمال البعثة الاسبانية لآثار النوبة :

كتب المقالين السيد رفائيل بلانكو كارو عضو البعثة الاسبانية لحفائر النوبة ونشرهما فى جريدة « يا » يومى ٢٤ و ٣١ مارس ١٩٦٨ ، وقد تناولا جهود البعثة خلال الموسمين الأخيرين من عملها وخاصة كشوفها فى منطقة اهنا سيا المدينة .

عرض فيلمين ثقافيين عن العراق بدار المعهد مساء الإثنين ٨ أبريل ١٩٦٨

رحب المعهد بعرض هذين الفيلمين العراقيين فى داره بناء على طلب سفارة العراق فى مدريد ، وقد تناول الفيلم الأول تصنيع البلح فى العراق وأهمية هذه الثروة بالنسبة للاقتصاد العراقى ، أما الفيلم الثانى فقد دار موضوعه حول نهضة العراق الحديثة .

إفتتاح البيت الاسبانى العربى فى بطليوس :

تم افتتاحه يوم الجمعة ١٠ مايو ١٩٦٨ ، وقد حضر حفل الافتتاح عن الجـانب العربى مدير المعهد والسيد عبد الحميد عوض الوزير المفوض لشئون الصحافة بسفارة ج. ع. م. فى مدريد .

افتتاح جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية :

افتتحت الجمعية مساء الجمعة ١٧ مايو ١٩٦٨ وقد أقيم حفل الافتتاح فى دار المدرسة الدبلوماسية بالمدينة الجامعية بمدريد . وألقى خطاب الافتتاح السيد ألبرتو مارتين أرتاخو وزير الخارجية السابق وسكرتير عام مجلس الدولة الاسبانى وهو من المعروفين بميولهم العربية . كما ألقى رئيس الجمعية الأب سلفادور جومث نوجالس كلمة مناسبة للتعريف بالجمعية وأهدافها ونشاطها ، وألقى مدير المعهد كلمة قصيرة تعبيراً عن وجهة النظر الاسلامية .

ومما هو جدير بالذكر أن قيام هذه الجمعية يعد كسباً كبيراً فى مجال التفاهم السليم والتعاون المثمر بين الديانتين ، وذلك هو الهدف الأساسى الذى قامت من أجله الجمعية وكرست له كل إمكانياتها ونشاطها .

المـؤتمر الرابع للدراسات العربية والاسلامية فى البرتغـال ، من ١ إلى ٤ سبتمبر ١٩٦٨

تعقد دورات هذا المؤتمر كل سنتين فى بلد من بلاد أوروبا ، وقد عقدت هذه المرة فى البرتغال .

ولم يسبق أن اشتركنا فى هذا المؤتمر ، وكان بحثنا الذى ساهمنا به هو « طرق التجارة الاسلامية خلال الصحراء الكبرى فى العصور الوسطى » .

محاولة استبعاد اللغة العربية من برامج الجامعات الاسبانية الجديدة ، والجهود التى بذلت لتصحيح هـذا الوضع :

بدأت المشكلة فى أواخر سبتمبر ١٩٦٨ عند ما نشرت وزارة التعليم والعلوم الاسبانية برامج الدراسة فى كل من جامعتى مدريد وبرشلونه الجديدتين ، وكانت برامج كلية الآداب خلواً من اللغة العربية . وقد خشينا أن يكون ترك اللغة العربية هذا مقدمة للتخلى عنها تدريجياً فى الجامعات القديمة كذلك ، خاصة وقد كان هناك اتجاه قديم فعلا إلى ذلك من أقسام اللغة اليونانية التى كانت ترى فى لغتنا العربية أكبر منافس لها . فبذلنا — نحن وأصدقاؤنا من الاسبان — أقصى ما استطعنا من جهد حتى تقرر فعلا إدراج لغتنا العربية فى برامج الجامعات الجديدة ، وقابلت السيد وزير التعليم الاسبانى بعد ذلك لشكره رسميـاً على هذا العمل .

وفى هذه المقابلة فاتحنى الوزير الاسبانى فيما قررته جامعتا مدريد وغرناطة بشأن منح الدكتور طه حسين درجتى الدكتوراه الفخرية ، وقال إنه يسره قدوم سيادته إلى إسبانيا ليسلمه بنفسه هاتين الوثيقتين .

زيارة السيد الأستاذ الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة لاسبانيا ، من السبت ٩ إلى الإثنين ١٨ نوفمبر ١٩٦٨

جاءت زيارة الوزير المصرى تلبية لدعوة رسمية وجهها لسيادته السيد وزير التعليم والعلوم فى اسبانيا ، وقد أعدت وزارة التعليم الاسبانية بالاشتراك مع وزارة الخارجية برنامجاً حافلا للزيارة .

واجتمع سيادته خلالها بوزير التعليم الإسبانى ورجال وزارته ورئيس المجلس الأعلى للأبحـاث العلمية فى إسبانيا وعمداء الجامعات فى اشبيلية وغرناطة ، وتم الاتفاق على عمليات تبادل ثقافى على جانب كبير من الأهمية .

الدورة السابعة للجلسات العلمية الأندلسية :

فى خلال شهر ديسمبر من هذا العام تم عقد الدورة السابعة للجلسات العلمية الأندلسية فى المدة من ١٣ إلى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨ ، وقد أقيمت هذه المرة فى مدينة طليطلة بدار الثقافة حيث أقيم حفل افتتاحها .

وقد لبى الدعوة للاشتراك هذه المرة ثمانية وعشرون أستاذاً متخصصاً منهم أربعة من العرب والمسلمين وهم الدكتور وليد عرفات الأستاذ بمدرسة الأبحاث الشرقية الأسيوية والإفريقية بجامعة لندن ، والدكتور خالد الصوفى مدير المركز الثقافى فى دمشق سلفاً ، والسيد الأستاذ با — ولد — نى رئيس المحكمة العليا فى نواكشوط فى موريتانيا ، والدكتور حسين مؤنس مدير المعهد ، واشترك كذلك إنجليزى واحد هو الدكتور جيمس ديكى رئيس القسم العربى بمكتبة جامعة مانشستر ، واشترك من الفرنسيين إثنان هما الأستاذ هنرى تيراس الأثرى المعروف وعضو أكاديميــة الفنون الجميلة بباريس وابنه الدكتور ميشيل تيراس الأستاذ بجامعة الرباط ، والذى يعمل حاليــاً باحثاً فى المركز الثقافى الفرنسى فى مدريد ، واشترك من البرتغاليين واحد هو الدكتور خوسيه دومنجو جارثيا دومنجث الأستاذ بجامعة لشبونة وكانت البقية من الاسبان .

وقد ألقيت فى هذه الجلسات العلمية ٢٧ محاضرة وبيانها كالآتى :

المحاضرة الأولى : دكتور حسين مؤنس « مشاكل متعلقة بتاريخ حياة الادريسى وأعماله » صباح الجمعة ١٣ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الثانية : دكتور فرناندو دى لا جرانخا سانتاماريا « مساجلة دينية فى مرسية فى عصر الملك ألفونسو العالم » بعد ظهر الجمعة ١٣ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الثالثة : دكتور خالد الصوفى « تحليل شخصية المنصور بن أبى عامر » بعد ظهر الجمعة ١٣ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الرابعة : دكتور خوليو سمسون مويا « أثر الزرقالى فى مصر والشرق الأوسط » مساء الجمعة ١٣ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الخامسة : دكتورة ماريا إوخينيا جالبث « طليطلة فى الأدب العربى المعاصر » صباح السبت ١٤ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة السادسة : دكتور بدرو مارتينث مونتابث : « حول بضعة أشعار لابن خفاجة » صباح السبت ١٤ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة السابعة : دكتور خوسيه ماريا فورنياس «دراسة جديدة عن ألفونسو السادس وبيبدو دولفوس بناء على نص ابن عذارى » ظهر السبت ١٤ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الثامنة : دكتور خوان بيرنيت خينيس « العلوم الرياضية البحتة والطبيعية فى طليطلة فى القرن الحـادى عشر الميلادى » بعد ظهر السبت ١٤ ديسمبر ١٩٦٨ (لم يستطع إلقاءها بسبب مرضه) .

المحاضرة التاسعة : الدكتورة ماريا خيسوس روبيرا « ابن سماك ثائر غرناطى من أهل القرن الرابع عشر الميلادى » صباح الاثنين ١٦ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة العاشرة : دكتور مانويل أوكانيا خيمينيث « الخط الكوفى الطليطلى » صباح الاثنين ١٦ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الحادية عشرة : السيدة شانتال دلافيرون « مقام أميرين سعديين فى الأندلس » ظهر يوم الاثنين ١٦ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الثانية عشرة : دكتور خوسيه دومنجو جارثيا دومنجث « وصف

الغرب الأندلسى الأقصى عند الجغرافيين والمؤرخين العرب فى الشرق والغرب » بعد ظهر الاثنين ١٦ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الثالثة عشرة : دكتور خواكين بالبيه برميخو « المصادر اللاتينية للجغرافيين الأندلسيين » صباح الثلاثاء ١٧ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الرابعة عشرة : دكتور نيفيل باربر « رحلة الملك سانشو القوى ملك نباره إلى الأراضى الاسلامية فى سنتى ١١٩٩ / ١٢٠٠ » صباح الثلاثاء ١٧ ديسمبر ١٩٦٨ ، (حال المرض دون حضور سيادته وقد كتب إلينا يعد بأن يرسل بحثه لينشر فى صحيفة المعهد .

المحاضرة الخامسة عشرة : دكتور سلفادور جومث نوجالس « المسائل الميتافيزيقية فى الأعمال المبتكرة لابن رشد » ظهر الثلاثاء ١٧ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة السادسة عشرة : دكتور هنرى تيراس « مصادر الفن المدجنى الطليطلى » الثلاثاء ١٧ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة السابعة عشرة : دكتور وليد عرفات « منازل قبائل العرب فى الأندلس » بعد ظهر الثلاثاء ١٧ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الثامنة عشرة : دكتور بدرو تشالميتا خاندرون « الاقطاعات فى الأندلس فى عصور ما بعد الخلافة » صباح الاربعاء ١٨ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة التاسعة عشرة : دكتور جيمس ديكى « الموسيقى الدينية الإسلامية » صباح الأربعاء ١٨ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة العشرون : دكتور إلياس تيريس سادابا « الآداب العربية فى طليطلة » ظهر الأربعاء ١٨ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الحادية والعشرون : دكتور ميشيل تيراس « حول بعض صور العمارة الطليطلية » بعد ظهر الأربعاء ١٨ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الثانية والعشرون : دكتور داريو كابانيلاس رودريجث « كتابة عربية هامة فى سقف قاعة السفراء فى الحمراء » صباح الخميس ١٩ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الثالثة والعشرون : دكتور ميجيل كروث إيرنانديث « ابن خلدون موسوعة علمية » ظهر الخميس ١٩ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الرابعة والعشرون : السيد با — ولد — نى « موريطانيا كمركز للدراسات الإسلامية » صباح الجمعة ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة الخامسة والعشرون : دكتور باسيليو بافون « معبد الترانسيتو اليهودى فى طليطلة » صباح الجمعة ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة السادسة والعشرون : دكتور لويس سيكو دى لوثينا « جيش بنى نصر » صباح الجمعة ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨

المحاضرة السابعة والعشرون : دكتور خايمه أوليفر آسين « ملاحظات عن أعلام مواضع طليطلية » ظهر الجمعة ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨

مطبوعات المعهد خلال هذا العام :

كان أهم ما أنجزه المعهد من المطبوعات خلال هذا العام ما يلى :

أولا — صدور المجلد الثالث عشر من صحيفة المعهد .

ثانياً — صدور كتاب الدكتور محمود على مكى عن « الآثار المشرقية فى الثقافة الأندلسية » .

ثالثاً — السير فى طبع المجلد الرابع عشر من الصحيفة .

هذا وقد حققت النشرة التى أصدرناها عن المعهد ومطبوعاته زيادة كبيرة فى التوزيع ، وقد توالت علينا طلبات الاشتراك وكان من أهمها طلب تقدمت به أكاديمية العلوم فى موسكو ، هذا بالإضافة إلى جامعات الولايات المتحدة وألمانيا وهى من أحرص الجامعات على اقتناء مطبوعاتنا .

شئون البعثات والمنح والاجازات الدراسية

أشرف المعهد خلال هذا العام ١٩٦٨ على الطلبة المصريين الآتية أسماؤهم :

الاسم	موضوع الدراسة	المدة بالسنة	الجهة الموفدة
السيد محمد محمد عبد الغنى صقر	أجهزة علمية وميكانيكية	٣ سنوات	وزارة البحث العلمى
السيد محمد صلاح الدين فضل	الدكتوراه فى النقد الادبى	٥ سنوات	جامعة الأزهر
السيد محمد حامد عويس	الفنون الجميلة	سنة	كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية
السيد عبد الهادى محمد الوشاحى	الفنون الجميلة	سنة	كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية
السيد عبد الحميد عبد المطلب الدواخلى	الفنون الجميلة	سنة	المعهد العالى للتربية الفنية بالقاهرة
السيد محمد عبد المغيث العفيفى	اللغة الاسبانية	سنتان	الهيئة العامة للاستعلامات
السيد حلمى حسين محمد حسين	اللغة الاسبانية	سنة	رئاسة الجمهورية
السيد محمد مفيد الجندى	السياحة فى اسبانيا	سنة	وزارة السياحة
السيد محمد أحمد عليوه	السياحة فى اسبانيا	سنة	وزارة السياحة
السيد فريد توفيق عزيز	اللغة الاسبانية	سنتان	—
السيدة قدرية محمد زكى عبد الرحمن	الدكتوراه فى الآداب	—	اجازه دراسية
السيدة صفاء على فهمى دياب	الفنون الجميلة	سنة	المعهد العالى للتربية الفنية بالقاهرة

ملخصـــات

المقالات المنشورة فى القسم غير العربى من الصحيفة

محمد شفيق غربال : « تكون مصر » (ص ٧ — ٤٧)

مقال الاستاذ محمد شفيق غربال عن نشوء مصر وتطورها التاريخى مشهور عند كل المعنيين بتاريخ ذلك البلد ، فقد كان فى أول الأمر سلسلة من المحاضرات ألقيت فى البرنامج الأوروبى للاذاعة المصرية باللغة الانجليزية فى سنة ١٩٥٤ ، ثم أذيع بعد ذلك من محطـات إنجليزية وأمريكية متعددة ، وجمع كتاباً صدر فى القاهرة باللغة الإنجليزية أيضاً سنة ١٩٥٥ ، ثم ترجم إلى العربية ونشرته وزارة الثقافة المصرية سنة ١٩٥٧

ونظراً لما تمتاز به هذه الدراسة الموجزة للعناصر المكونة للتاريخ المصرى ، وما يتجلى فى أثناء فصولهـا القصار من عمق محمد شفيق غربال كمؤرخ أصيل متمكن من أصول فن التاريخ ، ومصرى عريق مدرك لحقائق تاريخ بلده ، وكمفكر شامل النظر فى أحوال البشر وتجارب الامم ، فقد رأينا أن ننقل هذا الكتاب إلى اللغة الإسبانية ، ونذيعه بين الناطقين بها عن طريق نشره فى صحيفة هذا المعهد .

ولسنا بحاجة إلى التعريف بهذا الكتـاب الذى يعتبر على صغره من أدق وأحكم ما كتب عن تاريخ مصر ، فهو موجود باللغة العربية يستطيع الرجوع إليه او الحصول عليه من يريد ، ومن ثم فلا حاجة بنا إلى تعريف القارىء العربى بمحتوياته هنا .

وقد قامت بالترجمة من الانجليزية إلى الإسبانية الآنسة كارمن رويث برافو بيا سانت بقسم الدراسات السامية بكلية الآداب بجامعة مدريد ، وراجعنا الترجمة على الاصل للتأكد من تطابق النصين العربى والإسبانى .

دكتور حسين مؤنس : « المرابطون — موجز تاريخى » (ص ٤٩ — ١٠٢)

خلال السنوات الأخيرة تجمعت لنا مادة غزيرة جديدة عن المرابطين ، فمنذ سنوات ونحن نعمل على نشر ما تيسر لنا من الوثائق المرابطية الاصلية التى عثرنا عليها فى مكتبات إسبانيا والمغرب ، وبفضل هذه الوثائق ظهرت جوانب جديدة مشرقة من تاريخ هذه الدولة الاسلامية المجيدة . ثم نشر ليفى بروفنسال وأمبروسيو أويثى الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذارى ، وربعه الاول يدور على دولة المرابطين . ثم نشر الدكتور محمود على مكى القطعة الثالثة عشر من نظم الجمان لابن القطان ، ونشر أحمد مختار العبادى وإبراهيم الكتانى الجزء الخاص بتاريخ المغرب من أعمال الأعلام لابن الخطيب ، ونشر د. إحسان عباس ثلاثة أجزاء من « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشى وفيها ثروة من تراجم الرجال فى عصر المرابطين ، ونشرت النص الكامل للحلة السيراء لابن الأبار ، وتجمعت لنا من ذلك كله مادة غزيرة جديدة جعلت من الضرورى إعادة النظر فى تاريخ المرابطين ، وأصبح من الضرورى أن نحاول على الأقل كتابة تاريخ هذه الدولة الإسلامية التى قامت بدور كبير فى تاريخ الغرب الإسلامى كله .

وهذا هو الذى حدا بى إلى كتابة هذا البحث عن التاريخ المرابطى فتتبعت فيه أصول هذه الدولة ، والقبائل التى قامت على اكتافها ، والعوامل التى حفزت هذه القبائل على الاتحاد وإنشاء ذلك الكيان السياسى الدينى الذى عرف باسم دولة المرابطين . وفى أثناء ذلك بدت لنا شخصية عبد الله بن ياسين فى ضوء جديد ، فلم يعد مجرد فقيه إختاره أبو عمران الفاسى لكى يلقن بعض القبائل الصنهاجية أصول الإسلام ، وإنما تبين أنه كان رجل سياسة وطموح إلى السلطان قبل ذلك ، وتبين أيضاً أن يحى بن إبراهيم ومن كان معه من شيوخ جدالة ولمتونة عند ما قصدوا أبا عمران الفاسى ليبحث لهم عن فقيه لم يكونوا مدفوعين

إلى ذلك لمجرد الرغبة فى نشر الإسلام الصحيح بين مواطنيهم ، وإنمـا كانوا يبحثون عن شخصية تستطيع أن تثير الحمية الدينية لأهل قبائلهم وتدفعهم إلى القيام على الزناتيين الذين كانوا يستبدون ببلادهم وينزلون بقبائلهم أذى شديداً .

وقد تتبعنا فى هذا المقال تفاصيل حياة عبد الله بن ياسين وعلاقته بيحيى ابن عمر ، ودرسنا تاريخ بيت طرغوت بن ورطاش جد يحيى بن عمر ، وكذلك جد يوسف بن تاشفين حتى تكون نواة القوة المرابطية على يد عبد الله بن ياسين ، ثم نشوء إمارة جداله ولمتونه ومسوفه وغيرها من القبائل الصنهاجية التى عرفت بعد ذلك بالمرابطين .

وتتبعنا أعمال المرابطين فى بلاد السنغال وما يليها جنوباً ونشرهم للاسلام فى هذه النواحى بقيادة يحيى بن عمر ثم أخيه أبى بكر وعبد الله بن ياسين ، واتجاههم إلى الشمال بعد ذلك وفتحهم سهل مراكش وانشائهم لمدينة مراكش ، وظهور يوسف بن تاشفين وتوليه قيادة الجناح الشمالى من القوة المرابطية فى حين إنصرف أبو بكر بن عمر إلى الجنوب ليواصل أعمال نشر الاسلام فى السودان الغربى .

وتناول الكلام بعد ذلك زينب بنت اسحق النفزاوية ، وجانباً من أعمـال يوسف بن تاشفين حتى استيلائه على كل المغرب الأقصى ، وناقشنا بعض الآراء الخـاصة بدور المرأة فى المجتمع المرابطى ، ودحضنا ما قاله عبد الواحد المراكشى ومن إليه من مؤرخى الموحدين ومتابعى الحملة العنيفة التى قام بها محمد بن تومرت ضد المرابطين ، وبينا فى تفصيل الدور الضخم الذى قام به هؤلاء فى إنقاذ الأندلس من الضياع ، وقد كان ولا شك مشرفاً عليه خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى .

وتكلمنا بعد ذلك على الصراع بين المرابطين والموحدين ، وبينا مقدار الأذى الذى أصاب قوة الاسلام المحاربة فى الأندلس نتيجة لطموح محمد بن تومرت ، وأعقبنا ذلك بالكلام على ما قام به المرابطون من إكمال نشر الاسلام فى المغرب الأقصى ، والقضاء على مذاهب البرغواطيين ومن إليهم ممن كانوا قد حادوا عن النهج القويم . وفى فقرة خاصة ألقينا نظرة عامة على الدور الذى قام به المرابطون فى تاريخ الغرب الاسلامى .

ودرسنا بعد ذلك أمر بنى غانية المسوفيين وحقيقة الصراع بينهم وبين الموحدين ، وأثبتنا بالبرهان أن جند بنى غانية ومن انضم إليهم من بقايا المرابطين عندما انهزموا آخر الأمر على يد الموحدين أصبحوا طوارق الصحراء ، وبينا من أين أتى لفظ الطوارق ، وختمنا البحث ببيليوجرافية كاملة تقريباً عن المرابطين تفتح الباب أمام من يريدون دراسة تاريخ هذه الدولة على ذلك الضوء الجديد .

نيفيل باربر : « أثر القوة البحرية على تاريخ إسبانيا الاسلامية » ص ١٠٣ — ١١١

هذا المقال محرر باللغة الانجليزية ومن ثم فلا تدعو الحاجة الماسة إلى تلخيصه بالعربية ، لأن عامة قراء هذه المجلة يعرفون هذه اللغة ، ثم إن المقال قصير .

لم يسبق أن اهتم مؤرخ بدراسة الأثر العام للبحرية على تطور تاريخ الأندلس ، نعم هناك دراسات عن هذه البحرية ولكن نيفيل باربر هو أول من فطن إلى دراسة عامة لتاريخ القوة البحرية وأثرها على تطور تاريخ الأندلس .

بدأ نيفيل باربر بالاشارة إلى عبارة ترد عند ابن خلدون فى الكلام عن الأندلس وهى قوله : « فيما وراء البحر » ، وهو يرى هذه العبارة مقابلة لعبارة Over Seas الانجليزية بكل ما لهـــا من معنى تاريخى ، فإذا كان العالم الجديد وأستراليا ونيوزيلند وما إليها تعتبر فى نظر الانجليز « ما وراء البحار » ، فكذلك كانت تعتبر الأندلس « ما وراء البحر » بالنسبة للمسلمين ، ويدخل فى هذا المصطلح صقلية وجزائر البحر الأبيض وبعض ما ملكه المسلمون لفترات قصيرة على السواحل الجنوبية لايطاليا وفرنسا .

وهذه الأجزاء من مملكة الاسلام الواقعـــة وراء البحر تختلف فى تطورها التاريخى عن بقية الكتلة الاسلامية ، فبينما نجد هذه الاخيرة مساحة أرضية شاسعة تمتد من الصين إلى المحيط الاطلسى دون أن يقطعها بحر ، فإن بلاد ما وراء البحر منفصلة عن الكتلة الكبيرة بمياه ، وإنه وإن كانت هذه المياه قليلة أحياناً كما يرى فى حالة الاندلس ، إلا أن مجرد انفصالها عن الكتلة الكبيرة بالبحر جعل تاريخها متوقفاً على قدرة المسلمين على سيادة البحار وهذه هى النقطة الهامة التى لفت إليها الانظار .

وقسم نيفل باربر التاريخ البحرى للأندلس إلى خمس فترات :

الفترة الاولى : تمتد على وجه التقريب من سنة ٧٠٠ إلى ٨٠٠ ميلادية ، وهى فترة امتداد وتوسع وقدرة المسلمين على ركوب البحار بالجرأة والغريمة وإن لم تكن لهم أساطيل كافية . وهذه هى الفترة التي وضعت أثناءها أسس الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، وأنشئت معظم الممتلكات الاسلامية وراء البحار .

الفترة الثانية : بدأت من أواخر القرن التاسع الميلادى واستمرت إلى نهاية القرن الحادى عشر ، وخلال هذه الفترة قامت الاساطيل الاسلامية وتدرب المسلمون على الحرب فى البحار ، وسادوا حوض البحر الابيض كله ، وملكوا إلى جانب الأندلس صقلية ومالطة وجزءاً من سردينيا وكريت وجزءاً من قبرص ، وهذا هو عصر القوة الحقيقية للاسلام فى البر والبحر ، عصر الذروة التى وصلتها دولة الاسلام من كل وجه ، وترتبط فيما يتصل بالاندلس بأيام الحكم المستنصر ٩٦١—٩٧٦ ونيفل باربر يدخل فيها عصر الطوائف ويتحدث عن قوة الاسلام البحرية فى الحوض الغربى للبحر الابيض التى تمثلت فى أسطول مجاهد العامرى ، وفى وسط البحر الابيض التى تمثلت فى سيطرة المسلمين على صقلية ، وفى شرقه حيث تمكنت أساطيل الفاطميين من سيادة مياه ذلك البحر .

الفترة الثالثة : تبدأ بمجيء المرابطين إلى الأندلس فى سنة ١٠٨٦ ونيفيل باربر يرى أنه بعد انهيار القوة السياسية فى الأندلس أصبح مصيره متوقفاً على المدد الذى يأتيه من المغرب ، أى أن مستقبله أصبح رهناً بقدرة المسلمين على سيادة المياه بين الأندلس والمغرب . وقد استطـــاع المرابطون والموحدون أن يحافظوا على هذه السيادة ، ولكن الزحف النصرانى اهتم بالاستيلاء على الموانى ففي سنة ١١٤٧ سقطت المرية ، وشيئاً فشيئاً أخذ سلطان المسلمين على البحر يتضاءل حتى سقط جبل طارق وسبتة ومليلة وهذا هو الذى حدد مصير الأندلس فسقطت غرناطة سنة ١٤٩٢

الفترة الرابعة : هي مرحلة الغزوات البحرية التى كان يقوم بها أهل المغرب دون نظام لمهاجمة سفن النصرانية وموانيها ، وكان من بعض أهدافها معاونة مسلمى الأندلس ، وقد استمرت هذه الفترة إلى قيام الأتراك العثمانيين .

الفترة الخامسة : ترتبط بقيام الأتراك العثمانيين وسيطرة أساطيلهم على البحر ، وتمكنهم من إخراج الإسبان من الجزائر وتونس وطرابلس ، وإن لم يستطيعوا معاونة بقايا أهل الأندلس معاونة حقيقية ، وقد انتهت سيادتهم هذه سنة ١٥٧٠ أى فى معركة ليبانتو التى قضت نهائياً على سيطرة المسلمين على مياه البحر الأبيض ، وكان لذلك أثر سيء مباشر على تطور الأحداث فى بلاد الإسلام .

ميشيل تيراس : « أعمال التحصينات الأموية فى قشتالة » ص ١١٣ — ١٢٧

فى هذا المقال درس ميشيل تيراس — المدرس بجامعة بوردو والمنتدب مدرساً فى كلية الآداب بجامعة الرباط ، والعضو الفنى فى المعهد الفرنسى فى مدريد — أعمال التحصينات التى قام بها أمراء المسلمين وخلفاؤهم فى المنطقة الواقعة بين نهرى تاجه ودويرو ، أى فى منطقة جبال جوادارما (وادى الرمل) التى يسميها المسلمون جبل الشارات وتمتد من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى شمـــال مدريد وطليطلة .

تكلم عن طبيعة هذه المنطقة التى تشمل ما يعرف حالياً بقشتالة الجديدة وجزءاً من قشتالة القديمة ، وقال إنها من قديم الزمن منطقة حصون واسمها يدل على ذلك لأنها بطبيعتها الصخرية القاسية لا تسمح بأعمال الغزو والتعمق ، وإنما بانشاء أعمال التحصين والحماية التى تعتمد عليها القوات فى القيام بغارات سريعة لا تقصد إلى الفتح الدائم ، وإنما تقصد تحطيم قوى العدو وإلقاء الخوف والهيبة فى نفسه .

تكلم ميشيل تيراس على هذه الناحية ، وأعطى فكرة عن طبيعة غزوات المسلمين فى المنطقة الواقعة بين نهرى تاجه ودويرو ، وبين كيف أن المسلمين لم يحاولوا جدياً تخطى نهر الدويرو وإخضاع ما شماله إخضاعاً مباشراً لدولة الإسلام . وإنما هم اعتبروا هذا النهر حدهم الأعلى ، بل إن ما يليه جنوباً إلى السفوح الشمالية لجبال وادى الرمل كانت معتبرة فى نظرهم أرضاً فضاء لا يهمهم أن يبسطوا عليها سلطانهم بصفة مستمرة أو إبعاد النصارى عنها نهائياً ، وهذا هو الذى أتاح الفرصة لألفونسو الأول الملقب بالكبير ٧٣٩—٧٥٧ وهو ثالث ملوك

قشتاله لكى يتقدم جنوباً ويحتل المراكز الهامـة فى هذه الناحية مثل سبولفدا وسموره وشانت مانقش (سيمانكاس) وأوسمة وسلامنكا وأبله وما إليها . ونتيجة لذلك امتد سلطان هذه المملكة الأستورية إلى السفوح الشمالية لجبل الشارات وتمهد الطريق لانشاء مملكة ليون ، وكل هذه خطوات خطيرة وحاسمة فى نشوء وتطور الدول النصرانية فى الأندلس .

ونتيجة لهذا اهتم المسلمون بتحصين خط نهر تاجه وما بينه وبين السفوح الجنوبية لجبل الشارات حماية لطليطـلة أولا وما فى مستواها الجغرافى من بلاد الامارة والخلافة الاموية . إلى هذا يرجع اهتمام المسلمين بإنشاء البروج والحصون والقلاع فى هذه الناحية كلها . والبرج فى رأيه مجرد مركز للحراسة ، والحصن هو بناء محصن للحماية وإيواء الجند ، أما القلعة فهى مركز عسكرى يحمى مدينة عسكرية حوله .

بعد ذلك درس ميشيل تيراس الأبراج والحصون والمعاقل التى أنشأها المسلمون فى هذه الناحية ابتداء من أيام الأمير محمد ، وقد اهتم بصفة خاصة بخط الحصون الذى يبدأ من طليطلة ويستمر شمالا بغرب حتى مدينة سالم فى طريقه إلى سرقسطة ، وأهم معالم هذا الخط طالمنكا ووادى الحجارة وبنه حوره ومدينة سالم ، ولفظ وادى الحجارة هنا معناه وادى الحصون لأن الحجر هو الحصن .

ثم درس خط الحصون الثانى الذى يبدأ من بشكش على نهر تاجه ويسير أيضاً شمالا بغرب ماراً بماقده وقنالش وألمش والفهمين ومدريد وبويتراجو وينتهى عند غرماز ، وأشار فى أثناء الكلام إلى القلاع والقصبات التى تقع على نهر تاجه مثل طليطلة وأبيخة وسُرته وشنتبريه .

تكلم ميشيل تيراس عن هذه المواقع المحصنة من الناحية الأركيولوجية الصرفة كلاماً فنياً خالصاً فبين الخصائص العامة التى تبدو فى كل مجموعة منها ، وتكلم عن قدرة المسلمين على الاستفادة إلى أقصى حد من الطبيعة الجغرافية للناحية التى يقوم فيها الحصن أو القلعة وأشار إلى المبتكرات التى وصل إليها المسلمون فى هذا النوع من العمائر .

والمقال مكتوب بالفرنسية .

خواكين لومبا : « جمال الطبيعة عند ابن حزم » ص ١٢٩ — ١٣٧

فى هذا المقال يدرس خواكين لومبا الأستاذ بجامعة نباره ومن شباب المستشرقين الإسبان المشتغلين بالفلسفة آراء ابن حزم فى الجمال بصفة عامة وجمال الطبيعة بصفة خاصة ، واعتماده فى هذا على خمسة نصوص من مؤلفات إبن حزم ، وقد استعان لومبا فى ترجمة مصطلحاتها بترجمات لها عملها آسين بلاثيوس وغرسيه غومس .

وتيسيراً للقارىء على تتبع آراء لومبا فى مقاله هذا نأتى بالنصوص الأصلية التى اعتمد عليها وأتى بقطع منها مترجمة إلى الإسبانية ، وقد استدللنا على هذه النصوص بمعانيها وكشفنا عنها فى مؤلفات ابن حزم لأن الطبعات التى رجع إليها تختلف عن الطبعات التى بين أيدينا .

وفيما يلى هذه النصوص بحسب ما تأتى لنا :

فى أنواع الجمال :

قال ابن حزم فى كتاب « مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق » طبعة محمد أدهم الكتبى بالحلوجى بمصر ص ٣٧ — ٣٨ ، أشار إليه لومبا فى ص ١٢٩ من البحث :

فى أنواع صباحة الصور وقد سئلت عن تحقيق الكلام فيهـا (فقلت) الحلاوة رقة المحاسن ولطف الحركات وخفة الإشارات وقبول النفس لأعراض الصور وإن لم تكن ثم صفات ظاهرة القوام جمال كل صفة وحدتها ورب جميل الصفات على انفراد كل صفة منها بارد الطلعة غير مليح ولا حسن ولا رائع ولا . حلو الروعة بهاء الأعضاء الظاهرة مع جمال فيها . وهى أيضاً الفراهة . والعتق . الحسن هو شىء ليس له فى اللغة اسم يعبر به عنه ولكنه محسوس فى النفوس باتفاق كل من رآه . وهو برد مكسو على الوجه وأشراق يستميل القلوب نحوه فتجتمع الآراء على استحسانه وإن لم تكن هناك صفات جميلة فكل من رآه راقه واستحسنه وقبله حتى إذا تأملت الصفات افراداً لم تر طائلا .

وكأنه شيء في نفس المرئ يجده نفس الرائي . وهذا أجل مراتب الصباحة ثم تختلف الأهواء بعد هذا فمن مفضل للروعة ومن مفضل للحلاوة . وما وجدنا أحداً قط يفضل القوام المنفرد الملاحة اجتماع شيء فشيء مما ذكرنا .

العين وإدراك الجمال :

طوق الحمـــامة طبعة حسن كامل الصيرفي وابراهيم الإبياري القاهرة سنة ١٩٥٠ ، أشار إليه لومبا في ص ١٣٢ من البحث :

واعلم أن العين تنوب عن الرُّسل ، ويدرك بهـا المراد . والحواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النفس ، والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعاها عملا ، وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادي ومرآتها المجـــلوَّة التي بها تقف على الحقائق وتميز الصفات وتفهم المحسوسات . وقد قيل : ليس المخبر كالمعاين . وقد ذكر ذلك افليمون صاحب الفراسة وجعلها معتمدة في الحكم . وبحسبك من قوة إدراك العين أنهـا إذا لاقى شعاعها شعاعاً مجلواً صافياً ، إما حديداً مفصولا أو زجاجاً أو ماء أو بعض الحجارة الصافية أو سائر الأشياء المجـلوة البراقة ذوات الرفيف والبصيص واللمعان ، يتصل أقصى حدوده بجسم كثيف ساتر منّـاع كدر ، إنعكس شعاعها فأدرك الناظر نفسه ومازها عياناً . وهو الذي ترى في المرآة ، فأنت حينئذ كالناظر إليك بعين غيرك .

جمال الكون دليل على الصانع :

كتاب الفصل في الملل والنحل ج ١ لابن حزم طبعة القاهرة ١٩٠٣ ص ٢٢ أشار إليه لومبا في ص ١٣٤ من البحث :

فصح بهذا أن العالم كله محدث وأن له محدثاً هو غيره هذا إلى ما نراه ويشاهد بالحواس من آثار الصنعة التي لا يشك فيها ذو عقل . ومن بعض ذلك تراكيب الأفلاك وتداخلها ودوام دورانها على اختلاف مراكزها ثم أفلاك تداويرها والبوْن بين حركة أفلاك التداوير والأفلاك الحاملة لها ودوران الأفلاك كلها من غرب إلى شرق ودوران الفلك التاسع الكلي بخلاف ذلك من شرق إلى غرب وإدارته لجميع الأفلاك مع نفسه كذلك فحدث من ذلك حركتان

متعارضتان فى حركة واحدة فبالضرورة نعلم أن لهـا محركاً على هذه الوجوه المختلفة . ثم تراكيب أعضاء الإنسان والحيوان من إدخال العظـام المحدبة فى المقعرة وتركيب العضل على تلك المداخل والشد على ذلك بالعصب والعروق صناعة ظاهرة لا شك فيها لا ينقصها إلا رؤية الصانع فقط .

وصف ابن حزم لروض جميل :

طوق الحمـامة ، نفس الطبعة ص ٩٩ — ١٠٠ ، أشار إليه لومبا فى ص ١٣٦ من البحث :

ومما يدخل فى هذا الباب أبيات لى ، موجبها أنى تنزهت أنا وجماعة من إخوانى من أهل الأدب والشرف إلى بستان لرجل من أصحابنا ، فجلسنا ساعة ثم أفضى بنا القعود إلى مكان دونه يتمنى ، فتمددنا فى رياض أريضة ، وأرض عريضة ؛ للبصر فيها منفسح ، وللنفس لديها مسرح ؛ بين جداول تطرد كأباريق اللجين ، وأطيار تغرد بألحان تزرى بما أبدعه معبد والغريض ، وثمار مهدلة قد ذللت للأيدى ودنت للمتناول ، وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها فتتصور بين أيدينا كرقاع الشطرنج والثياب المدبّجة ، وماء عذب يوجدك حقيقة طعم الحياة ، وأنهار متدفقة تنساب كبطون الحيات لها خرير يقوم ويهدأ ، ونواوير مونقة مختلفة الألوان تصفّـقها الرياح الطيبة النسيم ، وهواء سجسج ، وأخلاق جلاّس تفوق كل هذا ، فى يوم ربيعى ذى شمس ظليلة ، تارة يغطيهـا الغيم الرقيق والمُـزن اللطيف ، وتارة تتجلى ، فهى كالعذراء الخـفِرة والخريدة الخجلة تتراءى لعاشقها من بين الأستار ثم تغيب فيها ، حَذر عَينٍ مراقبة .

د. أحمد مختار العبادى : « محمد الخامس الغنى بالله سلطان غرناطة » ص ١٣٩ — ١٩٢

هذه هى القطعة الأخيرة من بحث الدكتوراه للدكتور أحمد مختار العبادى الذى نشرناه تباعاً فى صحيفة المعهد .

فى هذا الجزء يتحدث د. العبادى عن الحياة الاجتماعية فى غرناطة أيام ذلك السلطان ويتناول النقط الآتية : العلاقات الثقافية بين المغرب وغرناطة — الشعر

وأشهر شعراء غرناطة فى ذلك العصر — النثر — علم التاريخ — العلوم — قصور الحمراء أيام الغنى بالله .

وقد تناول العبادى بالكلام طائفة كبيرة من العلماء والأدباء والشعراء الذين ظهروا فى غرناطة فى ذلك العصر من أمثال أبى عبد الله بن جزى — أبى الحسن بن الصباغ — أبى القاسم رضوان وأبى القاسم محمد البرجى وأبى العباس بن عاشر — وابن عباد الرندى — وابن قاسم القرشى — لسان الدين بن الخطيب — وابن زمرة — وعبد الله بن مرزوق — وأبى الحسين الأنصارى السبتى — وابن سوار المحاربى — وأبى جعفر أحمد بن خاتمة الأنصارى — وأبى القاسم محمد الشريف الغرناطى — وأبى البركات بن الحاج البلفيقى وغيرهم كثيرون . وبطبيعة الحال إختص بأكبر جانب من اهتمامه ابن الخطيب وابن زمرك والشريف الغرناطى ومن إليهم من كبار الكتاب والشعراء وأهل الفكر .

وختم الدكتور العبادى دراسته بببليوجرافية وافية بمراجع تاريخ غرناطة فى عصر السلطان محمد الخامس الغنى بالله .

الأب سلفادور جومث نوجالس : خلود الروح عند ابن عربى ص ١٩٣ — ٢٠٩

يقول الأب نوجالس ان المسلمين يؤمنون بخلود الروح ، وابن عربى يؤيد ذلك فى الكثير من مؤلفاته ، ولكن بعض آراء الفلسفة اليونانية التى انتقلت إلى العرب أوجدت شكوكاً عند بعض الفلاسفة فيما يتعلق بخلود أرواح كل البشر بعد الموت . ومنهم من تعلق بما قاله بعض الفلاسفة من أن الروح إنما هى صورة من صور الجسم ، وقال بعضهم بتشخص هذه الصورة فى هيئة مادية ، وبناء على هذا فعند ما تفترق الروح من الجسد فإنها لا تفنى فناء تاماً ، ولكن كيانها الشخصى يتلاشى عند ما تنفصل عن مادة الجسم وتصبح روحاً مطلقة لأن ارتباطها بالجسم هو الذى يعطيها شخصيتها المحددة ، وهذه هى النتيجة التى استخرجها أتباع ابن رشد فى العصور الوسطى من كتاباته .

ولفلاسفة المسلمين ثلاثة مواقف حيال هذه المشكلة : الأول فلسفى صرف والثانى لاهوتى والثالث تصوفى ، ففيما يتصل بالموقف الفلسفى نجد أن ابن سينا وابن رشد يؤيدان القول بخلود الروح البشرية مرتبطة بأشخاص أصحابها ، وهذا على الرغم من أن الناس فى العصور الوسطى أساءوا فهم هذا الرأى ، أما الفقهاء ورجال الدين فهم لا يشكون فى الخلود الشخصى للروح ، ولبعض الفقهاء آراء خاصة تتعلق بالعلاقة بين الجسد المادى والروح ، وهذه العلاقة تمس موضوع خلود النفس منفصلة عن الجسد .

أما فى ميدان التصوف فقد ظهرت آراء تمس بصورة أكثر الخلود الشخصى للأرواح وهذه الآراء صادرة عن القول بوحدة الوجود ، وعند ما يصل الصوفية إلى حالة الوجد تتلاشى شخصيته الإنسانية وتبرز شخصيته الروحية ويزداد قرباً من الذات الالهية .

ويبدو أن ابن عربى هو الممثل الأكبر لفلسفة وحدة الوجود عند العرب ، ولكننا عند ما ندقق النظر فى مذهبه فيما يتصل بخلود الروح نجد أن تفسيره له يتفق اتفاقاً تاماً مع القول بالخلود الشخصى للروح الإنسانية ، والحقيقة أن ما يقول به من وجود الروح قبل الجسد يمكن أن يفسر على أنه مظهر من مظاهر العقل الالهى وهذا لا يتطلب القول بوحدة الوجود .

ويقول ابن عربى ان العقل وحده لا يستطيع أن يثبت خلود الروح وإن ذلك لا يثبت إلا عن طريق الإدراك الصوفى عن طريق القلب ، وبعد الموت وانفصال الروح عن الجسد تأخذ صورة مادية أخرى ولا تفقد بتاتاً شخصيتها التى كانت لها عند ما كانت متحدة بالجسد .